جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

" الشَّاعر والسُّلطة في العصر الفاطميّ "

إعداد الطالب :
إبراهيم عبدالكريم البطوش

إشراف الأستاذ الدكتور :
ماهر أَحمد المبيضين

رسـالة مقدمـة إلى كليـة الدراسـات العليـا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
فـي الأدب العربي قسم اللغة العربيـة وآدابهـا

جامعة مؤتة ، 2016

الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة، أُهدي هذا العمل ...

وإلى والدتي الغالية، أطال الله في عمرها ...

وإلى رفيقة الدرب، زوجتي الغالية...

وإلى فرحة الحياة، عبدالكريم وقانتة ...

وإلى إخوتي الأعزاء، فوزي وفواز وفايز ومحمد ورستم وبلال وأشرف ...

وإلى جميع الأحبة ...

إبراهيم عبدالكريم البطوش

الشكر والتقدير

بادئ ذي بدء أشكر الله على نعمه وفضله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

وأتقدّم بخالص الشُّكر إلى أُستاذي الدكتور ماهر المبيضين، وذلك لما أَولاني من رعاية وإرشاد لإنجاز هذه الرسالة، جزاه الله خيراً بكلِّ حرفٍ قد كتبت.

وأَشكر اللجنة الموقرة من أَساتذتي الأفاضل، جهابذة الأدب العربيّ في جامعاتنا الحبيبة، الأستاذ الدكتور علي المحاسنة، والأستاذ الدكتور خليل الرفوع لتحملهما عناء مناقشة هذه الرسالة، كما أتقدم بالشكر من الدكتور الفاضل سلامة الغريب، عضواً للمناقشة من جامعة الطفيلة.

وأَودُّ أن أَشكر أيضاً ابنة أخي أشرقت، التي قامت بطباعة هذه الرسالة واخراجها.

إبراهيم عبدالكريم البطوش

فهرس المحتويات

الملخص

" الشَّاعر والسُّلطة في العصر الفاطميّ "

إبراهيم عبدالكريم البطوش

جامعة مؤتة، 2016

تهدف هذه الرسالة إلى دراسة موضوع " الشَّاعر والسُّلطة في العصر الفاطميّ " وفق الجزئيات الآتية: موقف الشاعر من السلطة الفاطمية سياسياً، وعقائدياً، واجتماعياً، وحضارياً، وذلك للكشف عن مواقف الشعراء من هذه السلطة، سواء أَكانوا مؤيدين للسلطة، أَم معارضين لها، وناقمين عليها.

ووفقاً لدراسة جزئيات الرسالة، تبين للباحث أَن الشعراء المعارضين للسلطة الفاطمية لا يوازون بأَشعارهم حجم الشعراء المؤيدين آنذاك للسلطة، وذلك لأَسباب أَهمها: سطوة السلطة الفاطمية، وقد استطاعت السلطة الفاطمية استمالة الشعراء إِلى جانبها لتأييدها سياسياً وعقائدياً، واجتماعياً، وحضارياً، ولذلك برزت في أَشعارهم صورٌ واضحة للدولة الفاطمية في مختلف جوانب حياتها.

Abstract

" The poet and the authority during Al Fatimi rule "

Ibraheem Abd Alkareem Albtoosh

Mutah University, 2016

This thesis is a study of the poet and authority during Al Fatimi rule. The specifications of the study as follow: the poet's stance towards authority, politically, theologically, socially, and culturally. These specification helped to uncover the poets' view points towards authority and to find out whether the poets were supporters of the Al Fatimi rule or not.

The study unveils that the poets, who were against the authority , are less in number than the supporters of the rule because of the tyranny of the rule and the bribing of the poets. These reasons helped the poets to produce clear images of Al Fatimi state in all the sides of life.

المقدمة :

منذ أَن بسطت الدولة الفاطمية نفوذها، وأسست الخلافة إيماناً منها بأن الفاطميين هم أصحاب الحق في خلافة النبي – عليه الصلاة والسلام –، ولهذا كان لهم موقف مناهض وعدائي من الأُمويين والعباسيين، لذا أَخذوا بالتوسع في حدودهم المكانية، وبدأوا بنشر مذهبهم الفاطمي في أرجاء البقاع التي بسطوا نفوذهم فيها، اعتماداً على كل ما تملكه الدولة من إمكانات.

ومن هنا فإن هذه الدراسة وعنوانها " الشاعر والسلطة في العصر الفاطمي " هدفت إلى بيان هذا الجانب المهم في نشأة الدولة الفاطمية، من حيث التعرف إلى حقيقتها تاريخياً وسياسياً ومذهبياً واجتماعياً وحضارياً، وذلك من خلال استقراء النماذج الشعرية التي توضح مثل هذه الجوانب، وكذلك التعرف إلى مواقف الشعراء من السلطة الفاطمية في هذه الجوانب، وهو الهدف الرئيسي لهذه الدراسة.

ولتحقيق هذه الأهداف، فإن الدراسة جاءت في تمهيد عرض من خلاله الباحث جانباً مهماً من نشأة الدولة الفاطمية، وما يتعلق بأمورها التاريخية والسياسية والعقائدية المذهبية والاجتماعية والحضارية، لتكون هذه المادة معيناً للباحث لمناقشة فصول الدراسة، التي جاءت على النحو الآتي:

الفصل الأَول وعنوانه: " موقف الشاعر من السلطة الفاطمية سياسياً "، وذلك بهدف الكشف عن موقفه إزاء تلك السياسة المتبعة لدى السلطة الفاطمية في الداخل والخارج، سواء أَكان التعامل مع الرعية، أم مع خصوم الدولة الفاطمية في الخارج، كدولة بني أُميَّة وبني العباس، ودولة الروم، وقد تناول هذا الفصل المحاور الآتية:

- السياسة الداخلية.
- السياسة الخارجية:

أ- العباسيون والأمويون.
ب- دولة الرُّوم.

أَما الفصل الثاني وعنوانه: " موقف الشاعر من السلطة الفاطمية عقائدياً "، حيث تناول فيه الباحث موقف الشعراء من السلطة مذهبياً، سواء أكانت سلطة الخلفاء الفاطميين، أو سلطة رجال الدولة الفاطمية من وزراء وولاة وقادة جيوش، بالإشارة أَيضاً إلى مدى تأثر الشعراء في تأييدهم بالقرآن الكريم، منوهاً الباحث في نهاية الفصل إلى جانب الشعراء المعارضين للسلطة الفاطمية، وقد جاءت محاور هذا الفصل على النحو الآتي:

- الخليفة.
- رجال الدولة.
- أثر القرآن في الشعر.
- شعر المعارضة.

وجاء عنوان الفصل الثالث: " موقف الشاعر من السلطة الفاطمية اجتماعياً وحضارياً "، ليكشف من خلاله الباحث ذلك الموقف عند الشعراء، حيث برزت مظاهر اجتماعية وحضارية متنوعة في العصر الفاطمي، فكثرت في عهدهم الأعياد والمناسبات الدينية، وتنوعت أشكال الترف والبذخ في حياة السلطة الفاطمية، وبناءً على ذلك فقد عالج هذا الفصل المحاور الآتية:

- المجتمع :
  - الأعياد الإسلامية.
  - الأعياد الفاطمية.
  - ملابس الخلفاء وبعض مستلزماتهم.
  - مجالس اللهو.
- الحضارة :
  - القصور.
  - مظاهر أخرى.

وختمت هذه الدراسة بأَهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الرسالة.

ولما كانت الدراسة وطبيعة موضوعاتها على هذا النحو، فإنها سارت وفق منهج أَدبي تحليليّ يعتمده الباحث في استقراء النماذج الشعرية، واستخلاص ما فيها من مضامين شعرية تغطي الجزئية التي تحدث عنها الباحث، بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي تقتضيه بعض جزئيات الدراسة.

وقد أَفادت هذه الدراسة من المصادر القديمة والدراسات الحديثة، التي تناولت الدولة الفاطمية في مختلف جوانبها، واستعان الباحث أيضاً بمجموعة من الدواوين الشعرية التي تخدم جزئيات هذه الدراسة، ومن هذه المصادر والمراجع الحديثة والدواوين نذكر على سبيل المثال لا الحصر: " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي " و " اتعاظ الحنفا بأخبار الأَئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي "، و" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى "، و" ديوان شعر ابن هانئ الأندلسي"، و" ديوان شعر ابن حيّوس"، و" ديوان شعر عُمارة اليمنيّ"، و"ديوان شعر طلائع بن رُزِّيك" و" ديوان شعر هبة الله الشيرازي"، و" في أدب مصر الفاطمية لمحمد كامل حسين"، و" الأدب في العصر الفاطمي الشعر والشعراء، والكِتابة والكُتَّاب لمحمد زغلول سلام"، وغيرها من المصادر والمراجع المهمة.

وقد واجه الباحث بعضاً من الصعوبات منها: على الرغم من الاستقصاء لدواوين الشعراء والمراجع القديمة، لم يعثر الباحث على كمٍّ من الشعر المعارض للسلطة الفاطمية، بالإضافة إلى عدم العثور على دواوين بعض الشعراء، كديوان الشاعر تميم الفاطمي، فلجأ الباحث لاستقراء القصائد والأشعار من مصادرها القديمة.

وأَخيراً، أَسأل من علمنا بالقلم ما لا نعلم، أَن أَكون قد أَصبت وأَضفت إلى رفوف العلم والمعرفة الشيء الجديد، وإن أخطأت أَو اعتورني شيءٌ من التقصير أو النسيان، فهذه حتمية الكمال للخالق وحده –عز وجل –، فإليه أُوكل عزمي، فهو خير وكيل، والله الموفق للصواب.

التمهيد...

١- الدولة الفاطمية، النشأة :

تناول كثير من الباحثين في دراساتهم الدولة الفاطمية، وقاموا بتتبع مسار هذه الدولة وتاريخها السياسي، والعقائدي، والاجتماعي، والحضاري، لذا جاءت هذه النبذة التمهيدية لتبين تلك المحاور الخاصة بالدولة الفاطمية، وبشيء من الإيجاز، حتى لا تقع الدراسة في تكرار ما جاءت به الدراسات السابقة.

لقد قامت الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي بزعامة المؤسس لمذهب الفاطميين (عبيدالله المهدي)، أول الخلفاء الفاطميين، الذي ولد في (سِلميَة)، سنة ٢٥٩هـ(١)، وكان أَبوه قد أرسل في سنة ٢٧٠هـ أَحد أَشياعه ويدعى (رستم بن حوشب الكوفي) إلى بلاد اليمن، لكي ينشر دعوة الفاطميين فيها، فاعتقد أهالي اليمن بشكل سريع أَن المهدي من آل عليّ بن أبي طالب _ رضي الله عنه _ وانتظروا ظهوره، وذلك بفضل ابن حوش الذي وسّع آفاق الدعوة لتشمل إرسال الدُّعاة إلى اليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب، ولما علم ابن حوش عن موت الحلواني وأَبي سفيان داعي الإسماعيلية في بلاد المغرب، عهد إلى أبي عبد الله الشيعي، وكان من أهل صنعاء، بنشر الدعوة الفاطمية الإسماعيلية في بلاد المغرب(٢).

وخرج أبو عبدالله مع أخيه أبي العباس من صنعاء إلى مكة، وبدأ يسأل عن حجاج كتامة، فدُلّ عليهم واجتمع بهم، ولم يفصح عن مراميه، وأنصت إلى حديثهم في فضائل أهل البيت وشاركهم فيه، فاستحسنوا منه ذلك: " ورأوا ما هو عليه من العبادة والزهد فعلق بقلوبهم، وصار يتعهدهم في رحالهم، فاغتبطوا به واغتبط بهم " (٣)، ولما انتهوا من الحج سار معهم إلى مصر، وكان يبالغ أثناء ذلك في الزهد والعبادة، فعظم في عيونهم وسألهم عن أحوالهم وأحوال بلادهم، وعن الظروف السياسية في بلاد

---

(١) هو عبيدالله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدّق بن محمد المكتوم، الفاطمي العلوي من ولد جعفر الصّادق، مؤسس دولة العلويين في المغرب، وجدُّ العبيديين الفاطميين أصحاب مصر، وأحد الدهاة، كان يسكن "سلمية" بسورية، انظر ترجمته في : ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة–بيروت، ١٩٧٠م، (د.ط)، ج٣، ص١١٧–١١٨.

(٢) إبراهيم، حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤، ط٣، ص٨٢.

(٣) ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٨، ص٣١.

المغرب، فتعرف منهم على أحوال البلاد ثم خرج معهم إلى بلاد المغرب، وكانوا قد سلكوا طريق الصحراء، وعدلوا عن القيروان إلى أن دخلوا بلد (كتامة) سنة ٢٨٠هـ، وتنافس القوم على إقامته بينهم، فسألهم عن (فجِّ الأخيار)، وساعدوه على بلوغ ذلك، وأَخيراً استقر أَبو عبد الله الشيعي بجبل (ايكجان)، الذي فيه فجّ الأخيار، ومن ذلك ذاع صيته، وتفرقت أخباره، وقصدوه من كل مكان[١].

وتمكن هذا الداعية بفضل دهائه وحسن تدبيره للأمور من الوصول إلى استمالة قبيلة (كتامة)، فالتَفَّتْ حوله وناصرته، ولأجل نشر دعوته والتأثير في نفوس البربر قام الداعية بتوظيف الأحاديث النبوية بما يخدم غرضه مع معرفته مدى تعلق القبيلة بالرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – مما عظم أمره، وكثر أتباعه باستمرار، وأخذ يعمل على تكوين المجتمع الذي يطمح إليه، وصبغ دعوته بالصبغة الدينية، مما جعل أتباعه على ثقة تامة به، ولما رأى أن مرحلة التكوين الداخلي في بلاد " كتامة " قد آتت ثمارها بفضل سياسة التوعية، وأصبحت له قوة يستطيع الاعتماد عليها من ناحية العدّة والعدد، وفي هذا الوقت وصلت الأنباء إلى الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ٢٦١–٢٨٩هـ، ولما تعرف أبو عبد الله إلى الظروف السياسية التي يمر بها الأغالبة في آخر عهدهم، رأى أن يبدأ مرحلة أخرى في تقرير مصير دعوته الإسماعيلية بالغرب الإسلامي، فبدأ بالفتوحات الأولى في أرض بني الأغلب، فأخذ المدن شيئاً فشيئاً، معتمداً على حماسة أتباعه من الكتاميين الناقمين على الأغالبة بسبب سوء تصرفهم، " فأخذ مَيْلَة، وبعدها توجه إلى سطيف فحاصرها، ثم تمكن من دخولها، وبعدها قصد طبنة "[٢]، وأخذ أبو عبد الله يشجع أنصاره على ما يشعل فيهم الحماس لدعوته والعمل في سبيل نصرتها لهم، ويقول: " المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إلي وأطاعني "[٣]، فزاد الحماس في أنصاره، والتقت جيوشه بجيوش زيادة الله الأغلبي في عدة مواقع، كان آخرها موقعة (الأَربس)، فانتصر فيها أبو عبد الله الشيعي، " وانتشرت جيوشه في البلاد، وعلا أمره، وبشرهم

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٢.

بأن المهدي قرب ظهوره "[١]، ولما حسم أبو عبدالله الأمر عسكرياً، دخل مدينة (رقادة) عاصمة الأغالبة سنة ٢٩٦هـ، واستولى على ما تركه زيادة الله من الأموال والسلاح، وتم القضاء على دولة الأغالبة، وكان ذلك إيذان بقيام الدولة الفاطمية.

ثم ارتحل أبو عبدالله الشيعي إلى (سِجلمَاسَة) في طلب المهدي، هذا الإمام المرتقب للخلافة الناشئة التي هيأ دعائمها، إذ يذكر ابن الأثير: " لما توفي محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام، عهد إلى ابنه عبيدالله، وقال له: أنت المهدي، وتهاجر بعدي هجرة بعيدة وتلقى محناً شديدة، فكانت رحلته إلى المغرب مع ابنه أَبي القاسم محمد، وفي طريقه ترك إفريقيا وقصد سجلماسة، حيث تم احتجازه من طرف أميرها، لما دارت حوله الشكوك بأَنَّه الإمام الفاطمي، وكان أَبو عبدالله على علم بذلك، فتوجه قاصداً سجلماسة في جيوش عظيمة أرعبت كل القبائل، فأقبلت تدخل في طاعته، وفتح في طريقه المغرب الأوسط، واسقط الدولة الرستمية سنة ٢٩٦هـ، وسار حتى وصل إلى سجلماسة، وهاجم أميرها (اليسع بن مدرار)، واستطاع أَن يحرر عبيدالله المهدي من سجنه في تلك السنة، ثم عاد إلى رقادة سنة ٢٩٧هـ، فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها وأهل القيروان وأبو عبدالله ورؤساء كتامة مشاة بين يديه وابنه خلفه، فسلموا عليه، فرد عليهم رداً جميلاً، وأمرهم بالانصراف ونزل بقصر من قصور رقادة، وأمر يوم الجمعة أن يذكر اسمه في الخطبة، ويلقب بالمهدي أمير المؤمنين في جميع البلاد " [٢].

وعندما نجحت محاولات أَبي عبد الله الشيعي في بلاد المغرب، أرسل إلى عبيدالله المهدي القاطن في سلمية يدعوه بالحظور إلى إفريقية، ورحّب بهذه الدعوة، ولكنّ الخليفة العباسي المقتدر علم بذلك، فأمر بالقبض عليه، وتوالت محاولات القبض عليه عدة مرات، ولكنه _ عبيدالله المهدي _ كان يفلت من المتربصين له، إذ دخل مصر في زيّ تاجر، وكان يحمل أمواله معه من سلمية ليقدم الرشوة للولاة الذين يعترضون طريقة وهو عائد إلى المغرب، وذلك ليسلم من الوقوع في قبضتهم[٣].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٧-٤٨.

(٣) إبراهيم، حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٨٢.

وبهذا كان أول من زاحم الخليفة العباسي في لقبه، وبإعلانه هذا سبب انقساماً في جسد الأمة الإسلامية، وتغيرت خارطة العالم الإسلامي، فصارت الأمة الإسلامية متفرقة إلى ثلاث دول، الخلافة العباسية بالمشرق وعاصمتها بغداد، والخلافة الأموية بالأندلس وعاصمتها قرطبة، والخلافة الفاطمية العبيدية بالمغرب الإسلامي وعاصمتها رقادة ثم "المهدية"، وبعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر ٣٦١هـ، اتخذت القاهرة عاصمة لها وزاد العداء بين هذه الدول، وتنافست فيما بينها وحاولت كل واحدة السيطرة وبسط النفوذ على الأخرى، فكان ذلك مدعاة لتفريق كلمة الإسلام وتلاشي وحدته السياسية، وكان من أمر الدولة الفاطمية أن دخلت حلبة الصراع من أجل توسيع نفوذها والسيطرة على جميع بلاد المسلمين.

وما إن استتبّ الأمن والاستقرار بالجهة الشرقية من المغرب الإسلامي حتى تحولت أنظار الفاطميين إلى الجهة الغربية، " فجهز لها جيشاً عرمرماً بقيادة عروبة ابن يوسف الكتامي، فأتى ملك بني رستم بـ (تيهرت)، وقضى بها على إمامة الخوارج لتكون أول عهد للجولات والصولات "(١)، واستمر العبيديون في زحفهم على المنطقة الغربية، " حتى وصلوا إلى مدينة وهران ودخلوها على يد أبي حميد اللهيصي، بعد حصار طويل، وكان ذلك في شعبان سنة ٢٩٨هـ "(٢).

ومن أشهر الأحداث التي وقعت في عهد عبيدالله المهدي، تصفية أبي عبدالله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي، وذلك لشعور أبي عبدالله بضياع نفوذه وسلطانه بعد تولي المهدي زمام الحكم، فتآمر بمعاونة أخيه أبي العباس وبعض رؤساء قبيلة كتامة على القضاء على المهدي، وقال فيه: " إن فعاله قبيحة ليست تشبه أفعال المهدي الذي كنت أدعو إليه وأخشى أن أكون قد غلطت فيه "(٣)، وعندما قتل ثارت فتنة كبيرة، ولكن المهدي تمكن من القضاء عليها، ونشر السكينة والأمن في البلاد.

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٠.

(٣) المراكشي، ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ط١، ج١، ص١٦١.

وجاء بعد عهد الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي الذي توفي سنة٣٢٢هـ، ابنه القائم بأمر الله الفاطمي، حيث اقتفى آثار أبيه واستطاع أن يؤثر في نفوس سامعيه، ووجه جهوده لنشر الاستقرار في ربوع المغرب، وبسط سلطان الدولة الفاطمية فيه، وواجه في عهده عدة ثورات كان أخطرها تلك التي تزعمها أبو يزيد مخلد بن كيداد الذي استطاع أن يجمع حوله البربر بجبال الأوراس، وتلقب بشيخ المؤمنين، ودعا للناصر صاحب الأندلس من بني أُميَّة، وهنا تتجلى محاولة الأمويين بالأندلس في مساعدة حركة المعارضين ضد الفاطميين، فنظم أبو يزيد جموعاً زاحفة إلى (الأربس)، والتقى بجيش الفاطميين فهزمهم واستولى عليها، ثم دخل (باجة)، وكان أَبو يزيد ينهب المدن التي يستولي عليها، ويقتل الأطفال ويسبي النساء[١].

وبعد معارك كثيرة بفرٍّ وكرٍّ استطاع الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي أَن يردّ حركات المعارض أَبو يزيد بن كيداد، وذلك باستعانته بالكتاميين والصنهاجيين، وانتهى الأمر له في الحكم حينها.

وبدأ بعد ذلك عهد المنصور بالله، الخليفة الفاطمي الثالث، حيث تولى الخلافة بعد وفاة أبيه القائم، وسار أيضاً على نهج أبيه، فقاتل مخلد بن كيداد، مصدر الحظر منذ آبائه وأجداده على خلافتهم، فاستطاع بعد عناءٍ طويل أن يقبض على ابن كيداد، وهو مثخن بالجراح سنة ٣٣٦هـ، وهو يُعدُّ مؤسس مدينة المنصوريَّة سنة ٣٢٧هـ، إذ اتخذ منها مركزاً لملكه [٢].

وتولى الخلافة بعد وفاة الخليفة الفاطمي المنصور بالله ابنه المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٤١، فبعد أن استتب له الأمر في بلاد المغرب، توجهت أنظاره إلى المشرق، وقد ساعدته ظروف مختلفة على تحقيق هذا الهدف، منها استقرار المنطقة، وسكون الثورات التي كانت تقوم ضد آبائه، فاهتم بهذه الحملة على مصر، وأعدّ لها العدة المادية والمعنوية، وقد كان للدعاة الفاطميين في مصر أثرهم البارز في نشر أفكار المذهب الشيعي بين المصريين، مما أدى إلى ضعف المقاومة والوقوف بوجه حملة القائد جوهر الصّقلي، إضافة إلى ذلك اضطراب الأحوال بعد موت كافور

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٤، ص٤٩-٥٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج١، ص١٧٧.

الإخشيدي سنة ٣٥٧هـ، فاستطاع جوهر أن يفتحها سنة ٣٥٨هـ[1]، ففرح بذلك المعز لدين الله، وتقدم ابن هانئ الأندلسي، وأنشد أبياته بين يدي الخليفة [2]:

تَقُولُ بَنُو العَبَّاسِ: هَلْ فُتِحَتْ مِصْرُ؟ فَقُلْ لِبَنِي العَبَّاسِ: قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ

وقَدْ جَاوزَ الإسكَنْدَرِيَّةَ جَوهَـــــــرٌ تُطَالِعُهُ البُشْـــــرَى، ويَقدُمُهُ النَّصْرُ

ولما هدأت الأمور في مصر، واستتبّ الأمن والاستقرار، بدأ جوهر الصِّقلي يعدّ العدة لنقل مركز الدولة العبيدية إلى مصر، فبنى للخليفة قصراً شمال الفسطاط، وبنى معه منازل الوزراء والجند، وكان هذا يُعدّ بداية لتأسيس مدينة القاهرة، فطلب من الخليفة الانتقال إليها سنة ٣٦٢هـ، فرحل إليها بماله وسلاحه وجيوشه التي لا تحصى ولا تعد، وطلب قبل رحيله من أمير المسيلة (جعفر بن علي بن حمدون) أَن يستخلفه على المغرب لقاء ما قدمه هو وأبوه من خدمة للدولة الفاطمية، ولكنه تعذر عن هذه المهمة، فآلت الأمور لاختيار (بلكين بن زيري الصّنهاجي)، فقال له المعز لدين الله: " تأهب لخلافة المغرب، فأكبر ذلك وقال: يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري، قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح "[3]، وبقي معه حتى أجاب وقال: " يا مولانا بشريطة أن تولي القضاء والخراج لمن تراه وتختاره والخبر لمن تثق به، وتجعلني أنا قائماً بين أيديهم، فمن استعصى عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين يديك "[4]، فرضي المعز بهذا وشكره وانصرف متوجهاً إلى مصر، وكان هذا آخر عهد للسلالة العبيدية بالمغرب الإسلامي.

وبعد تلك الأحداث تم للخلافة الفاطمية الثبات في مصر، وجاء بعد المعز لدين الله الفاطمي ليخلفه في الحكم ابنه العزيز بالله، حيث كان ذلك في سنة ٣٦٥هـ، واستمّر حكمه قرابة عشرين سنة، وفي عهده يذكر ابن خلكان أن نفوذ الدولة الفاطمية قد توسع في بلاد المشرق العربي شرقاً وغرباً، ليشمل ساحل المحيط الأطلسي، وبفضل

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج١، ١٤٨.

(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٥، ط١، ص١٣٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٢٠.

(٤) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،، تحقيق محمد حلمي محمد، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٣م، ج٢، ص٤٣.

ذكائه وسياسته المحنّكة استولى على حمص وحلب وحماة، ويشير ابن خلكان إلى أنَّ هذا الخليفة الفاطمي عرف بالتسامح والعفو والكرم، وقد كان يعامل أبناء المجتمع بالمساواة على مختلف أطيافهم الدينية، لذا عرف عنه التسامح الديني [١].

وبعد وفاة العزيز بالله الفاطمي اعتلى سدة الحكم ابنه الحاكم بأمر الله الفاطمي، وقد تولى ذلك وهو صغير السن، فكان قد تولى عنه أمور الدولة لحين بلوغه سن الرشد مربيه الخادم (برجوان)، وكان الخليفة الحاكم بأمر الله مغايراً لصفات والده، إذ كان شديد العداء لأهل السُّنّة وأهل الذِّمّة من اليهود والنصارى، وقد مرَّت البلاد خلال فترة حكمه بنوبات اعتداء من الخارج، ناهيك عن سخط الرعية عليه لما أثارته فرقة الدُّرزيَّة في عهده، والتي دعت إلى ألوهية الخليفة الحاكم بأمر الله، وقتل على آثرها سنة ٤١١هـ [٢].

وحينما قتل الحاكم بأمر الله الفاطمي جاء ابنه الظاهر ليتولى قيادة الحكم بعده، حيث استلم ذلك سنة٤١١هـ، واستمرت فترة حكمه ستة عشر سنة، وقد عُرف عنه السماحة وحسن المعاملة مع الرعيَّة، فكان عطوفاً على أهل الذمة وأهل السنة، وتوفي سنة ٣٢٧هـ، ولم تمرّ البلاد في عهده بأحداث سياسية، أو اضطرابات داخلية أو خارجية [٣].

وجاء عهد (المستنصر)، الخليفة الفاطمي أَبو تميم بن الظَّاهر، وقد ولد هذا الخليفة في سنة ٤٢٠هـ، وعهدت له الخلافة سنة ٤٢٧هـ، فكان عمره حينها سبعة أعوام، واستمرت خلافته قرابة ستين سنة، وهي بذلك تعد أطول فترات حكم الخلفاء الفاطميين، وقد كانت مصر وغيرها من بلاد المشرق في عهده تمرّ باضطرابات وأحداث، فتارة ينعم أهلها بالرخاء والسكينة في عيشهم، وتارة عكس ذلك، إلى أن أَصاب البلاد أوبئة ونكبات أَدَّت إلى ضعضعتها لفترة طويلة [٤].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ١٥٢-١٥٣.
(٢) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص٥٩-٦٠.
(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق حسين نصار، دار الكتب القاهرة، ١٩٥٦م، ج٤، ص٣٥٢.
(٤) إبراهيم، حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الأندلس-بيروت، ١٩٩٦م، ط١٤ ج٣، ص١٦٢.

وبعد فترة حكم المستنصر جاء باقي الخلفاء الفاطميين لسيتخلف كل واحد منهم الآخر في الحكم، وكانوا صغار السّن عند توليهم الحكم، " فحكم المُستعلي الخليفة الفاطمي سنة ٤٨٧-٤٩٥هـ، وجاء بعده الآمر منذ سنة ٤٩٥-٥٢٤هـ، ثمّ تلاه في الحكم الخليفة الفاطمي الحافظ سنة ٥٢٤-٥٤٤هـ، وتسلم بعده الخليفة الظافر الفاطمي الحكم سنة ٥٤٤-٥٤٩هـ، ليخلفه بعده الفائز الفاطمي سنة ٥٤٩-٥٥٥هـ، وانتهت فترة حكم الفاطميين، وزالت دولتهم في عهد آخر خلفائهم العاضد لدين الله الفاطمي، الذي امتدت فترة حكمه منذ سنة ٥٥٥هـ، ولغاية سنة ٥٦٧هـ، وقد قضي بذلك على دولة الفاطميين وخلافتهم في الحكم، وذلك على يد الدولة الأيوبيَّة"[١].

٢- المبادئ العقديَّة:

لقد جاءت الدولة الفاطمية منذ بداياتها في بلاد المغرب العربي، وهي تحمل أفكاراً ومبادئ عقائدية خاصة بها، وعملت على بثّ هذه العقيدة في تلك البلاد الواقعة تحت راية حكمهم، وقد ساعدهم على فعلهم هذا ظروف متعددة، منها قدرتهم على استمالة الأنصار لهم من الناس بشكل عام، ومن طبقة المتعلمين وفئة الشعراء بشكل خاص، فأخذوا يحفِّزون الشعراء والدعاة لنشر مذهبهم، فهم _ كما تبين للباحث _ ذوو سلطة كانت تملك من القوة الشيء الكبير، ناهيك عن ثروة هذه الأسرة الحاكمة من الأموال والذهب، التي بفعلها أصبح الشعراء يتوافدون إلى بلاط حكمهم من الخارج قبل الداخل.

ونبدأ بمؤسسها إسماعيل بن جعفر الصادق[٢]، وهي تنسب إليه في قولنا إسماعيليَّة، إذ كان الفاطميون يقرّون طوعاً وتصديقاً بنبوة سيد الخلق محمد _صلى الله عليه وسلم _، ولكنهم يرون أن الوصاية بعد النبي _ عليه السلام _ لعلي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _، وبعد عليّ الحسين ابنه من فاطمة الزهراء _ رضي الله عنها _، وبعد ذلك يرون أنها _ الخلافة _ انتقلت بالوصاية من الحسين لزين العابدين، فحمد الباقر، فجعفر الصادق، لتصل لابنه إسماعيل بن جعفر الصادق،

(١) الإسكندري، عمر، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني، مكتبة مدبولي-القاهرة، ١٩٩٠م، ص٢١٩-٢٢٠.
(٢) هو إسماعيل بن جعفر الصادق بن الباقر، وإليه تنسب فرقة الشيعة " الإسماعيلية "، انظر ترجمته : الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٨٤م، طـ٦، ج١، ص٣١١.

وتمتد بعد ذلك للخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي، حتى تنتهي بالعاضد أحد الآحفاد وآخرهم في تلك الأسرة الحاكمة.

وقد كان الفاطميون _ عبيدالله المهدي وأبناؤه وأحفاده _ يرون أن أَئمتهم من البشر، ويجري عليهم ما يجري على أبناء جنسهم من موت وحياة، وهم بذلك يخالفون الغلاة من الشيعة، الذين نادوا بألوهية عليّ والأَئمة من بعده، واعتقدوا أنهم أحياء يرزقون، وكانوا أيضاً يخالفون الغلاة من الشيعة (الإثنى عشريَّة)، الذين ذهبوا إلى غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكري، وإنه سيظل حياً حتى يعود ليملأ الدنيا عدلاً.

أَمَّا عن الإمامة فقد قال الفاطميون إنَّها: تنتقل من الآباء إلى الأبناء، ولا تنتقل من أَخٍ إلى أخ، بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين ابني علي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _، فالأَب ينصُّ على ابنه في حياته، وهذه العقيدة أصل من أصول المذهب في تسلسل الإمامة عند الفاطميين، وقد أَوَّلُوا قول الله تعالى: { وجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيةً في عَقِبِهِ }[1]، بأَنَّ الله _ سبحانه وتعالى _ لا يترك العالم خالياً من إمام ظاهر مكشوف، أَو باطن مستور، تنتقل الامامة إليه بعد أبيه الإمام من نسل علي بن أبي طالب _ رضى الله عنه _ [2].

ويرى أَصحاب المذهب الشيعي الإسماعيلي أَن الإمام حجة لله على الخلق، وهو سبب الهداية في الحياة، لذا جعلوا هذا الأمر فرضاً على كلِّ فرد مسلم، بل عدّوا ذلك من أركان الإيمان والدين.

ومن أبرز المعتقدات عند أصحاب هذا المذهب وجوب معرفة الإمام كشرط من شروط الولاية، حيث استدل الفاطميون على وجوب معرفة الإمام بحديث قيل إنه للنبي _ صلى الله عليه وسلم _ وهو: " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"[3].

ويرى الباحث أَنَّ هذا المعتقد الديني مخالف لتعاليم الإسلام، وهو قائم على الباطل والضلال، ونحن كسُنَّة بريؤون من ذلك المذهب واصحابه.

---

(1) سورة الزخرف، آية ٢٨.

(2) حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط،/ت)، ص٢٢.

(3) الشيرازي، هبة الله المؤيد في الدين داعي الدعاة، المجالس المؤيديَّة، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس- بيروت، ١٩٧٤م، ج١، ص١٥٦.

ويرى الباحث أَنَّ مسألة الإمام عند الخلفاء الفاطميين من أَهمِّ المعتقدات التي وقفوا عليها، وأولوا هذا المبدأ جلَّ تعاليمهم وتحليلهم، فهَم يرون فرقاً بين الإمامة والوصاية، ففي معتقداتهم يعدُّ عليّ بن أبي طالب _ رضي الله عنه _ وصيَّاً وليس إماماً، فهم يرون أن: " الإمامة في الرتبة دون الوصايا "(١)، أَي أَنَّ علياً كان وصي النبي محمد _ صلى الله عليه وسلم _، وكانت الإمامة بعده لأبنائه الحسن ثم الحسين، وتأتي بعدهم الإمامة في الولد بعد الوالد، وهذا ما قد رأيناه في خلافة الفاطميين منذ تأسيسها على يد الخليفة عبيدالله المهدي الأول، وحتى انتهائها بالعاضد الفاطمي آخر الخلفاء الفاطميين.

ولتركيز الفاطميين على قضية الإمام نرى المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله الشيرازي قد أولى هذا الجانب اهتماماً كبيراً في مجالسه المشهورة.

أما في جانب التوحيد عند الفاطميين، فهم كما يصف المؤيد يرون أن: " الدين له فرع وأصل، وإِنَّ أَصل الدين معرفة توحيد الله "(٢)، " ولكن توحيد الله يكبر عن أن تحصره النفوس، أو تدركه العقول "(٣)، لذا حذَّروا من التعمق في البحث عن خالق الكون والنشأَة الأُولى، مقتفيين بذلك بأَثرٍ رووه عن النبي محمد _ صلى الله عليه وسلم _ وهو " إياكم والتعمق فإِنَّ من هلك قبلكم هلك بالتعمق " (٤).

وللفاطميين في الجانب العقائدي مبادئ واعتقادات مذهبية بنوا على أساسها مذهبهم الذي جاؤوا به، فلهم في التأويل ووجوبه، وقادهم تأويلهم إلى قضية الإعجاز في آيات القرأن الكريم، ولهم في نظرية المثل والمثول شرحٌ وتفصيلٌ يصعب على هذه النبذة التمهيدية تبيينها، خشية أن يتحول تمهيد الباحث لفصل نظري يصعب إغلاقه بشكل مختصر، ولكن للقارئ أن يستزيد حول معتقدات الفاطميين من كتاب (المجالس المؤيديَّة)، للمؤيد في الدين داعي الدعاة، علماً أَنَّ هنالك أُموراً عقائدية سوف يكشف الفصل الثاني من هذه الدراسة عنها، وهو موقف الشاعر من السلطة الفاطمية عقائدياً، فسنلاحظ أن الإمام أو الخليفة الفاطمي كما يعتقد أصحاب هذا المذهب معصومٌ عن

---

(١) الشيرازي، المجالس المؤيديَّة، ج١، ص٩١.
(٢) الشيرازي، المجالس المؤيديَّة، ج١، ص٤٥.
(٣) الشيرازي، المجالس المؤيديَّة، ج١، ص٦.
(٤) الشيرازي، المجالس المؤيديَّة، ج١، ص١٧٦.

الخطأ، وأَنه مخلوق من نور الله _ سبحانه وتعالى _، وهو وجه من وجوه الله كما يعتقد بعض الشعراء، إضافة إلى نصر الخليفة على الأعداء بتأييد السماء وملائكة الله _ عز وجل _، وأَنَّ الخليفة يرى من الغيب ما لا يراه غيره، وغيرها من المعتقدات الدينية التي جاء بها أصحاب هذا المذهب.

٣- المجتمع والحضارة:

لقد تعددت أجناس السكان واختلفت طوائفهم في حقبة الفاطميين، فسكان مصر في ذلك العهد كانوا: " أخلاطاً من الناس مختلفة الأصناف من القبط والروم والعرب والبربر والأكراد والديلم والأرمن "(١)، وكانت كل هذه الأجناس خليطاً يندرج تحت راية الدولة الفاطمية.

ولكن لكل مجتمع _ بعيداً عن تعدد الأجناس والطوائف _ تقسيمات لطبقات ساكنيه، وهذا ما كان في مصر الفاطمية حينها، فكان هناك طبقة الخاصة، وتشمل الأُسرة الحاكمة، والأشرف وأرباب الوظائف من أصحاب السيوف والأقلام، وأصحاب الدواوين والوظائف الدينية وغيرها، وطبقة العامة وتشمل التجار والباعة وأصحاب الصناعات، والحرف والفقهاء وطلاب العلم والعبيد وغيرهم، بالإضافة إلى العناصر المميزة في المجتمع وهي: أَهل الذِّمَّة والمرأة (٢).

وكان أَهل الخاصة يمثلون رأس الهرم والأسرة الحاكمة، فعمد الخلفاء الفاطميون لإدارة البلاد بأنفسهم إلى جانب ولاتهم ووزرائهم الذين كانوا يدينون لهم بالولاة والطاعة، ومن أَجل نشر مذهبهم الجديد على المجتمع الشرق عربي في تلك الفترة، عمد الخلفاء الفاطميون إلى البهرجة أَمام العيان من الرعية، فاهتموا بالأَعياد الدينية الرسمية، كعيد الفطر وعيد الأضحى المعروف لديهم (بعيد النَّحر)، وأَولوا مناسبات إسلامية شتَّى جُلَّ اهتمامهم، فاحتفلوا بعيد رأس السنة الهجرية، والذي يعد من: " أَبهج الاحتفالات الفاطمية، حيث كان الاستعداد لهذا الاحتفال يبدأ في الأيام العشرة الأخيرة من شهر ذي الحجة، فيخرجون الأسلحة، ويعدُّون الخيل لتشارك في المواكب الكبيرة صبيحة يوم الاحتفال " (٣).

---

(١) الأندلسي، أُميَّة بن أبي الصلت، الرسالة المصرية، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٢٣.
(٢) سلطان، عبد المنعم، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دار الثقافة العلمية، ١٩٩٩م، ص٩.
(٣) سلطان، عبد المنعم، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص١٢٣.

ومن الاحتفالات التي كان يرعاها خلفاء الدولة الفاطمية المولد النبوي الشريف، "إذ كان يتميز هذا الاحتفال بكثرة ما يوزع فيه من الصدقات والأطعمة والحلوى، وكان يبدأ هذا الاحتفال بشكل رسمي بعد صلاة ظهر اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فيخرج قاضي القضاة على رأس موكب الاحتفال، وبصحبته الشهود العدول والمكلفون بحمل صواني الحلوى، ويتجه الجميع إلى الجامع الأزهر، وهناك يجلس القاضي مدَّة من الوقت لسماع القرآن حتى يتم ختم المصحف الشريف، ثم يعود الموكب إلى القصر، وحينها يكون الناس قد تجمعوا على جنبات الطريق لمشاهدة الموكب، أو يقومون بالتجمع عند باحات قصر الخليفة ليروه، وفي هذا الأثناء يكون الحرس وخدم الخليفة يعملون بجهد لإبعاد الناس عن طريق الموكب الذي يرأسه قاضي القضاة عائداً إلى قصر الخليفة " (١).

وقد كان هناك أعياد خاصة بالدولة الفاطمية، وهي خاصة بمعنى أَنها وليدة معتقداتهم، فلم تكن موجودة قبل عصرهم، وعلى الرّغم من خصوصيتها كان الخلفاء يحتفلون بها مع الرعية عامة، ومن تلك الأَعياد (عيد النَّصر): " وهو السادس عشر من المحرّم، عمله الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي، لأنه اليوم الذي ظهر فيه من محبسه، ويفعل فيه ما يفعل في الأَعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة" (٢).

غير أن هناك مواسم احتفال لدى الفاطميين تعدُّ في حدٍّ ذاتها مدعاة للحزن والأسى، وعلى الرغم من ذلك كانوا يحتفلون بها، مثل (يوم عاشورا): " فكانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، ويعمل فيه السماط العظيم المسمَّى سماط الحزن، وقد كان يصل منه شيء كثير إلى الناس، وهو يعد من مراسم المشهد الحسين عند الفاطميين " (٣).

وبعيداً عن الاحتفالات بالأعياد الإسلامية الرسمية والأعياد الشيعية الخاصة، نرى أن السلطة الفاطمية كانت تشارك كافة أطياف المجتمع في أعيادها، بعيداً عن النظر لديانة أصحاب هذه الأعياد، فالخلفاء الفاطميون كانوا يشاركون النصارى _ أهل الذمة

---

(١) سلطان، عبد المنعم، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص١٢٦-١٢٧.
(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر-بيروت، ج١، ص٤٩٠.
(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٠.

_ في أَعيادهم ومناسباتهم، ومنها عيد ميلاد المسيح: " وهو اليوم الذي ولد فيه عبدالله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم _ عليه السلام _، والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيداً، وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية والمتارد التي فيها السمك، وقرابات الجلاب، وطيافير الزلابية والبوري، فيشمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف والأقلام " (١).

ولم تقف مشاركة الفاطميين لأهل الذمة في عيد ميلاد المسيح فحسب، بل كانوا يشاركونهم في " عيد الغطاس وخميس العهد " (٢).

ويرى الباحث أَنَّ خلفاء الدولة الفاطمية ورجال دولتها في تلك الفترة كانوا يعمدون لاختلاق مناسبات واحتفالات متكررة، وذلك إِمَّا للاستعراض أَمام الرعية وبث العقيدة الخاصة بهم بطريقة غير مباشرة، أو لإظهار خلافة دولتهم كندٍّ لدولة بني العبَّاس وأُميَّة في تلك الفترة، وهي في المحصلة مجرد بهرجات استعراضية عمد إليها الخلفاء الفاطميون لبث عقيدتهم، وجعلها مؤثرة في نفوس الناس.

ومن تلك المناسبات التي يرى الباحث أَنَّها شبه يومية (أَيَّام الرُّكوبات): " إِذ كان الخليفة يركب في كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين والتاج، وقبة الهواء، والخمس وجوه، وبستان البعل، ودار الملك، ومنازل العزّ والروضة، فيعمّ الناس في هذه الأَيام من الصدقات أَنواع ما بين ذهب، ومآكل، وأَشربة، وحلاوات، وغير ذلك " (٣).

ولعل المتأمل لتاريخ الدولة الفاطمية منذ نشأتها سياسياً وعقائدياً واجتماعياً، يرى لمثل هذه الأبعاد والجوانب الأثر في حضارة الدولة الفاطمية، ولا ننكر أَنَّ أرض مصر كانت حضارة لا تدانيها حضارة قبل الفاطميين، ولكن مع قدوم هذه الخلافة الجديدة نرى أَنَّه أَصبح للحضارة في عهدهم لون جديد، وصبغة غير مألوفة شيء ما، فالفاطميون لثرائهم وكثرة كنوزهم كانوا يميلون إلى البذخ في كل نواحي حياتهم، فالذي يجعلهم يبذلون الكثير في الأَعياد، لا يمنعهم من بذل أَكثر منه لبناء حضارة لهم تضاهي باقي الحضارات، فقد اهتموا بقصورهم، وما تشتمل عليه هذه القصور من

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٤.
(٢) للاستزادة حول هذه الأعياد والمناسبات عند أهل الذِّمة النصارى زمن الدولة الفاطمية انظر : المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٤-٤٩٥.
(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٥.

ساحات ورياض ومنتزهات ونوافير، بل اهتموا أَيضاً بجانب العمران، وبناء المدن وأبوابها والسَّواري والأَديرة، وغيرها من مظاهر الحضارة، إضافة إلى اهتمامهم ببعض ما شخص أمامهم من حضارات قبلهم، كأَهرام مصر، والنيل، وغيرها من معالم الحضارات السابقة لعدهم.

ففي جانب القصور الخاصة بهم نراهم يبذلون الكثير للتفنُّن بجوانب عمرانها، فقد أَورد المقريزي في (خططه) تفاصيل هذه المعالم الحضارية الخاصة بهم، ويذكر (القصر الكبير)، وهو قصرٌ بناه القائد جوهر الصِّقلي للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، إذ يقول المقريزي في ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم، والالماع بطرف من مآثرهم: "اعلم أَنَّه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر، منها القصر الكبير الشرقي، الذي وضعه القائد جوهر عندما أناخ في موضع القاهرة، ومنها القصر الصغير الغربيّ، والقصر اليافعي، وقصر الذهب، وقصر الأقيال، وقصر الظفر، وقصر الشجرة، وقصر الشوك، وقصر الزّمرد، وقصر النسيم، وقصر الحريم، وقصر البحر، وهذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير، ويقال لها القصور الزاهرة، ويسمى مجموعها القصر، وكان بجوار القصر الغربيّ الميدان والبستان الكافوري، وكان لهم عدّة مناظر وآدر سلطانية غير هذه القصور، منها دار الضيافة، ودار الوزارة، ودار الوزارة القديمة، ودار الضرب، والمنظرة بالجامع الأَزهر، والمنظرة بجوار الجامع الأَقْمُر، ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة، ومنظرة الغزالة، ودار الذهب، ومنظرة المقس، ومنظرة الدّكة والبعل والخمس وجوه، والتاج وقبة الهواء، والبساتين الجيوشية، والبستان الكبير، ومنظرة السكرة، والمنظرة ظاهر باب الفتوح، ودار الملك بمدينة مصر، ومنازل العزّ بها، ومنظرة الصناعة بالساحل، ومنظرة بجوار جامع القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الأولياء "(١).

فهذه القصور السابقة الذكر بما تحتويه من مرافق ومسميات لأجزائها تشكل جزءاً من حضارة الدولة الفاطمية، إضافة إلى المتنزهات والرياض التي كان يجد فيها الخلفاء الفاطميون متنفّساً للنزهة والتمتع بترف الحياة، حيث: " كان للخلفاء الفاطميين مناظر

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٨٣-٣٨٤.

كثيرة بالقاهرة، ومصر، والروضة والقرافة وبركة الجيش، وظواهر القاهرة، وكانت لهم عدّة منتزهات أيضاً في ذلك الوقت "[١].

ومما سبق يرى الباحث أَنَّ دولة الفاطميين دولة ذات بعدٍ سياسي قائم على الجانب العقائدي الذي يدينون به، وعندما تمّ لهم أمر دولتهم، وتوسيع نفوذهم في بلاد المغرب الغربي، والمشرق العربي، أَصبح لهم حاضرٌ اجتماعي واقتصادي نراه جلياً في حضارتهم، وما علق بها من مختلف جوانب الحياة.

وقبل الولوج في صلب جزئيات هذه الدراسة نؤكد نحن كسنَّة رفضنا المطلق لما يدعيه أصحاب هذا المذهب الشيعيَ الفاطميَ، ولا نقبله جملة وتفصيلا، وذلك لمخالفته الشرائع الإسلامية، ومبادئ ديننا الحنيف، وسنَّة نبينا الحبيب محمد – صلّى الله عليه وسلم–.

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٦٥.

الفصل الأول

موقف الشاعر من السلطة الفاطمية سياسياً

بدأ تأثير السلطة الفاطمية الحاكمة وأعوانها من وزراء وولاة واضحاً خلال فترة حكمهم في الشعر، فقد ظهر ذلك من خلال الهبات والأعطيات التي كانت تمنح لطبقة الشعراء لقاء ما ينظمونه من أشعار في خلفائهم ورجال دولتهم _ الوزراء والولاة وغيرهم _، إذ كانت هذه الأشعار عند مختلف الشعراء تتناول جوانب كثيرة تخص شؤون الأُسر الحاكمة، فركزوا على أبرز جهودهم السياسية في إقامة دولتهم، وخلافتهم في بلاد المغرب العربي، وكيف تم بفضل سياستهم أن ينقلوا ويبسطوا نفوذهم على بلاد المشرق العربي.

غير أن هناك لكل سلطة حاكمة أَينما وجدت مؤيدين ومعارضين، فحقبة الفاطميين لم تخل من وجود بعض الشعراء المعارضين لخلفائهم وأعوانهم من الوزراء ورجال الدولة، وقد كان هؤلاء الشعراء يقفون عند الجانب العقائدي، ويعزفون على هذا الوتر الحساس ، فهو بنظرهم من أهم الدعائم التي يمكن أن تستثير همم الناس في قيام الثورات ومعارضة الحاكم الفاطمي وسلطته، علماً بأن هؤلاء المعارضين لا يمكن أن يقارن بعدد أولئك المؤيدين لتلك السلطة في مذهبها، لذا يرى الباحث أن يورد هذه الطائفة المعارضة من الشعراء في الفصل الثاني الذي يلي هذا الفصل، وذلك لأن نماذج الشعراء المعارضين للسلطة الفاطمية قد جاءت من الجانب المذهبي.

وعليه جاء هذا الفصل من الدراسة ليبين موقف الشاعر من سياسة السلطة الفاطمية، سواء الداخلية أو الخارجية، ويمكن تناول هذا الجانب ضمن المحاور الآتية:

١،١ السياسة الداخلية.

٢،١ السياسة الخارجية:

أ- العباسيون والأمويون.

ب- الرُّوم.

١،١- السياسة الداخلية:

لا شكَّ في أَن مؤثرات التأييد عند الشعراء قديماً للحاكم أو السلطان يعروها الجانب المادي والحصول على الجاه والمنصب، وكان ذلك منذ نشأة الشعر العربي من أبرز الدوافع عند بعض الشعراء المادحين، ولكن ذلك لا ينطبق على جميع الشعراء، فهناك من هم على غير ذلك.

وقبل الولوج في هذا الجانب السائر في طريق التأييد عند الشعراء لسياسة الخليفة الفاطمي وأعوانه، لا بدّ من التعرف على سياسة الدولة الفاطمية الخاصة بها وفقاً لمنبعها الرئيسي، ألا وهو الجانب العقائدي الديني الذي أملى على خلفاء الدولة الفاطمية خارطة التعامل سياسياً مع من حولهم.

لقد قامت الدولة الفاطمية بدعواتها في أواخر القرن الثالث الهجري، وكانت في بداية الأمر غير معلنة في الشمال من إفريقيا، وبعد أن تمّ التيقن من قوة هذه الدعوة أعلنت وسيطرت على إفريقيا من برقة حتى المحيط الأطلسي، وتوجهت بعد ذلك أنظار الفاطميين إلى بلاد المشرق، وأصبحت لديهم المطامع في الاستيلاء وبسط نفوذهم عليها، ونجحوا في ذلك بعد أن فتحها لهم القائد جوهر الصقلي، وأسس فيها قاعدة وعاصمة يحكمها خليفته الفاطمي المعز لدين الله.

وكانت القاهرة قاعدة الدولة الفاطمية ومركز نشاطها السياسي والعسكري والفكري، ومنها توجهت جهودهم السياسية وانطلقت جيوشهم وأساطيلهم للسيطرة على الشام وجزر البحر المتوسط، ومقاومة الدولة العباسية والملتفين حولها من أمراء المشرق وزعماء القبائل العربية في الجزيرة وبلاد الشام وبادية العرب، وفيها حاولوا السيطرة فكرياً وعقدياً على العالم الإسلامي عن طريق تأهيل الدعاة في مدارسهم، وبخاصة في دار العلم أو دار الحكمة، ودفعهم إلى مختلف بلاد الاسلام شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً ليبثُّوا العقيدة الفاطمية الإسماعيلية، ويمهدوا بهذه الدعوة الدينية للسيطرة السياسية [١].

---

(١) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د. ط/ت)، ص١٩.

واستطاع الفاطميون آنذاك أَن يستغلوا موقع مصر المتوسط في العالم الإسلامي لصالح مطامعهم وبسط نفوذهم، فكانت هذه الأرض خصبة بالنسبة لهم بالطاقات البشرية والفكرية والطبيعية والاقتصادية، وغيرها من الجوانب الداعمة لقيام دولتهم .

وإضافة إلى هذه العوامل فقد آذنت وسائل التفكك وعوامل الضعف بتقليص سلطان العباسيين والاقتطاع من دولتهم في الشرق والغرب، وبدأت الدويلات والإمارات تنفصل انفصالاً تاماً أو جزئياً عن مركز الدولة بالعراق، وتتابعت الثورات في أنحاء كثيرة بالجزيرة العربية بساحل الخليج وجنوب العراق وبادية الشام، وفي أصقاع الشام ومصر واليمن، وشمال أفريقيا (١).

وتعددت الدعوات السياسية والدينية، واستغل الشيعة ضعف الدولة ونفذوا ما كانوا يخططون له من وراثة الخلافة على اعتبار أحقيتهم من العباسيين الذين أقاموا ملكهم على أساس الانتصار لهم والانتقام لقتل الحسين والعلويين واضطهادهم على أيدي الأمويين، ثم احتازوا المُلك والسلطان لأنفسهم ولم يكتفوا بذلك، بل تعقبوا العلويين، وحاربوهم ونكلوا بهم كما نكل الأُمويون بهم بل أَشد (٢).

وبعد تلك الأحداث تشكلت الخلافة الفاطمية على أساس إمامي ديني، الخليفة فيها هو المعصوم الذي نال الخلافة بالوصاية، ولا حق للناس في خلافه أو معارضته، كما أنه لا حق لهم في اختياره أو بيعته، فهو موصى إليه بالإمامة على الناس والقيام بأمر دينهم ودنياهم، وهم مجبورون على الطاعة له والائتمار بأمره (٣).

وعند الحديث عن الجانب السياسي في الدولة الفاطمية، فإن الشعراء هنا معنيون بتصوير النهج السياسي للدولة داخلياً وخارجياً، مادحين أو ناقمين ساخطين، وهذه مهمة الشاعر كما عهدنا، يسلط الضوء على ما يخص الدولة من أحداث.

لذلك سيتناول الباحث في هذا الجانب سياسة الخلفاء الفاطميين الداخلية، وكيف كانت روابط العلاقة بينهم وبين الرعية من عامة الناس، وسيتطرق إلى السياسة الخارجية بشقيها، الخارجية التي تدور في محور علاقات الفاطميين بغيرهم من العرب،

---

(١) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب، ص٢٠.
(٢) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب، ص٢٠.
(٣) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب، ص٢٢.

أي بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية والأموية في تلك الفترة، والخارجية التي تدور في محور علاقاتهم غير العربية كموقفهم من دولة الروم آنذاك.

وبحكم قرب الشعراء آنذاك من السلطة واطلاعهم عن كثب على مجريات الأمور، وما كانت تمرُّ به الدولة الفاطمية من أحداث سياسية خارجية وداخلية، فإنهم قد رصدوا وسجلوا تلك الأحداث والجوانب السياسية في أشعارهم، مهما اختلفت أهدافهم ومواقفهم، فهم جزء لا يتجزأ من الحياة.

كانت سياسة الفاطميين الداخلية من أهم أفرع السياسة المتبعة لتمكين دعائم الدولة الفاطمية الحاكمة، وكما نعلم لقد كانت الدولة الفاطمية دولة مذهبية تسير على خطى التشيع، ولم تكن دولة ذات بقعة جغرافية منذ القدم، أي أنها تختلف اختلافاً كلياً عن دولة العباسيين ودولة الأمويين، ولقاء تلك الحداثة والبدايات لتأسيس دولة الفاطميين، كان ينبغي على خلفائهم اتباع سياسة ناجحة تنظم أمور دولتهم الفتية، ومن هؤلاء الخلفاء الذين نجحوا في خلافتهم جراء نهج سياستهم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي.

لقد كان عُمْر المعز عند حضوره لمصر ثلاثة وأربعين عاماً، ونهج في مصر سياسة تجمع بين الإغراء بالمال والإصلاح بالحسنى، والحزم الذي لا تهاون معه وقت الضرورة، تلك السياسة التي عرفت "بسيف المعز وذهبه"، فمن لا يصلحه المال، أصلحه السيف والعكس صحيح، فإنه قد يبدأ بالسيف من يرى فيه العناد حتى إذا ملكه اصطفاه بذهبه، وما يغدق عليه من المناصب والجاه والمال حتى يصبح ولياً طيّعاً، وسارت تلك سياسة خلفه من أبنائه وأحفاده (١).

ولقد كان لهذه السياسة الداخلية الأثر الكبير في موضوعات الشعراء آنذاك، حيث بدأ الشعراء بالحديث عن صفات الخليفة الفاطمي التي جعلته قريباً من الرعية، ومن هذه الصفات الحلم، فهو علاوة على أَنه صفة خلقية يعد حنكة سياسية يلجأ إليها كثيرٌ من السلاطين والحكام لإرساء دعائم حكمهم، ويبسطون نفوذهم على الرعية داخل الدولة، وتدخل في هذه الصفة الخُلقية أَو الحنكة السياسية – كما أَسميناها – خصالٌ أُخرى: كعلوِّ الهمَّة، ورباطة الجأش، وسعة الصدر، والتسامح والتريث، وهي في

(١) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب، ص٢٧ .

المحصلة صفات المروءة العربية التي تمنح صاحبها ثقة بالنفس، وثباتاً إذا ادلهمت الأمور عليه، ويعلي من مكانته في نفوس رعيته، وقد ركّز الشعراء ومنهم على وجه التحديد ابن هانئ على هذا الجانب، وبيّن أثره في سياسة الخليفة الداخلية، فالخليفة الفاطمي حليم تثبت فيه صفة الحلم كثبات الجبل، كما يقول ابن هانئ الأندلسي، (1):

والأَرْضُ تَحْمِلُ حِلمَهُ فيَؤودُهَــا حَتّى تكَــادَ بأَهْلِها تتَــزَلْزَلُ

ويشير ابن هانئ في موضع آخر إلى هذه الصفة في المعز لدين الله الفاطمي ، والتي هي بمثابة دستور يسوس به رعيته، إذ يقول (2):

كَأنَّ حِلْمَكَ أَرسَى الأَرْضَ أَو عُقِدَتْ بِــهِ نَواصي ذُرَى أَعْلامِهَا القُــودِ

ومن البديهي أَن يُرافق حلم المعز لدين الله أُمورٌ أخرى، تعدُّ من متطلبات سياسته الداخلية مع الرعية، فالحلم والصفح عند المقدرة صنوان لا يفترقان، وهما أيضاً أساسيان في بناء قواعد الحكم وتثبيته في الرعية، يقول ابن هانئ (3):

نَدْعُوهُ مُنْتَقِماً عَزِيــزاً قــادِراً غَفَّارَ مُوبِقَــةِ الذُّنُــوبِ صَفُــوحَــا

أَجِــدُ السَّمَــاحَ دَخِيلَ أَنْسَــابٍ ولا أَلْقَــاهُ إلاَّ مِــنْ يَدَيْــهِ صَرِيحَــا

ويأتي ابن هانئ ليروّج لممدوحه المعز لدين الله أمام العيان بشكل أوسع، فهو ليس حليماً يصفح عن الناس فحسب، بل يقابل الإساءة بالحسنة، ليستميل قلوب الناس وعقولهم في الانصياع لطاعته، وهذه سياسة حكيمة للخليفة، فيقول في ذلك (4):

وصَدَرْتَ تَحْبو النَّاكِثِيــنَ مَواهِبَــاً هَزَّتْ قُؤولاً للسَّمَــاحِ فَعُــولا

وهِي الجَرَائِمُ والرَّغَائِبُ مَا التَقَــتْ إلاَّ لِتَصْــفَحَ قَــادِراً وتُنِيْــلا

ويركز الشاعر على هذه الصفة عند الخليفة لارتباطها الوثيق بعلاقته مع الرعية، ومدى انصياعها لحكم الخليفة، وهو محتاج لهذه الصفة لاستمالة القلوب والعقول إليه، فيقول (5):

وأَنْتَ بَدَأْتَ الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ وأَنْتَ سَنَنْتَ العَفْوَ عَنْ كُلِّ مُجْــرِمِ

ومَنْ يَتَيَقَّنْ أَنَّ للعَفْــوِ مَوْضِعَاً مِنَ السَّيْفِ يَصْفَحْ عَنْ كَثِيرٍ ويَحْلُمِ

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣١٩.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٠٥.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٧٣-٧٤.
(4) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٧٧.
(5) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٤٨.

وكما أن سياسة الحكم تتطلب العفو والسماحة، فإنها أيضاً تتطلب من الخليفة أن يكون حازماً في كثير من الأمور التي ينبغي فيها ذلك، فالخليفة حازم ذو عزيمة وهيبة، كما يقول ابن هانئ، لأن هذا من أركان الحكم أيضاً، (١):

وأَنْتَ كَلُوءُ الدَّهْرِ لا الطَّرْفُ هَاجِعٌ ... ولا العَزْمُ مَرْدوعٌ ولا الجَأْشُ مَنْخُوبُ

وعَزْمٌ يُظِلُّ الخَافِقَيْنِ كَأَنَّهُ ... عَلى أُفُقِ الدُّنْيَا بِنَاءٌ وتَطْنِيْبُ

ويشير ابن هانئ في موضعٍ آخر إلى أَن المعز لدين الله خليفةٌ عزمه مؤيد عندما تستعظم الأمور، يلبي النداء إذا نودي لقوة عزيمته، وما هذا إلا لقربه من الرعية ومدى حرصه على قضاء مصالحهم، إذ يقول (٢):

مُؤَيَّد العَزْمِ للجُلَّى إِذَا طَرَقَتْ ... مُنَدَّدِ السَّمْعِ في النَّادِي إِذا نُودي

ولإرساء هيبة الخليفة وتثبيتها في نفوس رعيته، فإن الشاعر يؤكد صفة العزم وثباتها في نفس الخليفة، حتى شعرت الجبال هيبته، وإذا ما أراد أمراً فإنه حاصل بعزمه لا محالة، يقول ابن هانئ (٣):

وإِذا أَبَيْتَ فَعَزْمَةٌ مَضَّاءةٌ ... لا بُدَّ أَنَّ قَضَاءَهَا مَفْعُولُ

ولَقَدْ أَتَيْتَ الأَرْضَ مِنْ أَطْرَافِهَا ... ووَطِئْتَهَا بالعَزْمِ وهِي ذَلُولُ

واسْتَشْعَرَتْ أَجْبَالُهَا لَكَ هَيْبَةً ... حَتّى حَسِبْنَا أَنَّهَا ستَزُولُ

ويرى ابن هانئ أَن عزيمة الخليفة المعز لدين الله تتصف بالأناة والتَرَّيّث، كما اتصف بصفحه وعفوه بالمقدرة، وهي لازمة من لوازم الحكم والسياسة، وأساس في التعامل مع الرعية، إذ يقول (٤):

ومَا الرَّأيُ إلاَّ بَعْدَ طُولِ تَثَبُّتٍ ... ولا الحَزْمُ إلاّ بَعْدَ طُولِ تَلَوُّمِ

وغالباً ما كان حزم الخليفة مقترناً بالأناة والعزم، وهي السياسة التي رآها الخليفة صالحة للحكم وإدارة الدولة، يقول الشاعر (٥):

بَلْ لَوْ ثَنَيْتَ إِلى الخَلِيْجِ بِعَزْمَةٍ ... سَرَتِ الكَواكِبُ فِيْهِ وهِي سَفِيْنُ

لَوْ لَمْ تَكُنْ حَزْماً أَنَاتُكَ لَمْ تَكُنْ ... للنَّارِ في حَجَرِ الزِّنَادِ كُمُونُ

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٤٥-٤٦.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٠١.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٩٣.
(٤) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٤٨.
(٥) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٤٠٤.

ولأَنَّ صاحب السلطة كالخليفة المعز لدين الله الفاطمي هو المتحكم في زمام الأمور، كان يجب عليه التريث والتأني ليتسنى له الصواب والدقة في اختيار رجال دولته، يعاونونه على إدارة ملكه، فالعقلانية تقابل السيف، وكلاهما مكمّلٌ لبعضهما البعض، وفي هذا إشارة واضحة من الشاعر لسياسة الخليفة والسلطة المتمثلة في الدقة في اختيار الأعوان، ومن يدير شؤون الدولة إذ يقول ابن هانئ [1]:

ذُو الحَزْمِ لاَ يتَدبَّــــرُ الآراءَ فــي أَعْقَــابِــهَـا ما الــرَّأْيُ إلاَّ الأَوَّلُ
مُتَقَلِّدٌ بِيْضَ الشِّفَــارِ صَــوَارِماً مِنْهَـا نُهاهُ ورأْيُـــهُ والمِنصَــــلُ

وبفضل هذه السياسة التي اتبعها المعز لدين الله الفاطمي لإدارة شؤون الرعية داخل دولته، استطاع _ كما يرى ابن هانئ _ أن يبسط بحزمه، وقوة عزمه وحلمه، وتريثه ظلال العدل على الرعية في كل ناحية تخضع لحكمه، إذ اجتمعت فيه شروط الإمام العادل التي اشترطها دين الإسلام، وفي هذا تأييد مطلق من الشاعر لسياسة السلطة الفاطمية، إذ يقول [2]:

إِمَامُ عَدْلٍ وَفَى في كُـــلِّ ناحِيَـةٍ كَمَا قَضَوْا فِي الإِمَامِ العَدْلِ واشْتَرطوا

بمعنى آخر أن الخليفة يحكم رعيته بعدل ووفاء، ومن هنا وجب عليه طاعته ما دام عادلاً، وهذا شرط من شروط الإمامة، ومن هنا ركز الشعراء على هذه الصفة في الخليفة، يقول الشاعر [3]:

للهِ مِـــنْ سَبَـــبٍ بِاللهِ مُتَّصِـــلِ وظِلِّ عَدلٍ عَلى الآفَـــاقِ مَمْـــدُودِ

ويبدو أَنَّ سياسة الخلفاء الفاطميين قد أثّرت في حاشيتهم من وزراء وأُمراء، فهم جميعاً يسيرون على نهجهم في إدارة شؤون الرعية والدولة في سياستها الداخلية، ومن هؤلاء الولاة الذين أشاد الشعراء بسياستهم الحكيمة في إدارة الحكم في ولايتهم، وعلاقتهم برعيتهم أميرا (الزَّاب)[4]، وهما الأخوان جعفر ويحيى ابنا حمدون[5]، فعندما تولى المعز لدين الله الفاطمي الخلافة أَقرّ جعفراً على ولاية الزّاب، ويساعده على شؤون

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٢٠.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٩٦.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٠١.
(4) من مناطق المغرب الأوسط، وهي تابعة للحكم الفاطمي، انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ١٩٧٩م.
(5) هما جعفر ويحي ابنا علي بن حمدون سماك الجذاميّ الاندلسي، انظر ترجمتهما في : ابن خلكان، وفيات الأعيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج١، ص١٣٣.

البلاد وولايتها أخوه يحيى بن علي، وقد مدح ابن هانئ جعفر بن علي في خمس عشرة قصيدةً، متطرقاً لجميع معاني المديح التقليدية من كرمٍ وأصلٍ طيبٍ وشجاعة وغيرها من الصفات، ولكنه وقف عند أبعاد سياسية رآها في ممدوحه، ولعلها قد أعانته على حسن الإمارة، وتدبير شؤون الرعية، فممدوحه منجزٌ لوعوده، ووثيق بعهوده، يعامل الناس سواسيةً لا يفرق بين أحدٍ على حساب الآخر، وهذه من لوازم الحكم وحسن إدارة الرعية، إذ يقول [1]:

وإنْ سَبَقَتْ مِنْكَ المَواعِدُ أُنْجِزَتْ — وإنْ أُخِذَ المِيثَاقُ فَهوَ وثِيْقُ

رَأَيْتَ جَمِيعَ النَّاسِ عِندَكَ أُسْوةً — وإنْ كَانَ فِيهِمْ كَاشِحٌ وصَدِيقُ

ويؤكد الشاعر هذه الصفة في ممدوحه أيضاً، بقوله [2]:

أَبا أَحْمَدٍ دَعْوةً حُرّةً — لِحُرِّ المَواثِيْقِ حُرِّ الذِّمَمِ

أما على صعيد حكم الرعية بالعدل والمساواة، فيرى الشاعر أن ممدوحه جعفر بن علي هو خير من يطبق العدل في حكمه لرعيته، فهذه الصفة ظاهرة للعيان ويستشف من قول الشاعر أنه يروج لحكم الأمير، ويحث الرعية على طاعته، ويغري الآخرين بالانضمام إلى دولته ومذهبه، يقول [3]:

إذْ عَيْشُنَا في مِثْل دَوْلَةِ جَعْفَرٍ — والعَدْلُ فِيْهَا ضَاحِكٌ والنَّائِلُ

هَذَا الذِي لَوْلا بَقِيَّة عَدْلِهِ — مَا كَانَ في الدُّنْيا قَضَاءٌ عَادِلُ

وعندما تجتمع في المرء صاحب السلطة مثل هذه الصفات، من سداد رأي وعدل بين الناس، ثم تقترن هذه الصفات بالحزم والعزم، فإن ذلك يقوي الحاكم ويساعده في شؤون حكمه وإدارة رعيته، وهي الصفات التي بدت في شخص الأمير جعفر بن علي، كما يقول ابن هانئ [4]:

تَأْتِي لَهُ خَلْفَ الخُطُوبِ عَزَائِمٌ — تُذْكَى لهَا خَلْفَ الظَّلامِ مَشَاعِلُ

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٥٥.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٧١.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٩٧.
(٤) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٩٩.

أما ممدوح الشاعر يحيى بن علي بن حمدون، شقيق الأمير جعفر، فلم يختلف عن أخيه بتلك الصفات، فهو الآخر أيضاً يتخذ من الحزم ووفاء الذمة نهجاً سياسياً بين الناس، فهذه سياسة الفاطميين جميعاً، يقول ابن هانئ فيه (1):

نَظَرْتَ فَمَا لِلمُلْكِ غَيْـــرُكَ حَـازِمٌ لَبِيْبٌ، ولا فِي النَّـاسِ غَيْرُكَ عَاقِلُ

وأَنَّـــــكَ أَوْفَى العَالمِيْـــنَ بِذِمَّـةٍ وأَطْوَلُهُمْ باعَـاً إِلـــــى مَا تُحَـاوِلُ

وعلاوة على ذلك فإنَّه محنَّك في تدبير شؤون البلاد وسياستها، وذلك لسداد رأيه، وتوفيقه في ذلك، إذ يقول ابن هانئ فيه (2):

وإِذَا تَصَفَّحْـــتَ الأُمـورَ تَدَبُّـــراً خُيِّـــرْتَ في التَّوفِيْــقِ والتَّسْـــدِيدِ

ومعنى ذلك أن أيّ حاكم أو مسؤول فاطمي يطبق سياسة الخليفة نفسها في حكمه وإدارته، أي أنها سياسة ثابتة.

ويذهب ابن هانئ في مدائحه لممدوحِ آخر، وهو رجلٌ من رجالات الدولة الفاطمية، وأحد قواد المعز لدين الله الفاطمي وعماله، أبو الفرج محمد بن عمر الشيباني(3)، ويذكره بصفات جمة في أربع قصائد، تطرق فيها إلى تَوَقُّدِ بصيرته في كشف خفايا الأمور، ذكيٌّ فطنٌ صائب القول، فيقول (4):

تَخْفَى الجَلِيَّةُ إلاّ عَـــنْ بَصِيـــرَتِهِ حَتَّى يَكُــون صَـوَابُ القَوْلِ كَالخَطَلِ

وعندما يدخل قادة جيوش الدولة الفاطمية البلاد فاتحين، فإنهم بعد إخضاع تلك البلاد لسلطان الدولة الفاطمية، يمارسون فبها سياسة داخلية تميل في أكثرها الى الترغيب من خلال التحلي بصفات السماحة والعدل والمساواة بين الناس، محاولةً في استمالة قلوب الرعية، وبالتالي قبول حكم الفاطميين واعتناق عقائدهم، ويبدو أن هذا الأمر قد التفت إليه الشعراء، وضمنوه قصائدهم، ولعل من أبرزهم ابن هانئ الأندلسي، ففي معرض حديثه عن المعز لدين الله الفاطمي، أشار إلى فتح مصر على يد القائد جوهر الصِّقلّي، وقد أسبغ على هذا القائد صفات سياسية، حذا بها حذو مليكه وخليفته

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٣٢.

(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٢٧.

(3) وهو قائد فاطمي، بكري الأصل، يدعى أبا الفرج، محمد بن عمر الشيباني وشيبان فرع من بكر بن وائل، مكلف بجمع الجباية للدولة الفاطمية، وبمقاومة الخوارج المارقين عنها، وهو مسكوت عنه في كتب التاريخ والتراجم تماماً، وقد أخذت هذه الترجمة من : الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٥٤.

(4) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٤٠.

المعز لدين الله الفاطمي، فلم يهرق لأصحاب الذمم دماً، فغدا هذا القائد وكأنه سحابة رحمة، وبفضل سياسته الحكيمة أصبحت بغداد تتمنى أن يحكمها الفاطميون، ولعل في ذلك إشارة من ابن هانئ إلى الحث على مناورة الدولة العباسية التي تكيد للدولة الفاطمية كل العداء، فيقول ابن هانئ في ذلك [١]:

فَلَمْ يَهْتَرِقَ فِيهَـــا لِذِي ذِمَّـــةٍ دَمٌ　　حَرامٌ ولَمْ يُحْمَـلْ عَـلى مُسْلِـمٍ إصْرُ

غَدَا جَوْهرٌ فِيهَا غَمَـــامَةُ رَحْمَـــةٍ　　يَقِي جَانِبَيهَـــا كُلَّ حَادِثَـــةٍ تَعْــرُو

كَأَنِّي بِهِ قَدْ سَارَ في القَومِ سِيـــرَةً　　تَوَدُّ لهَـــا بَغْـــدَادُ لَوْ أَنَّهَـــا مِصْـرُ

ومِنْ أَيْنَ تَعْدُوهُ سِيَاسَـــةُ مِثْلِـهَـا　　وقَدْ قُلِّصَتْ في الحَزْمِ عَنْ سَاقِهِ الإِزْرُ

ويشيد ابن هانئ بوصايا المعز لدين الله الفاطمي لهذا القائد، فسياسة الرفق بأهل مصر هي المطلب، ليكون حسن السلوك مع رعاياه الجدد، إضافة إلى العدل المرجو من هذا القائد، ليدلل على عدل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، إذ إن هذه الصفات في محصلة الأمر تعكس سياسة الخليفة الفاطمي، بمعنى آخر أن الشاعر عندما يمدح قائداً فاطمياً، فإنه بطريقة غير مباشرة يمدح الخليفة الفاطمي نفسه، معلناً موقفه المؤيد من السلطة، فيقول ابن هانئ في ذلك [٢]:

فَحَسْبُكُـمْ يَا أَهْلَ مِصْـــرَ بِعَدْلِـــهِ　　دَلِيْلاً عَلى العَــدْلِ الذِي عَنْـــهُ يَفْتَرُّ

فَذَاكَ بَيَانٌ واضِـــحٌ عَـنْ خَلِيفَـــةٍ　　كَثِيرُ سِـــوَاهُ عِنْـدَ مَعْرُوفِـــهِ نَــزْرُ

وفي قصيدة أخرى لابن هانئ، يودع فيها القائد جوهراً، ويشيعه، ويصف جيشه، ويتطرق لسياسة هذا القائد الداخلية، وتعامله مع أهل مصر التي يقصدها، فبعيداً عن سطوة السلاح، وجبروت الجيش الجرار، يظهر هذا القائد بصورة المنقذ لأهل مصر، فيدفع عنهم الجور، ويؤمن منهم من دبَّ الرعبُ في قلبه، إذ يقول [٣]:

وكَفْكَفْتَ عَنْهُمْ مَنْ يَجُورُ ويَعْتَدِي　　وأَمِنْـــتَ مِنْهُمْ مَنْ يَخَـــافُ ويَجْزَعُ

وهذه السياسة اتبعها الفاطميون في أكثر البلاد التي خضعت لحكمهم، ترغيباً بهم وبعقائدهم.

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٤١.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٤٢.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٠٨.

ولم يقتصر وصف الجانب السياسي للسلطة في العهد الفاطمي على الشاعر ابن هانئ وحده، بل نظم غيره من الشعراء قصائد مدحية تشابه إلى حدٍّ كبير أسلوب ابن هانئ في تناوله لممدوحه، سواء كان الممدوح خليفة فاطمياً، أو وزيراً أو والياً على أعماله، أو قائداً للجيوش تحت إمرة الدولة الفاطمية، وهم من خلال مدحهم يقفون موقفاً إيجابياً ومؤيداً لسياسة الفاطميين الداخلية، ومن هؤلاء الشعراء الذين برعوا في هذا الجانب الشاعر ظافر الحدّاد، إذ عاصر من الخلفاء الفاطميين الآمر بأحكام الله الفاطمي، ووصف سياسته الناجحة بإدارة البلاد، فممدوحه صاحب عزمٍ لا يكل، وذو عدلٍ يمد ظلال عدله على الرعية، إذ يقول [1]:

لَقَدْ غَادَرَتْ أَثَارُ عَزمِكَ سُنبُسَاً ... نَذِيراً لِمَنْ قَدْ غَرَّهُ الجَمعُ والحَشْدُ
لَقَدْ كَانَ فِي أَفْيَاءِ عَدلِكَ مَرتَعٌ ... لَهُمْ فِيْهِ_ لو لَمْ يَغْدُروا _عَيْشه رَغدُ
وفِي العَدلِ إصلاحُ الخَليقَةِ كُلِّها ... ولكِنْ بِهِ مِنْ بَيْنِهَا يُفْسِدُ الوغدُ

ويركز ابن الحداد على سياسته العدل التي انتهجها الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي، فهو على حدّ تعبيره أعدل الناس، إذ يقول [2]:

يا أَفضَلَ النَّاسِ أَفعَالاً وتَسْمِيَةً ... وأَعدَلَ الخَلْقِ نَفْسَاً حَرَّةً وأَبا

ولم تقتصر مدائح ابن الحداد ومواقفه من السياسة الفاطمية على خلفاء الفاطميين فحسب، بل تناول هذا الشاعر بعض الوزراء والولاة في تلك الفترة، وأشار في بعض قصائده إلى حسن سياسة هؤلاء الوزراء، وبين كيفية تصريف شؤون الحكم والتعامل مع الرعية، فهو يؤيد تلك السياسة تأييداً مطلقاً، ويقف موقفاً إيجابياً من سلطة الفاطميين ومن ذلك إشادته بالوزير الفاطمي (الأفضل بن بدر الجمالي)[3]، إذ يقول [4]:

رُتَبٌ خُصِصْتَ بِهَا ومَا صَادَفْتَهَا ... لكِنْ أَفَادَكَ بِهَا الحِجَى والسُّؤدُدُ
وسِيَاسَةٌ ورِياسَةٌ ونَفَاسَةٌ ... وتَفَقُّدٌ وتَسَدُّدٌ وتَأيُّدُ

---

(1) الحدَّاد، ظافر، الديوان، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر- الفجّالة، ١٩٦٩م، ص ٦٤.
(2) الحدَّاد، ظافر، الديوان، ص ٣٨.
(3) هو الوزير الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الدين الجمالي، وزير الخليفة الفاطمي المستعلي بالله في مصر، ولد في عكا، وهو مملوك أرميني الأصل، ت ٥١٥هـ، انظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج٢، ص٤٤٨.
(4) الحدَّاد، ظافر، الديوان، ص٦٧.

ويرى ابن الحداد أن سياسة هذا الوزير القائمة على رعاية الناس والإشراف على شؤونهم، تشبه رعاية الأم أبنائها، وعطفها عليهم، إذ يقول [1]:

رَاضَتْ سيَاسَتُكَ البِـلادَ وأَهلَهَـــا   فكَــأَنَّهَـــا أُمٌّ وَهُـــــمْ إِخــــوانُ

ويخلـع ابـن الحـداد علـى ممدوحـه الـوزير الأَفضـل حنكـة سياسـية تتطلـب مـن صاحبها حصافة ودهاء، فالوزير الأفضل يعطي السياسة شراسة وليناً، إذ يقول [2]:

وأَعْطَيْتَ السِّياسَـــــةَ حَالتَيْــــها   بِمَا قَضَـــتِ الشَّـراسَــةُ واللّيَــانُ

وكان مختلف الشعراء من خلال مدحهم يقفون موقفاً إيجابياً ومؤيداً لسياسة الفاطميين الداخلية، ومن هؤلاء الشعراء الذين برعوا في هذا الجانب ابن حيّوس، إذ أجاد في قصائد مدحه لرجال الدولة الفاطمية، وأبان عن تأييده للخلافة الفاطمية ورجال دولتها،

ومن هؤلاء القادة الذين أعلى من شأنهم في تأييده، الوزير أَمير الجيوش "الدِّزْبِري"[3]، ففي الأبيات التالية يشيد بسياسة الوزير، فهو مجير الخائفين، وعافٍ عن المذنبين، فعفوه سمة لازمة فيه، وليست بجديدة، إذ يقول [4]:

ولَقَدْ أَجَرتَ الخَائِفِيْـــنَ ومَا لَـــهُمْ   في الأَرْضِ عَنْ حُجُرَاتِ مُلكِكَ مَذْهَبُ

وغَمَرتَـــهُمْ صَفْحَـــاً يُقَرِّبُ مِنـــهُمُ   مَـنْ ما لَـــهُ عَمَلٌ إِليـــكَ يُـــقرِّبُ

فَالعَفوُ فِيْـــكَ فَضِيـلَةٌ مَكنُـــونَـــةٌ   حَتَّـى يُبَيِّنَ فَضــــلَهُ مَـــنْ يُـــذْنِبُ

وله في مثل هذا المعنى أيضاً في غير موضع قوله [5]:

كَم آمَنَتْ سَطَـــواتُ عَزمِكَ خَائِفاً   وَجِلاً وَرَاعَـــتْ أَرْوَعَـــاَ صِـــنْدِيدَا

---

(1) الحدَّاد، ظافر، الديوان، ص١٨٨.
(2) الحدَّاد، ظافر، الديوان، ص١٨٨.
(3) هو : أنشتوكين الدِّزْبِري، مولده في بلاد تركستان، سيّره الحاكم بأمر الله الفاطمي صاحب مصر سنة (٤٠٦)ه في عسكر إلى الشام، ثم عاد إلى دمشق بعد أن دخل الشام، ثم تولى بعلبك وقيسارية، وفي سنة (٤١٤)ه ولاه الظاهر بن الحاكم الفاطمي فلسطين، وفي سنة (٤١٩)ه ولاه دمشق، له من الألقاب: الأمير المظفَّر، وأمير الجيوش، وعُدَّة الإمام، وسيف الخلافة، وعضد الدولة ، وشرف المعالي، وغيرها، انظر ترجمته في : ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، دار الكتب الظاهرية، دمشق، ج٣، ص١٥١.
(4) ابن حيّوس، الديوان، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر بيروت، ١٩٨٤، ج١، ص٨٥.
(5) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص١٦٩.

ويعلي ابن حيّوس في تأييده للوزير " الدِّزْبري " أَمير الجيوش، ويجمع في بيتٍ من أبيات شعره سياسته الحكيمة، فيصوّر زمانه وقد ساد فيه العدل والأمن، وزال الظلم والرهبة، إذ يقول [١]:

فَالعَـــــدلُ فَاشٍ والجَــوْرُ مُكتَتِـمٌ   والخَـــوفُ نَـــاءٍ والأَمـــنُ مُقْتَرِبُ

ويشيد ابن حيّوس بسياسة أمير الجيوش، إذ إنه صاحب عزم وبأسٍ يَصدُّ عثرات الدهر، وإن أُمور الخلافة لم تستقم إلاّ به، فهو مرجعٌ للحقوق ببأس سيفه، وصائنٌ للملك بعزِّه، إذ يقول [٢]:

عَزْمٌ إذا صَدَعَ النَّوائِبَ صَـــــدَّهَا   ونَدَىً إِذَا أَعْطَـى الرَّغَائِبَ أَســـرَفَـا

فَطَرِيدُ هَذَا البَأْسِ مَبْذُولُ الحِــمَـى   أَبَداً وعَافِي ذِي المَــوَاهِــبِ يُعْتَـــفَا

إِنَّ الخِلافَةَ لَمْ يُـــــرَوَّعْ سِرْبُـــهَا   مُنْذُ إنْتَضَتْكَ فَكُنْتَ عَضْـبَاً مُرْهَـــفَا

فَالحَقُّ مُـــرتَجَعٌ بِسَيــــفِ إِمَامِهِ   والمُلكُ مُمْتَنِعٌ بِعِزٍّ مَــن اصْـطَـــفَا

ويعلي الشاعر في القصيدة ذاتها من سياسة ممدوحه، فهو صاحب هِمم وعزائم جعلته في العلا، وهذه الهمم تعلي من عزِّه، فتذل له الأعداء، وتأبى أن يكون جاره مستضعفاً، وبفضل سياسته ينام أهل الشام بسكينة وطمأنينة، لما رأوه من هذا القائد في إماطة نوائب الدهر عنهم، وحمايته لبلدانهم، إذ يقول [٣]:

هِمَمٌ إِذَا هِمَـــمٌ أَذَالَـــتْ أَهْلَـــهَا   بَلَغَتْ بِصَاحِبِهَـــا المَحَــلَّ الأَشْرَفَـا

حَكَمَتْ لِعِزِّكَ أَن تَذِلَّ لَـــهُ العِــدَى   وأَبَـتْ لجَارِكَ أَنْ يُــرَى مُسْتَضْعَــفَا

إنْ نَوَّمَـتْ أَهْل الشَّـــآمِ فَبَعْـدَمَا   مَنَعَت عُيُونَ عَدُوِّهِـــمْ أَنْ تَطْـرِفَـا

ذُدْتَ الخُطُوبَ حَدِيثَـــها وقَدِيمَــهَا   حَتَّـى لصَـــارَ حَدِيثُهَا مُسْتَطْــرَفَـا

---

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص١٢٥.
(٢) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٣٨٢-٣٨٣.
(٣) ابن حيّوس، الديوان، ص٣٨٢-٣٨٣.

وحَمَيْتَ مِنْ بُلْدَانِهِمْ مَا لَمْ يَـــزَلْ غَرَضــاً لِعَادِيَــةِ الرَّدى مُسْتــهْدَفــا

ويجعل ابن حيّوس من ممدوحه قائداً مؤيداً في سياسته، لذا اجتباه الخلفاء الفاطميون وتوارثوا خدماته خليفة يتلو خليفة، وذلك مدعاه عندهم حسن ظنهم بسياسته، وثقتهم برياسته، فالخليفة الحاكم بأمر الله اتخذه حامياً لدولته، وجاء بعده ابنه الظاهر ليجعل منه سيفاً يشهر في وجه الأعداء، إلى أن اعتضده المستنصر بالله بن الظاهر الفاطمي لدولته، إذ يقول [1]:

لَقَدْ حَمَى الحَاكِمُ المَنْصُــورُ دَوْلَتَـهُ بِقَوْلِـهِ انْتَجِــبِ الفُرْسَانَ وانْتَخِــبِ

ثُمَّ انْتَضَاكَ ابنُهُ سَيْفاً زَمَــانَ طَغَتْ أَعْـدَاؤُهُ فَرَمَـــاهَــا مِنْــكَ بِـالعَطَبِ

فَحِيْنَ أَرْبَيْتَ قَالَ ابنُ ابْنِهِ اعْتَضِدِي يَــا دَوْلَتِي بِفَتَــى جَدِّي وسَيْفِ أَبِي

ولم يقف تأييد ابن حيّوس لسياسة بعض رجال الدولة الفاطمية عند وزير محدد، بل تناول في مدحياته وزراء آخرين لهم شأنٌ في إدارة حكم الفاطميين، ومنهم الأمير (ناصر الدولة)[2]، وهو الذي تولى دمشق بعد (الدِّزْبِري) السَّالف الذكر، وكان ذلك في عهد المستنصر بالله العبيدي الفاطمي صاحب مصر.

لقد امتدح ابن حيّوس ناصر الدولة في مواضع متعددة من أشعاره، وكان بكل مدحة يشير إلى سياسة هذا الوالي، فهو في البيتين التّاليين يشيد بحلمه ورعايته للدين، وبتقواه البعيد عن الرّياء، فهو بفضله أَمَّن الناس أنفسهم من السوء والمكروه، إذ يقول[3]:

حُلْمٌ بِغَيْــرِ تَحَامُلٍ وَحِــرَاسَــــةٍ حَمَتْ الهُــدَى وتُقًـــىً بِغَيْرِ رِيَاءِ

إنَّا أَمِنَّـــا السُّـــوءَ مُنْـــذُ وَلِيتَنَا فَوَقَتْـكَ أَنْفُسُنَـا مِـــنَ الأَسْـــوَاءِ

---

(1) ابن حيّوس، الديوان، ج1، ص73.
(2) هو : الأمير ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين، أبو محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسين بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان التغلبي، ولِّي دمشق بعد " الدِّزْبِري " سنة (٤٣٣)ه من قبل المستنصر الفاطمي صاحب مصر، انظر ترجمته : ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤، ص١٧٠.
(3) ابن حيّوس، الديوان، ج1، ص18.

ويشيد الشاعر برعاية ناصر الدولة للرعية، فرأفته طالت القريب والبعيد، وعدله عَمَّ الناس أجمعين، وفي هذا إعلاءٌ لسياسة الوزير من ابن حيّوس، إذ يقول [١]:

حُطْـتَ الرَّعِيَّـةَ بِالرِّعَايَـةِ رَأْفَـةً فَاضَـتْ عَلى القُرَبَاءِ والبُعَـدَاءِ
وشَمِلْتَـها بِالعَـدْلِ إِحْسَـاناً بِهَا فَجَـزَاكَ عَنْـهَا اللَّهُ خَيْـرَ جَـزَاءِ

ويجعل ابن حيّوس ممدوحه ناصر الدولة محطّ اهتمام ورعاية الخلفاء الفاطميين، فبفضل سياسته يوصي منهم السابقُ اللاحق بهذا القائد، ولعل ذلك لم يتأت من فراغ، فهو إن جعله الله في بلدةٍ أَصلح لها شأنها، ورعى لها أمرها، حتى الوزارة منذ إن اتصلت باسمه، أصبح لها شأنٌ عظيم، ومركز مرموق، إذ يقول [٢]:

وَصَّى بِذَاكَ الحَاكِـمُ العَـدْلُ ابْنَـهُ قِدْمَاً وأَوْصَى الظَّـاهِرُ المُسْتَنْصِرَا
ما خَـصَّ خَالِقُنَا بِقُرْبِـكَ بَلْـدَةً إلاَّ أَتَـاحَ لهَا الصَّـلاحَ الأَكْبَرَا
إِنَّ الـوِزَارَةَ مُـذْ تَحَـلَّتْ بِـاسْمِهِ عَزَّتْ ذَرىً فـي ظِلِّهِ وعَلَـتْ ذُرَى

ويعلي الشاعر في تأييده لسياسة ناصر الدولة، فهو حَرِيٌّ بها ما دام يحمي ذمارها، ويدفع عن حماه الأخطار بقلبه ولسانه ويديه، فأصبحت بلاد الشام بحسن فعاله مأمونة الجوانب في حَضَرِهَا وباديتها، إذ يقول [٣]:

وهِيَ الرِّياسَـةُ لَنْ تَبُـوحَ بِسِـرِّهَا إلاَّ لأَروَعَ لا يُـبَـاحُ ذِمَـارُهُ
يَحْمِـي حِمَـاهُ قَلْبُهُ ولِسَانُـهُ وتَذُودُ عَنْـهُ يَميْـنُـهُ ويَسَـارُهُ
مَهَّـدْتَ هَذا الشَّامَ حتَّى لاسْتَوَتْ فِـي أَمْنِـهَا بُلْـدَانُـهُ وقِفَـارُهُ

ويأخذنا في تأييد الشعراء لسياسة رجال الدولة الفاطمية شِعرُ أَبي الفتح ابن أبي حصينة، وهو من الشعراء الذين لا يقلّون مكانة عن غيرهم من شعراء الدولة الفاطمية، ولعلّ الباحث يطلق عليه لقب (شاعر الوزراء والقادة)، إذ لم يجد في ديوانه ما يملي

---

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص١٣.
(٢) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٥٨,٢٥٩.
(٣) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٩٨-٣٠١.

النفس في مدح الخلفاء الفاطميين، ولكن في النهاية يعد مدحه لرجالات ووزراء الدولة تأييداً لسياسة السلطة الفاطمية بشكل عام.

ومن هؤلاء القادة الذين أشاد بهم ابن أَبي حُصينَةُ الأَمير معز الدولة (ثِمال بن صالح بن مرداس)[١]، فأكثر فيه من القصائد والمدح، وأشاد بجهوده التي أدار بها البلاد، ومن ذلك قوله [٢]:

وتَجَمَّلَتْ حَلَـــبٌ وأَصْبَـــحَ أَهْلُهَا	**في مِثْلِ بَاكِـرَةِ الرَّبِيْـــعِ المُزْهَـــمِ**

ويشيد ابن أبي حصينة بعزم الأَمير معزّ الدولة ثِمال، فقومه الذين بايعوه الولاية تحصّنت وتمنّعت ثغور بلادهم بسيوفه، إذ يقول [٣]:

لَقَدْ عُزَّ قَومٌ شَايَعُـــوكَ وحُصِّنَتْ	**ثُغُـــورٌ عَلَيْهَا مِـنْ سُيُوفِكَ أَقفَالُ**

ويضفي الشاعر على ممدوحه صفاتٍ تؤيده في سياسته، فيراه والياً ناجحاً في إدارته، فهو آمن الناس من الخوف والفزع، وبسط العدل في حلب فأصبحت من أَبهى البقاع، وهو حليم عن المخطئين من الرعية، وبهذا الإعلاء السياسي يقول [٤]:

وأَمَّــنَ خَوْفَنَـا حَتَّـــــى أَمِنَّـــا	**بِكثْـــرَةِ ما يُراعِـــي أَنْ نُـــرَاعَـا**
وسَـــنَّ العَدْلَ فِي حَـلَبٍ فَأَخْلَتْ	**بِحُسْـــنِ العَـــدْلِ بُقْعَتُها البِـقَاعَا**
حَلِيْـمٌ عَـــنْ جَرَائِمِـــنَا إِلَيْـــهِ	**وحَتَّى عَـــنْ ثَنِيَّتِــهِ انْقِـــلاعَـا**

---

(١) هو ثِمال بن صالح بن مرداس السلمي، وقد لُقِّبَ بالأمير، الجليل، الأعز، تاج الملوك وفخر الملك، وسيف الخلافة وعضدها، وشرف المعالي، وبهاء الدولة العلوية، وزعيم جيوش المستنصرية، وهو أحد ولاة الفاطميين في بلاد الشام، انظر ترجمته في : ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٩٩٨، ج١، ص٢٨١.

(٢) ابن أبي حُصينة، الديوان، شرح أبي العلاء المعري، تحقيق محمد أسعد طلس، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٦، ج١، ص٢٣.

(٣) ابن أبي حُصينة، الديوان، ج١، ص٢٩.

(٤) ابن أبي حُصينة، الديوان، ج١، ص١٦٧-١٦٨.

ويشيد ابن أَبي حصينة بمهارة هذا الأمير في رعاية أُمور البلاد، ويظهر ذلك جليّاً في وصف سياسته المعتدلة، فهو سهلٌ في وقت الرّخاء، وشرسٌ على الأعداء، وكأَنَّه السَّيف في حدّيه، ملمسه ناعم، وضربه صارم، إذ يقول [١]:

سَهْــلٌ وفِيْهِ عَلى العَدوِّ شَرَاسَـةٌ كَالسَّيْـفِ مَلْمَسُـهُ يَلِيْنُ ويَقْطَعُ

ويعلي الشاعر من تأييده لسياسة هذا الأمير، ويجمع الأضداد ليبرز ذلك من خلال قصائده، فممدوحه ذو حدين، تراه مُرْعِبَاً تارة، وتراه مُرْغِبَاً تارة أخرى، فهو مالئ الآفاق أمناً وعدلاً، إذ يقول [٢]:

مُرْغِـبٌ مُرْهِـبٌ فَقَدْ مَلأَ الآ فاقَ أَمْنـاً وَطَبّـقَ الأَرْضَ عَـدْلا

وكثيراً ما يورد ابن أبي حصينة في مدحه وتأييده للأمير ثِمال الجمع بين الشيء وضده في صورته، ولعل ذلك إعلاء سياسي بهذا القائد الفذّ، فهي حنكة القوّاد، تراه حليماً في جانب، وتراه صاحب سيفٍ يفلُّ الهام حدَّه، لا بل ترى يده أشدّ مضاءً من السّيف الذي تحمله، وعَزيمته مجرّدةٌ من غمدها قبل أن يتجرّد السّيف من غمده، إذ يقول [٣]:

حَلِيْـمٌ إِذا وازَنْـتَ بِالهَضْـبِ عَقْلَهُ هَفَا الهَضْبُ مِنْ مِيزَانِهِ ورَسَا العَقْلُ

لَهُ نَصْلُ سَيْـفٍ يَقْطَعُ الهَامَ حَـدُّهُ وأَقْطَعُ مِنْهُ حَامِلُ النَّصْلِ لا النَّصْـلُ

إِذا سَلَّهُ سَـلَّ العَزِيمَـةَ قَبْلَـهُ فَلَم يُدْرَ أَيُّ الضَّـارِبَيْنِ لَهُ الفِعْـلُ

هذا بالنسبة لسياسة الخلفاء الفاطميين وأعوانهم من الوزراء والولاة على البلاد، ونهج تلك السياسة في إدارة شؤون الخلق والعباد، إذ بدت هذه الصفة واضحة عند معظم شعراء الدولة الفاطمية، فتكاد لا تخلو قصيدة مدحية في خليفة أو وزير من هذه المعاني، إذ ركز الشعراء على ما تحلى به المسؤولون الفاطميون من حكمة في سياسة

---

(١) ابن أبي حُصينة، الديوان، ج١، ص٣٥.
(٢) ابن أبي حُصينة، الديوان، ج١، ص١٩٠.
(٣) ابن أبي حُصينة، الديوان، ج١، ص١٧٧.

الدولة، وإدارة شؤون العباد والبلاد، وقد استبعد الباحث نماذج شعرية أخرى لأنها تعطي الفكرة نفسها والمعنى ذاته، فاستغني عنها خشية التكرار والإسهاب غير المبرر.

١،٢- السياسة الخارجية:

أ- العباسيون والأمويون:

أما على صعيد السياسة الخارجية التي اتبعتها الدولة الفاطمية، فقد صورها الشعراء ووصفوها وصفاً دقيقاً من خلال تناولهم لشخصية الخليفة الفاطمي أو أحد أُمرائه وولاته وقادة جيوشه، وبحكم علاقة الدولة الفاطمية بغيرها على الصعيد الخارجي العربي كدولة بني العباس في بغداد، ودولة بني أمية في الأندلس، فإن هذا الأمر يتطلب سياسة من نوع خاص كانت تسيرها المذاهب والعقائد الدينية، وقد أشار الشعراء إلى هذا الجانب أيضاً.

ولعل خير من صور هذا الجانب في أشعاره الشاعر ابن هانئ، حيث بين موقفه من السلطة الفاطمية، وكذلك موقفه من الأمويين والعباسيين في قصائد عديدة نظمها في مدح المعز لدين الله الفاطمي، وتطرق بعد مدح الخليفة إلى وصف سياسته في التعامل مع هاتين الدولتين، وأشار ابن هانئ أيضاً إلى تحامله هذا في قصيدته الحائية التي نظمها في مدح القائد جوهر الصقلي على الأمويين والعباسيين، فبعد أن أظهر ولاءه وانتماءه للدعوة الفاطمية الإسماعيلية، تطرق إلى الجانب السياسي، فتهجم على المتمردين، وذكر منهم "ابن واسول وآل موسى بن أبي العافية"، إذ وقعوا بقبضة القائد جوهر، فبعد أن تغنى الشاعر بشفاء الغليل والنيل منهم، يشيد بحلم جوهر عليهم، وفي هذا الوصف يتبين موقف الشاعر المؤيد للسياسة والسلطة الفاطمية، إذ يقول [١]:

رَأَى ابنُ أَبِي سُفْيَانَ فِيْهَا رَشَادَهُ	**وعَفَّى عَلى إِثْرِ الفَسَادِ وأَصْلَحَا**
دَعَاكَ إِلى تَأْمِينِهِ فَأَجَبْتَهُ	**ولَوْ لَمْ تَدَارَكْهُ بِعَارِفَةٍ طَحَا**
وفي آلِ مُوسى قَدْ شَنَنْتَ وقَائِعَاً	**أَهَبْتَ لَهُمْ تِلْكَ الزَّعَازِعَ لُقَّحَا**
صَفَحْتَ عَنِ الجَانِيْنَ مَنَّاً ورَأْفَةً	**وكُنْتَ حَرِيّاً أَنْ تَمُنَّ وتَصْفَحَا**
وقَدْ أَزْمَعُوا عَنْ ذَلِكَ السَّيفِ رِحْلَةً	**فَمَلَّكْتَ أَوْلاهُمْ عِنَانَاً مُسَرَّحَا**

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٨١-٨٢.

ويقدم ابن هانئ مبررات لعداء الفاطميين للأمويين، حيث يستقي من العهد القديم إشارات تاريخية سياسية تدعم هذا الموقف، سواء كان منه كشاعر، أو من الخلفاء الفاطميين أصحاب القضية، ويشير إلى حقد بني أُمية منذ القدم، وتمنيهم أن كانت النبوة في بيتهم، وليس في بيت بني هاشم، وها هي الأحقاد تظهر اليوم جلية في دولة بني أُمية المعاصرة للحكم الفاطمي، فما زالوا يتمنون أن تكون قوة السلطة والهيمنة في أيديهم، ومع تلك المقاربة بين العائلتين، إلَّا أَنَّ بني أُميَّة فقدت رائحة مسكها من تلك الطينة، وفي هذا إشارة واضحة إلى أَنَّ الصراع السياسي بين الفاطميين والأمويين منبعه الصراع الدّيني، إذ يقول ابن هانئ [1]:

لعَمْرِي لَئِنْ كَانَــتْ قُرَيشاً بِزَعْمِهَا فَإِنَّا وجَدْنَا طِينَةَ المِسْكِ تَسْنَــخُ[2]

وفي القصيدة نفسها يبدي ابن هانئ سروره، مبيناً بذلك موقفه من سياسة الفاطميين، مستمداً من الأسطورة الجاهلية المتمثلة بروح الشخص المقتول على هيئة طائر ينذر بالشؤم، ويبقى يحوم فوق قبر القتيل حتى يأخذ أهله بثأره، وهذا الطير المتمثل بروح أموية، يدور اليوم على قبر أحد بني مروان، إذ يقول [3]:

لَقَدْ سَارَتِ الرُّكْبَــانُ بِالنَّبَــأ الذِي يَشِيْــبُ لَهُ طِفْلٌ ويَنْصَاتُ مُجْلِخُ[4]

وضَجَّتْ لَهُ الأَصْنَامُ، إنَّ ضَجِيْجَهَا صَدَىً مِنْ بَنِــي مَرْوانَ حَرَّانُ يَصْرُخُ

ويتمادى ابن هانئ كثيراً في الشماتة بالأمويين وما حلّ بهم، فيصفهم بالجبناء، وعدم مقدرتهم على إدارة أمور السياسة في الدولة، إذ يدفعون جنودهم للهلاك إذا اصطدموا بجيش المعزّ لدين الله الفاطمي، فتكون نهايتهم الهزيمة والخزي والعار، وكل ذلك في نظر ابن هانئ يعود لسياستهم الفاشلة في تدبير دولتهم، متسائلاً عن المتحكم بزمام أمورهم، أَهم أصحاب الرأي، أم غيرهم من الإماء والجواري؟، وفي هذا سخرية وتهكم بالأمويين، بينما الفاطميون هم أصحاب السياسة الناجحة التي تعرف كيف تدار أمور البلاد، فيقول ابن هانئ [5]:

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٨٧ .

(٢) تَسنَخ: تغيّرت رائحة الطعام وفسد، ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، معجم لسان العرب، تحقيق يوسف خياط، دار لسان العرب-بيروت، ١٩٨٠م، مادة سنخ.

(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٨٦.

(٤) مُجلِخ : فترت قواه وقلّت حركته، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة أجلخ.

(٥) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٠٠.

كَتَائِبُ شَتَّى النَّصْــــرِ رُعْنَ أُميَّـــةً فَأَوْجُهُهَا لِلخِــزْيِ أُثْفِيَّـــــةُ سُفْـــعُ
أَلا لَيْـتَ شِعــرْي عَنْهُمُ أَملُوكُـــهُمْ تُدَبِّرُ أَمْراً، أَمْ إِمَاؤُهُمُ الُّلكـــــــعُ؟[1]

وعندما ينهج الشاعر في حديثه عن بني أمية هذا النهج القائم على السخرية والتهكم والشماتة، فإنه يكشف عن موقفه المؤيد للسلطة الفاطمية، ومعاداته للأمويين، ولذلك يكرر حديثه عما حل بالأمويين من هزائم ألحقت بهم العار والذل، وكل ذلك مرده إلى نجاح سياسة الفاطميين، وفشلها عند الأمويين، فيقول ابن هانئ [2]:

ومَا عَرَفَتْ كَرَّ الجِيَـــادِ أُمَيَّـــــةٌ ولا حَمَلَـــتْ بَزَّ القَنَـا وهُوَ شَابِكُ
ولا جَرَّدُوا نَصْلاً تُخَـــافُ شُبَـــاتُهُ ولكِـــنَّ فُولاذاً غَـــدَا وهُـــو آنِـكُ

وله في موضع آخر، وعلى غرار ذلك السياق من السياسة الركيكة، قوله [3]:

تَجَافَوْا عَنِ الحِصْنِ المَشِيــدِ بِنَـاؤُهُ وضَـاقَ بِهِمْ عَنْ عَزْمِ أَجْنَادِهِمْ وِسْعُ
وقَدْ نَفِدَتْ فِيْهِ ذَخَـــائِرُ مُلْكِهِـــمْ ومَا لَـمْ يَكُـــنْ ضُرّاً فَأَكثَـرُهُ نَفْـــعُ

وينحو ابن هانئ منحىً آخر في تحامله وتحريضه على بني أُمية، وينهل من الأحداث التاريخية السياسية تارةً أخرى، ويتطرق إلى أحقاد قديمة قد ولّى عليها زمن طويل، فيذكر سقيفة بني ساعدة، منوهاً إلى انتزاع الخلافة من عليّ المفضل _ في نظر الشاعر ابن هانئ المتشيع _ على الفاضل خليفة رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ أبو بكر الصّديق _ رضي الله عنه _، وفي هذا أيضاً ربط بين السياسة والعقيدة والمذهب، إذ يقول [4]:

خَلَّدْتُـمُ فـي العَبْشَمِيَّـــــةِ لَعْنَـــةً خُلِقَـتْ _ ومَا خُلِقُـوا لهَا _ تَعْجِيْــلا
في مَنْ يَظنُّــونَ الأئِمَّـــةَ مِنْـــــهُمُ إن حُصِّلَـتْ أَنْسَابُهُمْ تَحْصِيْـــــــلا؟
مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لَمْ يَنَـــالـوا سَعْــــيَهُ مِنْ فَاضِـلٍ عَدَلوا بِــــهِ مَفْضُــــولا

ويستغل الشاعر حادثة كربلاء لينفذ من خلالها إلى إشعال نار الغضب في نفوس الفاطميين، ويحرضهم ضد الأمويين، مشيراً إلى موقعة بدر الكبرى، وكأن الأمويين هم

---

(1) اللكع : اللئيم، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة ألكع.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٦٢.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٠٠.
(4) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص ٢٨٠.

الذين وقفوا في وجه دعوة الرسول الكريم _ عليه الصلاة السلام _، وكأن الشاعر هنا قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من السلطة الفاطمية، إذ يقول [١]:

أَأللهَ تَتْلُو كُتْبُكُمْ، وشُيوخُهَا بِبَدْرٍ رَمِيمٌ، والدِّمَاءُ صَوائِكُ؟

ويحرض ابن هانئ في القصيدة ذاتها الفاطميين على الثأر من بني أُميَّة قتلة الحسين بن علي، فهم _ أي الفاطميون _ مؤيدون بنصر الله المدافعون عن أوليائه، وهو بذلك من أشد المؤيدين للسلطة الفاطمية صاحبة الحق، إذ يقول [٢]:

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ أَنْجَزَ اللهُ وَعْدَهُ وأَطْلَعَ فِيكُمْ شَمْسَهُ، وهِي دَالِكُ
ونَادَتْ بِثَاراتِ الحُسَيْنِ كَتَائِبٌ تَمَطَّى شِراعَاً فِي قَنَاهَا المَعَارِكُ

ويحث الشاعر المعزّ لدين الله بالوتر منهم، مهوناً من أمر القضاء عليم، لما يتنعمون به من ترف ورغادة عيش، إذ إن مثلهم لا يعرف للمجد والعلو طريقاً، فيقول[٣]:

فَإِنْ يُتَخَرَّمْ[٤] خَيْرُ سِبْطَي مُحَمَّدٍ فَإِن ولِيَّ الثَّأْرُ لَمْ يَتَخَرَّمِ
أَلا إِنَّ وِتْراً فيهِمُ غَيْرُ ضَائِعٍ وطُلَّاب وِتْرٍ مِنْكُمُ غَيْرُ نُوَّمِ
فَلَمْ يَبْقَ للمِقْدارِ إلاَّ تَعِلَّةٌ لَدَيكَ مَدَاهَا فَاحْسِمِ الدَّاءَ يُحْسَمِ
سُيوفٌ كَأَغْمَادِ السُّيوفِ، ودَوْلَةٌ تَثَنَّى دَلالاً كَالقَضِيبِ المُنَعَّمِ
فَتَمْشُونَ في ثِنْي الدِّلاصِ سَوابِغَاً ويَمْشُونَ في وَشْي البُرودِ المُسَهَّمِ

وهذا الولاء من ابن هانئ للسلطة الفاطمية سياسياً وعقائدياً تمثل في نقمته على بني أمية، وتهكمه منهم، ولا غرابة في هذا الصدد، إذ يُعدّ نفسه متشيّعاً صاحب قضية من هذه الفئة، ناهيك عن تحريضه للمعز لدين الله الفاطمي، وحثه على قتال بني أُميَّة، معلناً تمسكه بالسياسة الفاطمية.

ويبدي ابن هانئ موقفه المؤيد للدولة الفاطمية من خلال حديثه عن بني العباس وتحامله عليهم، فهم في رأيه قد خانوا الأمانة، وسلبوا الخلافة من بني عمهم الفاطميين، فأول ما بدأ به شاعر البلاط الفاطمي أن جعل بني العباس آخر مراتب

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٦٣.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٦٣.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٥٤ـ٣٥٥.
(٤) يتخرم : أي يهلك، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة خرم.

الهاشميين لصعوبة التّنصّل من قربهم ونسبهم، وجعل من أحفاد فاطمة الزهراء أعلى درجات هذه العائلة، إذ يقول [1]:

وإنْ كَـــانَ يَجْمَعُكُــــمْ غَالِـــــبٌ فَإنَّ الوشَــائِــــظَ[2]غَيْــــرُ الذُّرَى

ويركز ابن هانئ على الفروق بين هاتين العائلتين المتفرعتين من أصل واحد، ولكي يعلي من شأن أبناء الأسرة الفاطمية، وصف بني العباس بأبناء "الطليق"، نسبة إلى جدِّهم العبّاس بن عبد المطلب الذي حارب رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ مع المشركين، إلى أن وقع في الأسر، وسمّي أبناء صلبه (بأَبناء الطّليق)، منتقصاً منهم إلى جانب (أبناء الطريد) بني أُميَّة، إذ يقول في تقاعسهم وانشغالهم عن أَمر الدولة الإسلامية، وترك هذا العبء الثقيل يقع على عاتق المعزّ لدين الله الفاطمي[3]:

غَضِبْتَ لَهُ أَنْ ثُلَّ[4] بِالشَّامِ عَرْشُـهُ وعَــادَكَ مِـنْ ذِكْــرِ العَوَاصِـمِ عِيْدُ

فَبِتَّ لَهُ دُونَ الأَنَـــامِ مُسَهَّــــداً ونَامَ طَلِيْــقٌ خَائِــنٌ وطَـــرِيْــدُ

ويشير ابن هانئ في موضع آخر إلى عدم التشابه بين أحفاد فاطمة الزهراء، وبني العبّاس، إذ يصفهم بالكفر، ويتهمهم بسلب الخلافة من هذه العترة المنتخبة من آل البيت، وقد انشغلوا بالطرب والغناء واللهو عن أُمور الدولة الإسلامية، فلحق بهم الخزي والعار، بعكس الفاطميين المتمسكين بالقرآن والفضائل المتعددة، وفي هذا إعلان واضح لموقف الشاعر المؤيد للسلطة الفاطمية، إذ يقول [5]:

لَسْتُمْ كَأَبْنَاءِ الطَّلِيْــقِ المُرْتَـــــدِي بِالكُفْــرِ حَتَّــى عَـضَّ فِيْـهِ إِسَارُ

أَبْنَاءَ نَثْلَةَ مَا لَكُـــمْ ولِمَـعْشَــــرٍ هُـــمْ دَوْحَــةُ اللهِ الــذِي يَخْتَــارُ؟

رُدُّوا إِليهِمْ حَقَّهُـــــمْ وتَنَـكَّبُــوا وتَحَمَّلُــوا فَقَـــدُ اسْتَـحَــمَّ بَوارُ

ودَعُوا الطَّرِيقَ لِفَضْلِهِمْ فَهُمُ الأُلَـى لَهُمُ بِمَجْهَلَةِ الطَّــرِيـــقِ مَنَــارُ

كَمْ تَنْهَضُــونَ بِعِبءٍ عَارٍ واصِـمٍ والعَارُ يَأْنَــفُ مِنْكُــمُ والنَّـــارُ

يُلْهِيْهِمُ زَمْـرُ المَثَانِـــي كُلَّـــمَا أَلْهَاكُـــمُ المَثْنِــيُّ والمِـــزْمَــارُ

([1]) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص ٢٨.

([2]) الوشيظة : وهي الذَّنب، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة وشظ.

([3]) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٩٥.

([4]) ثلَّ : بمعنى هدم، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة ثلل.

([5]) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٨٦.

ولم يقتصر ابن هانئ في تحامله على بني العباس في أشعاره عند الجوانب التاريخية القديمة، بل صور تخاذلهم عن مواجهة الزحف البيزنطي لبلاد المسلمين، تاركين عبء ذلك على كاهل الدولة الفاطمية، التي ما انفكت تواجه هذا الاعتداء برّاً وبحراً، بينما أنشغل بنو العباس بترفهم ولهوهم، يقول [1]:

تُلْهِيكَ صَلْصَلَةُ العَوالِي كُلَّمَا ... أَلهَتْ أُولائِكَ قَيْنَةٌ وشَمُولُ
وبِذَاكَ حَسْبُكَ: أَنْ تُجرِّرَ لامَةً ... وبِحَسْبِ قَوْمٍ أَنْ تُجَرَّ ذُيولُ

ويحمل ابن هانئ مسؤولية ما لحق بجيوش المسلمين من هزائم في بلاد الشام إلى التخاذل والعجز العباسي عن مواجهة هذا العدو الغاشم، فعندما وطأت أقدام الروم بلاد المسلمين ودنستها، مضى العباسيون في لهوهم بين كؤوس الخمر والقيان، إذ يقول [2]:

ومِنْ عَجَبٍ أَنْ تَشْجُرَ الرُّوم بِالقَنَا ... فتوطَأَ أَغْمَارٌ وهُضْبٌ شَنَاخِيْبُ[3]
ونَومُ بَنِي العَبَّاسِ فَوْقَ جُنُوبِهِمْ ... ولا نَصْرَ إلاَّ قَيْنَةٌ وأَكَاوِيْبُ[4]

وجرّاء ذلك الاعتداء على بلاد المسلمين، تنتشر صرخات الاستغاثة من العرب بالمعز لدين الله، وذلك لما لقوه من ذلٍّ وهوان قد صدر من الموالي والحجّاب، الذين أعانوا الروم على فعلهم الشنيع ببلاد المسلمين، فيشيد ابن هانئ بسياسة القوة وتلبية النداء عند المعز، وهو بذلك يروّج لسياسة حكم السلطة الفاطمية، وأثرها في المسلمين، يقول [5]:

وَقَدْ سَئِمَتْ بِيْضُ الظُّبَىَ في غُمُودِهَا ... وكَانَتْ مَتَى تَأْلَفْ سِوى الهَام تَسْأَمِ
وقَدْ غَضِبَتْ للدِّين بَاسِطَ كَفِّهِ ... إِليهِنَّ في الآفَاقِ كالمُتَظَلِّمِ
ولِلعَرَبِ العَرْبَاءِ ذَلَّتْ خُدودُهَا ... ولِلفَتْرَةِ العَمْيَاءِ فِي الزَّمَنِ العَمِي
ولِلعزِّ في مِصْرٍ يُرَدُّ سَرِيرُهُ ... إِلى نَاعِبٍ بِالبَيْنِ يَنْعِقُ أَسْحَمِ

ويبدو ابن هانئ في مواضع متعددة من أشعاره من أكثر الشعراء نقمة على بني العبّاس، فوصف تقاعسهم وخذلانهم وتخليهم عن الدين، ولعل في ذلك زيادة على التحامل عليهم، إذ إنه شاعر للبلاط الفاطمي، ولسانهم في المحافل، ووسيلتهم

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٩٣.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٤٥.
(3) الشناخيب، وهي رؤوس الجبال، مفردها شنخوب، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة شنخب.
(4) الأكاويب: وهي أكواز الخمر، مفردها كوب.
(5) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٥٢.

الإعلامية بين الرعية، ومؤيد لسياستهم، فيُظهِرُ في هذا الجانب الإعلامي عزائم المعزّ لدين الله التي لا تجزع في الذَّبِّ عن حمى بلاد المسلمين، وبذلك يكون قد نجح في الترويج إعلامياً لخلافة الفاطميين وسلطتهم وسياستهم، ويكون قد حثّ من خلال ذلك همم المعزّ على المضي قدماً إلى بلاد المشرق، فيفتح مصر، ويتبعها العراق والشآم وفلسطين، مخلِّصاً إياها من علوج الرّوم، إذ يقول (١):

وقَدْ أَشْعَرْتَ أَرضَ العِرَاقَيْـنِ خِيْفَـةً	**تَكَـادُ لهَـا دَارُ السَّـلامِ تَضَعْضَعُ**
وأَعْطَتْ فِلَسْـطِينُ القِيَادَ وأَهلُـهَا	**فَلَـمْ يَبْقَ مِنْهَـا جَانِـبٌ يَتَمَـنَّعُ**
ومَا الرَّملَةُ المَقْصُورةُ الخَطْوِ وحْدَهَا	**بِأَوَّلِ أَرْضٍ مَا لهَا عَنْـكَ مَفْـزَعُ**
ومَـا ابنُ عُبَيدِ الله يَدْعُـوكَ وحـدَهُ	**غَداةَ رأَى أَن لَيْسَ في القَوسِ مَنْزَعُ**

ولم تقف حدود هذه المعاني عند الشاعر ابن هانئ، بل شاركه فيها غيره من الشعراء المعاصرين والمؤيدين للدولة الفاطمية، فالشاعر عُمارة اليمني في الأبيات التالية يشير إلى أحقيّة الفاطميين في الخلافة، وأن بني أُميّة اغتصبوها منذ القدم، ولعل لمثل هذه الحادثة عند عُمارة إشارة سياسية في قصيدته التي قالها في مدح الملك الصَّالح (طلائع بن رُزِّيك)(٢)، وهو أحد وزراء الفاطميين، إذ يقول (٣):

غَصَبَـتْ أُميَّـةُ إِرْثَ آلَ مُحَـمَّدٍ	**سَفَهَاً وشَنَّـتْ غَـارَةَ الشَّـنـآنِ**
وغَدَتْ تُخَالِفُ فِـي الخِلافَةِ أَهْلَهَا	**وتُقَابِـلُ البُـرْهَـانَ بِالبُهْتَـانِ**
لَمْ تَقْتَنِـعْ أَحْلامُهَـا بِركُـوبِهَـا	**ظَـهْـرَ النِّفَـاقِ وغَارِبَ العُدوانِ**
وقُعُـودِهِمْ فـي رُتْبَـةٍ نَبَـويَّـةٍ	**لَمْ يَبْـنِهَـا لَهُـمُ أَبُـو سُفيَـانِ**
حَتَّى أَضَافُوا بَعْـدَ ذَلِكَ أَنَّـهُـمْ	**أَخَـذُوا بِثَأْرِ الكُفْـرِ في الإِيمَـانِ**

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٠٧.
(٢) هو: أبو الغارات والملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين، طلائع بن عبدالله بن رُزِّيك بن الصالح الأرمني، ولد سنة (٤٩٥)هـ، في أحدى مدن أرمينيا، وأخذ العلم فيها، انظر ترجمته في: الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي-بيروت، ١٩٨٠م، ج٤، ص١٧٧.
(٣) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، حققه وصححه هرتويغ درنبرغ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ط٢، ص٣٦٣.

وله في هذا أيضاً في إحدى قصائد مدحه لطلائع قوله [1]:

قَدْ كَـــانَ عَبَّـــاسُ بِهَـــا وابنَـــهُ	والمَجْـــدُ مُكـــــرَةٌ صَـــــاغِـــرُ
ولَـمْ يَـــزَلْ فَوْقَهُـــمَا سِحْـــرُهَـــا	مُرْخَـــىً إلى أَنْ قُتِـــلَ الظَّـــافِـــرُ
فأَصْـــبَحَـــتْ أَسْتَـــارُهُ عَنْهُمَـا	مَكْشُوفَـــةٌ إذ غَضِـــبَ السَّـــاتِـــرُ

وقد أشار الشاعر عبد المحسن الصوري إلى مثل هذه الحادثة، وهو شاعرٌ شيعيّ المذب، ورغم تشيعه لم يرد في ديوانه ما يغنينا بالكثير لمثل هذا الجانب، فقد امتدح في ديوانه بثلاث قصائد فقط للخلفاء الفاطميين، الأولى كانت في مدح العزيز بالله الفاطمي، أما الثانية والثالثة فكانتا في الحاكم بأمر الله الفاطمي، فجاء في قصيدته الثالثة في مدح الحاكم بأمر الله مشيراً لتحامله على بني أُميّة في اغتصابهم الخلافة، مشيراً إلى أَن الوقت قد تجدَّد، وآن الأوان للصوارم أَن تفتك بهم بدلاً من البكاء، إذ يقول [2]:

طَغَتْ عَبْـدُ شَمْسٍ فَاسْتَقَلَّ مُحَـلَّقاً	إِلى الشَّمسِ مِنْ صُغْيَـانِهَا مُتَراكِمُهْ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أُمـيَّـــــةَ أَنَّنِــــي	هَتَفَتُ بِمَا قَدْ كُنْـــتُ عَنْهَا أُكَاتِمُـــهْ
مَضَتْ أَعْصُرٌ مُعوَجَّةٌ بِاعوِجَاجِكُمْ	فَلا تُنكِرُوا أَنْ قَوَّمَ الدَّهْـــرَ قَائِمُـــهْ
وجَدَّدَ عَهْدَ المُـصْطَفَى بَعْضُ أَهْلِهِ	وحُكِّمَ في الدِّيـنِ الحَنِيْفيِّ حَـاكِمُـــهْ
فَيَا أَيُّهَا البَاكُـونَ مَصْـــرَعَ جَـــدِّهِ	دَعُوا جَدَّهُ تَبكِـــي عَلَيْهِ صَوَارِمُـــهْ

وفي هذا المعنى أيضاً، يطالعنا داعي الدعاة (المؤيد في الدين) هبة الله الشيرازي في ديوانه لمثل هذا الجانب، وهو عالم وفقيه وصاحب مجالسٍ تأويلية شيعيّة قلَّ نظيرها، علاوة على ذلك فهو شاعرٌ نظم من القصائد ما يخدم مذهبه، فأسبغها شعاراتهم وأبرز معتقداتهم، وكان في أشعاره كثير التأثر بالقرآن الكريم عندما يمدح آل

---

(١) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٢٤٥.

(٢) الصُّوري، عبد المحسن، الديوان، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج٢، ص٤٣٨.

البيت والفاطميين، فلا غرابة أَن نجد عنده تحاملاً على بني العبّاس، كقوله في القصيدة الرابعة والعشرين من ديوانه، إذ يقول [١]:

قُلْ لابْنِ عَبَّاسَ لِيَهْنِـــكَ أَنَّنِـــي	**حَيْـــثُ اعْتَـزَزْتُ بِهِ أَذَلَّ ذَلِيْـــلِ**
ولطَالمَا رَهَقَتْـــكَ مِـنِّي ذِلَّـــةٌ	**مِنْ قَبْـــلِ يُدْنِــي للحُمُولِ حَمُولِـي**
ورَمَى بِنَا قَوْسُ النَّوى عَـنْ عَهْدِكُمْ	**كَـمْ لي هُنَالِـكَ مِـنْ أَخٍ وعَـدِيْـلِ**
أَسرِي، وأَسْرِي مَركِبِي ونَدَامَـــتِي	**زَادِي، وخَـــوفِـــي في الفَلاةِ دَلِيْلِي**

ولا غرابـة أن نـرى لهذا البعد السياسـي صـدىً فـي أشـعار خلفـاء الدولـة الفاطميـة أنفسهم، فهم أصحاب القضية، وهم أولى بها، فقد وردت للخليفة العزيز الفاطمي أبياتٌ يستظهر من خلالها قربهم من الرسول _ صلى الله عليه وسلم _، ويحمل على بنـي العبّاس غدرهم وخيانتهم لإرث النبي، ويصور عجزهم في الدفاع عن بلاد المسلمين، وانصياعهم تحت سياسة الأعاجم والأكراد، إذ يقول [٢]:

أَنا ابنُ رَسولِ اللهِ غَيْـــرُ مَدَافِعٍ	**تَنَقَّـلْتُ في الأَنوارِ مِـــنْ قَبْـلِ آدَمِ**
لِيَ الشَّرَفُ العَالِي الذِي خَضَعَتْ لَـهُ	**رِقَـــابُ بَنِــي حَوَّاءَ مِـــنْ كُلِّ عَالَمِ**
بِنَا فُتِحَـــتْ أَبْـــوابُ كُـلِّ هِدَايَـةٍ	**ومِـــنَّا بِحَمْـــدِ اللهِ خَيْـــرُ الخَـواتِمِ**
فَقُلْ لِبَنِي العَبَّاسِ مَعْ ضُعْفِ مُلْكِهُمْ	**بِأَنَّهُـــمُ أَسْــرى بِأَيْــدِي الأَعَـاجِـمِ**
غَصِبْتُمْ بَنِي مَرْوانَ مَا غَصَبُوهُ مِـنْ	**مَوارِيثِــنا، سُحْـــقَاً لِظَـــالِمٍ ظالمِ!**

والموقـف نفسـه عنـد تمـيم الفـاطمي، ابـن المعـز لـدين الله، يـردف أخـاه العزيـز صاحب المقطوعة السابقة بأبيات شعر تحمل الأبعاد ذاتها، إذ يعقد مقارنة بين علي والعبّـاس، فـالأوّل فـي نظـره بطـلٌ مقدام، والآخـر فـي وقعـة بـدر حليـف للمشـركين، إذ يقول[٣]:

يا بَنِي هَاشِـــمٍ ولَسْـــنَا سَـــواءً	**فِــي صِغَـــارٍ مِنَ العُـــلا أَو كِبَارِ**

---

(١) الشيرازي، هبة الله المؤيد في الدين داعي الدعاة، الديوان، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م، ط١، ص٢٥٩.

(٢) حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، ص١٦٣.

(٣) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٢م، ص١٢٢.

إنْ نَكُـــنْ نَنْتَـــمِي لِـــجَـدٍّ فَإِنَّا   قَــــدْ سَبَقْنَاكُـــــمْ لِكُــــلِّ فَخَــــارِ
لَيْـــسَ عَبَّاسُـــكُمْ كَمِثْـــلِ عَلـــيٍّ   هَلْ تُــقَــــاسُ النُّـــجـــومُ بِالأَقمَارِ

١،٣- الرُّوم:

سياسة السيف والقوة لا غنى عنها كما يرى بعض الشعراء، فعندما يكون الخصم ذا قوةٍ وسلطة وجيوش جرّارة، لا تنفع به سياسة اللين والهوادة، بل تحتاج لاجتياحه وتفكيك قوته إلى سياسة البأس، ورباطة الجأش، لذا ستورد الدراسة في هذا المقام تلك السياسة التي لا تعرف الرحمة، والتي استنها خلفاء الدولة الفاطمية في التعامل مع الروم والبيزنطيين، الذين كان لهم مطامع في بلاد المسلمين سعوا إلى تحقيقها، علماً بأنهم قد حققوا الكثير من تلك الرؤى التي كانوا يفكرون بها، وقد ساعدهم إلى جانب قوتهم كما أشرنا سابقاً، تهاون وتقاعس بعض الخلفاء والأمراء المسلمين، إذ لم تقتصر الأمور على حد التقاعس، بل امتدت لطلب العون والمساعدة أحياناً من هؤلاء الأعاجم لمقاتلة العرب المسلمين.

ونبدأ في هذا المقام ببيان سياسة القوة التي انتهجها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي لمقاومة هذه الإمبراطورية، وتحرير ما وقع في قبضتهم من بلاد المسلمين، وقد برع في بيان هذا الجانب عدد من شعراء الحضرة الفاطمية، وخصوا بمثل هذه المعارك العسكرية قصائد تتغنى بثلاثة مضامين تقوم على أساسها قصيدة الحرب: فكانوا يصفون الجيش، ويصورون لحظة اللقاء، ويذكرون ما آلت إلية تلك المعارك من نتائج، معلين من شأن الفاطميين وحنكتهم السياسة.

ويرى الباحث في بعض هذه القصائد _ كما جرت العادة عند الشعراء _ أنهم كانوا يستهلون قصائدهم بوصف الراحلة، ومن ثم التخلص للمدح وذكر صفات الممدوح، ومن ثمَّ يأتي الحديث عن الجانب الحربي، وهذا ما يلمح في قصائد ابن هانئ الأندلسي، إذ خص ممدوحه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بإحدى وعشرين قصيدة، ابتدأت في أغلبها بداية تقليدية، ثم تمضي بوصف جيوشه والمعارك التي تخوضها تلك الجيوش ضد الروم، ويذكر بعد وصف سجال الحرب، ولقاء الطرفين، وما تمخضت عنه تلك الوقائع من نتائج.

ومن هذه الإشارات العسكرية ما ورد في قصيدة نظمها ابن هانئ في مدح الخليفة المعز لدين الله، يهنئه بشهر رمضان، ثم يحسن التخلص ويأتي بالحديث عن سياسته، وفتكه بأعالج الروم، إذ يقول [١]:

ضَرَّابُ هَامِ الرُّومِ مُنْتَقِمَــــاً وفِـــي ... أَعْنَـــــاقِهِمْ مِـــنْ جُـــودِهِ أَعْبَاءُ

تَجْـــــري أَيادِيهِ التِي أَولاهُــمُ ... فَكَأَنَّــــــهَا بَيْـــنَ الدِّمَـــاءِ دِمَاءُ

لَوْلا انْبِعَاثُ السَّيفِ وهُو مُسَــلَّطٌ ... في قَتْلِـــــهِمْ قَتَلَتْـــهُمُ النَّعْــمَاءُ

كَانَـــــتْ مُلوكُ الأَعجَمِيْنَ أَعِــزَّةً ... فَأَذَلَّــهَـــا ذُو العِــــزَّةِ الأَبَّــــاءُ

ولَكَ الـــجَواري المُنْشَآتُ مَواخِـــراً ... تَجْـرِي بِأَمْــــرِكَ والرِّياحُ رُخَــــاءُ

والحَامِـــــلاتُ وكُلُّهَا مَحْمُولَــــةٌ ... والنَّاتِـجَـــاتُ وكُلُّـــهَا عَــــذْرَاءُ

والأَعْوجِيَّــاتُ التي إنْ سُوبِـــقَتْ ... سَبَقَـــتْ وَجْـــريُ المُذْكِيَاتِ غِلاءُ

الضَّامِراتُ السَّابِحَـــــاتُ السَّـابِقَا ... تُ النَّاجِـيَــــاتُ إذا استُحِثَّ نَجَاءُ

فَالبَأْسُ في حَمْسِ الوَغَى لِكُمَاتِهَـا ... والكِبْـــرِيَاءُ لَهُـــنَّ والخَيْــــلاءُ

لا يُصْدِرونَ نُحورَهَا يَومَ الوَغَـــى ... إلاَّ كَمَا صَـــبَـــغَ الخُـدودَ حَيَـــاءُ

شُمُّ العَوالِي والأُنُوفِ تَبَسَّمُــــــوا ... تَحْتَ النُّفُــوسِ فَأَظْلَمُـــوا وأَضَاؤُوا

لبِسُوا الحَدِيْـدَ عَلى الحَدِيدِ مُظَاهِراً ... حَتَّى اليَلامِـــقُ والــــدُّرُوعُ سِـــوَاءُ

وتَقَنَّعوا الفُـولاذَ حَتَّــى المُقْلةُ الـــ ... ـنَّجلاءُ فِيْهَا المُقْلَــــةُ الخَـوْصَــاءُ

فَكَأَنَّمَــــا فَـوقَ الأُنُوفِ بَــــوَارِقٌ ... وكَــأَنَّما فَوقَ المُتُـــــونِ إضَـــاءُ

وتَعَانَقُــوا حَتَّـــى رُدَينِيَّاتُـــــــهُمْ ... عَطْشَــــى وبِيضُــهُمُ الرِّقَــاقُ رِواءُ

ومن خلال الأبيات السابقة، تبدو براعة ابن هانئ في تصوير سياسة القوة وشدة البأس عند ممدوحه المعز، فهو يفصل في وصف جيوشه الجرارة من خيل وأساطيل حربية تشقّ عباب الماء، ويصف بشكل دقيق مكونات هذه الصورة الحربية أيضاً من رماح ردينية، وسيوف مصقولة ترتوي من دماء الأعداء، ولباس حديدٍ يُتّخذُ دروعاً، حتى أنه أصبح في نظر الشاعر وكأنه أُلبس على أجسام هي في أصلها من قوة بأسها حديد، وما هذا التفصيل إلا دليل واضح على تأييد الشاعر لهذه السياسة في التعامل مع أعداء الدولة الفاطمية.

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٩-٢١.

وفي قصيدة أخرى يمدح ابن هانئ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، ويعرّج من خلالها للحديث عن الجانب الحربي العسكري، وكيف كانت سياسة القوة وكثرة الطعان والقتال هي شعار هذا الخليفة الفاطمي في تعامله مع عدو المسلمين الغاصب الرومي، فيبدي الشاعر تأييده الواضح لهذه السياسة الفاطمية التي تنهجها السلطة أيضاً، إذ يقول [١]:

وأَسْمَرُ عَرَّاصُ الكُعُوبِ مُثَقَّفٌ وأَبيَضُ مَشْقُوقُ العَقِيقَةِ مَخْشُوبُ[٢]

لأَسيَافِهِ مِنْ بُدْنِهِ وعُصَاتِهِ نَجِيعَانِ مُهْرَاقٌ عَبِيْطٌ ومَصْبُوبُ

فَإِنْ تَكُ حَرْبٌ فَالمَفَارِقُ والطُّلَى وإِنْ يَكُ سِلْمٌ فَالشَّوى والعَرَاقِيْبُ

ومَا هُو إلاَّ أَنْ يُشيْرَ بِلَحْظِهِ فَتَمخُرَ فُلْكٌ أَو تُغِيرَ مَقَانِيْبُ[٣]

فَلا قَارِعٌ إلاَّ القَنَا السُّمْرُ بِالقَنَا إِذا قُرِعَتْ للحَادِثَاتِ الظَّنَابِيْبُ[٤]

ولَمْ أَرَ زَوَّاراً كَسَيْفِكَ لِلعِدَى فَهَلْ عِنْدَ هَامِ الرُّومِ أَهلٌ وتَرْحِيْبُ؟

إِذا ذَكَروا آثَارَ بَأْسِكَ فِيهِمُ فَلا القُطْرُ مَعْدودٌ ولا الرَّملُ مَحْسُوبُ

وفِيمَا آصْطَلَوا مِنْ حَرِّ نَارِكَ واعِظٌ وفيمَا أُذِيقُوا مِنْ عَذَابِكَ تَأْدِيْبُ

ولَكِنْ لعَلَّ الجَاثَلِيقَ يَغُرُّهُ عَلى حَلَبٍ نَهْبٌ هُنَالِكَ مَنْهُوبُ

وعَزْمٌ يُظِلُّ الخَافِقَيْنِ كَأَنَّهُ عَلى أُفُقِ الدُّنيَا بِنَاءٌ وتَطْنِيْبُ

ويُسْلِمُ أَرمينِيَّةً وذَواتِهَا صَلِيْبٌ لِفَسْخِ الأَرمَنيينَ مَنْصُوبُ

ويلاحظ من خلال أشعار ابن هانئ التي جاءت تصور صراع السلطة الفاطمية وسياستها في دحر أعدائها، حرصه على إبراز جانب القوة والعزم عند ممدوحه، فبدأ بوصف سلاح جيوشه من سيوف ورماح، مضيفاً عليها صفات القوة والشدة والمنعة، وقدرتها وتمكنها من إراقة دماء الأعداء، ثم يلجأ ابن هانئ للسخرية من جيش الروم، إذ أنّ جيش المعز لا تسمع لهم إلا قرع القنا بالقنا، وبينما لا تسمع إلا قرع عظام جياد الروم متأهبين للانسحاب والهزيمة، ويتهكم ابن هانئ من الروم مرَّةً أخرى، عندما

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٤٣-٤٦.
(٢) مخشوب: هو السيف الصقيل، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة خَشَبَ.
(٣) المقانيب: مفردها مقنب، وهي الجماعات من الخيل، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة قنبَ.
(٤) الظنانيب: مفردها ظنبوب، وهي حروف الساق من الأمام، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة ظنب.

يجعلهم متقبلين لسيوف المعز مكرهين مجبرين لا مخيرين، فجيش المعز جاء مؤدباً لهم في ساحة الوغى، لعلهم يتعظون بما حل بهم.

وينتقل ابن هانئ إلى بيان جانب سياسة القوة والحزم عند المعز لدين الله الفاطمي في تعامله مع الروم، فكان يشيد بالانتصارات التي حظي بها هذا الخليفة الفاطمي أثناء حروبه، ومن هذه الانتصارات مقتل القائد (منويل فقاس)، إذ يسهب ابن هانئ في الحديث عن غنائم الفاطميين في هذه المعركة، متكئاً على أسلوب السخرية المعتاد من الإمبراطور الروميّ، فيقول في ذلك [١]:

وبَعَثْتَ بِالأُسطُولِ يَحْمِلُ عُدَّةً ... فَأَثَابَنَا بِالعُدَّةِ الأُسْطُولُ

أَدَّى إلينَا ما جَمَعْتَ مُوفَّراً ... ثُمَّ انثَنَى فِي اليَمِّ وهو جَفولُ

ومَضَى يَخِفُّ عَلى الجَنَائِبِ[٢] حَمْلُهُ ... ولَقَدْ يُرى بِالجَيْشِ وهُو ثَقِيلُ

نَفَّلْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا وفَّرْتَهُ ... مَنٌّ لَعَمرُكَ مَا أَتَيْتَ جَزِيلُ

إِيْهَاً كَذَاكَ فَإِنَّهُ ما كَانَ مِنْ ... بِرِّ الكِرَامِ فَإِنَّهُ مَقْبُولُ

ولولع ابن هانئ بانتصارات الفاطميين في سياستهم الخارجية، وحنكتهم في تعاملهم مع جيش الروم، فإنه يتلذذ بهزيمة أعداء المعز عندما يركز مرة أخرى على وصف نهاية الروم التي آلوا إليها بعد المعركة، وهو في هذه المرة يخص الأسطول البحري للفاطميين بحديث يطول، مركزاً فيه على أفضلية جيش المعز في السيطرة على مسالك البحر والتحكم فيها، بعد أن كانت تحت سيطرة الروم سنوات طويلة، ولم يكن أحد قبل الفاطميين يجرؤ على ذلك، يقول [٣]:

قَدْ كَانَتْ الرُّومُ مَحْذُوراً كَتَائِبُهَا ... تُدْنِي البِلادَ عَلى شَحْطٍ وتَبْعِيدِ

وشَاغَبُوا اليَمَّ أَلفَيْ حِجَّةً كَمَلاً ... وهُمْ فَوارِسُ قَارِّيَّاتِهِ[٤] السُّودِ

فَاليَومَ قَدْ طُمِسَتْ فِيْهِ مَسَالِكُهُمْ ... مِنْ كُلِّ لاحِبٍ نَهْجِ الفُلْكِ مَقْصُودِ

ومن أجل تأييد سياسة المعز لدين الله خارجياً خلال حروبه، يركز ابن هانئ على ما آل إليه الروم وقادتهم من الخطوب القاسية التي حلت بهم، فبعد ذكر عظمة جيوش

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٢) الجنائب: وهي الدابة التي تقاد غير مركوبة، ابن منظور، لسان العرب، مادة جنب.

(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٠٤.

(٤) قارِّيَّاته: هي السفن الحربية المطلية بالقار .

المعز، وما تحمله أساطيله البحرية من أسلحة وعتاد حربي، فرغ ابن هانئ لوصف حالة الرعب التي ملأت أفئدة ملوك الروم، وكأنَّ لسان حاله يقول: كفاكم رعباً قبل نهاية أجلكم مما تراه أعينكم في هذا الأسطول الحربي المتقّد في وسط عباب الماء، فهو كالجبال الراسية لشدة ما يحمله من السلاح والجنود، وكالطيور الجارحة في السماء تنتظر فريستها، وللأسطول أيضاً صوت دوي يرهب العدو وينذر بزوالهم جميعاً، وفي ذلك يقول ابن هانئ [1]:

أَمَا والجَوارِي المُنْشَآتِ التِي سَرَتْ	**لَقَدْ ظَاهَرَتْها عُدَّةٌ وعَدِيْدُ**
ومَا رَاعَ مَلْكَ الرُّومِ إلاَّ اطِّلاعُهَا	**تُنَشَّرُ أَعْلامٌ لهَا وبُنُودُ**
عَلَيْهَا غَمَامٌ مُكْفَهِرٌّ صَبِيرُهُ	**لَهُ بَارِقَاتٌ جَمَّةٌ ورُعودُ[2]**
مِنَ الرَّاسِيَاتِ الشُّمِّ لولا انتِقَالُهَا	**فَمِنْهَا قِلالٌ شُمَّخٌ ورُيودُ[3]**
مِنَ الطَّيْرِ إلَّا أَنَّهُنّ جَوارِحٌ	**فَلَيْسَ لهَا إلَّا النُّفُوسَ مَصِيْدُ**
مِنَ القَادِحَاتِ النَّارِ تُضْرَمُ للطُّلَى	**فَلَيْسَ لهَا يَومَ اللِّقَاءِ خُمُودُ**
إذا زَفَرَتْ غَيْضاً تَرَامَتْ بِمَارِجٍ	**كَمَا شُبَّ مِنْ نَارِ الجَحِيْمِ وَقُودُ**
فَأَنْفَاسُهُنَّ الحَامِيَاتُ صَواعِقٌ	**وأَفواهُهُنَّ الزَّافِرَاتُ حَدِيْدُ**
يُشَبُّ لآلِ الجَاثَلِيقِ[4] سَعِيْرُهَا	**وما هِي مِنْ آلِ الطَّرِيْدِ بَعْيدُ**

ويستمر ابن هانئ في تتبع مجريات صراع الفاطميين مع الروم، مبدياً تأييده المطلق والمعلن لسياسة الصراع ونتائجه، ومظهراً شماتته بما حل بالروم، لكنه هذه المرة يعلي من شأن الخليفة الفاطمي دينياً، فهو مؤيد بنصره من الله الذي رد دعوى الروم ولم يمنع عنه جيش المعز، فانهزم قادة الروم شر هزيمة لم يتصوروها أو يتوقعوا حدوثها، يقول [5]:

تَرَى أَعَادِيهِ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ	**مَا لا يَرى حَاسِدٌ في وَجْهِ مَحْسُودِ**
قَدْ حَاكَمَتْهُ مُلُوكُ الرُّومِ فِي لَجَبٍ	**وكَانَ للهِ حُكْمٌ غَيْرُ مَرْدُودِ**
إذْ لا تَرَى هِبْرِزِيّاً غَيْرُ مُنْعَفِرٍ	**مِنْهُمْ ولا جَاثَلِيَقا غَيْرَ مَصْفُودِ**

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٩٢-٩٣.
(2) الصبير : هو السحاب الأبيض، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة صبر.
(3) الريود: حرف ناتئ في عرض الجبل وواحدها ريد، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة ريد.
(4) الجاثليق أراد بهم الروم.
(5) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٠١-١٠٢.

قَضَيْتَ نَحْــبَ العَوالي بَطَـارِقِــــهِمْ وللدَّمَاسِقِ يَــــومٌ جِـــدُّ مَشْهُــودِ
لَوْ كَانَ للـرُّومِ عِلْمٌ بِالذِي لَقِيَـــتْ مَا هُنِّئَتْ أُمٌّ بِطْـــــرِيقٍ بِمَــولُودِ

وبمثل هذه القصائد الحربية التي تبين سياسة خلفاء الدولة الفاطمية، فقد جادت قرائح الشعراء الذين عاصروا أكناف الخلافة الفاطمية بجميل الشعر في هذا الجانب، فهذا ظافر بن الحداد يصف سياسة القوة في تعامل الآمر بأحكام الله الفاطمي – أحد الخلفاء الفاطمية –، فذكر مقاومته لهذه الزمرة الكافرة الخطرة على بلاد المسلمين، ويزف لممدوحه بشارة النصر والظفر عليهم، فيمحق الله بفضله الفرنجة، ويبيد الروم، ويفك ببأسه وعزيمته الشآم المصفد من أيديهم، إذ يقول [١]:

لا بُدَّ للشِّـــرِكِ مِنْ يَوْمٍ تُعيدَ لَـهُ فِيْهِ سُيــــوفِكَ فِعْلُ الرِّيحِ فِي عَادِ
مَا الشَّامُ إلاَّ كَمَاءٍ فَوقَهُ شَــــرَكٌ والرُّوم سِـرْبُ قَطَـاً جَاءَتْ لإيــرَادِ
وقَدْ أَضَرَّ بِهَـــا مِنْ دُونِه ضَمَأ وحَـــدٌّ سَيْـفِكَ فِيهِمْ أَيُّ صَيَّـــادِ

وكما فعل ظافر بن الحداد في بيان نهج القوة عند خلفاء الدولة الفاطمية، تجده يعكف بشعره أيضاً على إيراد مثل هذه السياسة عند وزراء وولاة الحضرة الفاطمية، إذ عاصر الشاعر ظافر من وزراء عصره الوزير " الأفضل بن بدر الجمالي " ت٥١٥هـ، واتصل به اتصالاً وثيقاً في أيام وزارته، وكشف في أشعاره عن الدور الضليع الذي قام به في سبيل حماية الدين، فكشف عن صراعه مع الصليبين، وأسبغ عليه صفات قادة المسلمين، فلبّى بعزم واقتدار كل مستغيث، ونذر نفسه للدفاع عن حمى الإسلام عندما تخاذل غيره من الحكام، إذ لولا سياسة بأسه، وصَلِيِّ سيفه _ كما يدّعي ابن الحدّاد _، لهدمت أركان الدين، معلناً بذلك موقفه المؤيد للسلطة الفاطمية في سياستها الخارجية المتمثلة في الصراع مع الروم وغيرهم، إذ يقول [٢]:

أَمُغيثَ الدِّينِ نَصْـــــرَاً حِيْـــنَ لَمْ يَبْقَ مِنْــــهُ مَنْكَبٌ لَــمْ يَنْكَـــبِ
ومُلُــوكُ الأَرْضِ كُــــلٌّ غَافِــلٌ عَنْهُ في التَّقْصِــــيرِ أَو في اللَّعِبِ
قُمْــتَ للهِ احْتِسَــــاباً صَادِقَــــاً نَـاهِضَـــــاً فِيْـــهِ بِعِــبءٍ مُتْعِبِ
مُسْتَمِـــرُّ الجَدِّ في اسْتِصْــلاحِهِ آخِـــذَاً مِنْــهُ بِجَمْــــعٍ أَرْحَــــبِ

(١) الحدّاد، ظافر، الديوان، ص٦٣.
(٢) الحدّاد، ظافر، الديوان ، ص٢٨.

لَيْـــــسَ يُلْهِيكَ مَـــرَامٌ دُونَــــهُ   لا ولا يُثْنِـــيـــكَ طُـــولُ الـدَّأْبِ
جَـــاهِدَاً تُقْـــــدِمُ حتَّـــــــى رَدَّهُ   حَزْمُـــكَ الثَّبْـتُ لأَعْـــلَى مَنْصِبِ
فَجَزَاكَ اللهُ عَنْ إِسْـــــلامِـــــــــهِ   خَيْرَ مَا جَـــازَى بِهِ مَـــنْ يَجْتَبِي

وللفاطميين صولات وجولات وصراعات مع الفرنج دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، وتنفيذاً لمبدأ السياسة الخارجية التي ينتهجها قادتهم، فطلائع بن رُزِّيك أحد قادتهم وشعرائهم، يفخر بصنيعه وصنيع جيشه في صراع الفرنج، فقد ألحقوا بعدوهم هزيمة نكراء بعد أن التقت السيوف بالسيوف والرماح بالرماح، وفعلت بهم الخيول ما فعلت، وقذف في قلوبهم الرعب من بأس جيش الفاطميين، حتى عادت الجيوش برؤوس الأعداء محملة على القنا وبالغنائم التي تركها الأعداء منهزمين في ساحة المعركة، حيث يقول في ذلك [١]:

تَوَالَتْ عَلَيْنَا فِـي الكَتَـــائِبِ والكُتُـــبِ   بَشَائِرٌ مِنْ شَرْقِ البِـــلادِ ومِنْ غَرْبِ
بَشَائِرٌ تُهْدِي للمَـــوالِي مَسَـــــــرَّةً   وتُحْدِثُ للبَاغينَ رُعباً عَلـــى رُعْــــب
فَفِي كَبِدٍ مِنْ حَرِّهَـا النَّارُ تَلتَـظِــــي   وفِي كَبِدٍ أَحلَى مِنَ البَـــارِدِ العَـــذْبِ
جَعَلنَا جِبَالَ القُدْسِ فِيهَـا وقَدْ جَرَتْ   عَلينَا عِنَاقُ الخَيْلِ كَالنَّفْنَفِ السَّهْبِ[٢]
فَقَدْ أَصْبَحَتْ أَوعَارُهَا وحُــزونُــــــهَا   سُهُولاً تَوطًّا لِلفَـــوارِسِ والـــرَّكـــبِ
وأَخفَى صَهِيْـلُ الخَيْلِ أَصواتَ أَهْلِهَا   فَعَاقَتْ نَواقِيسُ الفِرَنجِ عَنْ الضَّـــرْبِ
وأَبطَالُ حَربٍ مِـنْ كُتَامَةَ دَوَّخُـــــوا   بِلادَ الأَعَـــــادِي بِالمُسَوَّمَـةِ القُبِّ[٣]
وعَادوا إِليِنَا بِالـــرُّؤوسِ عَلـى القَنَـا   وأَغْنَاهُمُ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَـــنِ الكَسْبِ
وإِنَّا بَنُـــــو رُزِّيك مَـــا زَالَ جَــارُنَا   يَحِلُّ لدَينَا بِالكَرَامَــةِ والخَـــصْـــــبِ

وجادت قريحة هذا الملك القائد والشاعر بقصائد تصف وقع جيوش الفاطميين وحروبهم ضد الصليبيين في بلاد الشام، على أنه إذا انشغل بالطعن والقتال نجد من الشعراء من ينوب عنه ويصور بطولاته، ويصف حزم سياسته وقوته في مجابهة هؤلاء

---

(١) ابن رُزِّيك، طلائع الملك الصالح، الديوان، قدم له محمد هادي الأميني، المكتبة الأهلية، (د.ط/ت)، ص٥٨-٥٩.
(٢) النَّفنف: هي المفازة، والسَّهب: المستوي من الأرض، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادتا نَفَفَ وسَهَبَ.
(٣) المسوّمة: المعلَّمة، والقبّ: الضوامر من الخيل، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادتا سَومَ وقَبَبَ.

الأعداء، وفي معرض هذا يقول عُمارة اليمني، ويصف تلك الوقائع لإعلاء شأن ممدوحه سياسياً، [1]:

تَيَقَّنتْ الافْرَنــــــجُ أَنَّـكَ إن تُـــــرِدْ	**دِيَارَهُمْ لَمْ يُنْجِـــــهِمْ مِنْـــكَ مَهْرَبُ**
وخَافَتْكَ إِنْ لَمْ تُعْطِهَا الأَمْـنَ مُنْعِماً	**فَجَاءَتْكَ بِالأُسْــــدِ الشَّـــرَى تَتَغَلَّبُ**
وأَهْدَوا رِجَالَ السِّـــلمِ آلةَ حَرْبِـهِـمْ	**ومِنْ بَعْضِ ما أَهْدَوا مِجَنٌّ ومِقْضَــبُ**
وذَلِكِ فَـأْلٌ صَــــــادِقٌ أَنْ عَزَّهُـــمْ	**بِسَيْفِكَ يا سَيْفُ الهُدَى سَوْفَ يُسْلَبُ**

ويعلي عُمارة اليمني من سياسة (طلائع بن رُزِّيك) القائد، فيصف حزمه وقوة بأسه في مواجهة الأعداء، وهو صاحب هيبة تملأ قلوب الأعداء رعباً، جديرٌ بحمل سلاح المعركة عن دون غيره من الناس، وهو يدنو من الأعداء الذين ظنّوا أَنَّ شجاعتهم سوف تنجيهم منه، ولكن هيهات، فقد أسقاهم طلائع من الموت غير المنقطع، وتركهم مضرجين مغبرين بتراب المعركة، إذ يقول [2]:

أَلقَى الكَفِيْلُ أَبُو الغَـــاراتِ كَلْكَلَـــــهُ	**عَلى الزَّمَانِ وضَاعَتْ حِيلَةُ النُّـوَبِ**
ودَاخَلَتْ أَنفُسُ الأَيَّـــامِ هَيبَتَـــــــهُ	**حَتَّى استَرَابَتْ نُفُوسُ الشَّـكِّ والرِّيَبِ**
بَثَّ النَّدَى والرَّدَى زَجْـــراً وتَكْرِمَـــةً	**فَكُلُّ قَلْبٍ رَهِيْنُ الرُّعْبِ في الرَّعِـــبِ**
فَمَا لِحَامِلِ سَيْـــفٍ أَو مُثَقَّـفَـــــــةٍ	**سِوى التَّحمُّلُ بَيْنَ النَّـاسِ مِنْ أَرَبِ**
لمَّا تَمَــرَّدَ بَهْـــــرَامٌ وأُسْرَتُـــــــهُ	**جَهْلاً ورَامُوا قِرَاعَ النَّبْعِ بِالغَـــــرَبِ**
ظَنُّوا الشَّجَاعَةَ تُنْجيهِمْ فَقَارَعَهُـــــمْ	**أَبُو شُجَـاعٍ قَرِيْعُ المَجْدِ والحَسَـــــبِ**
سُقوا بِأَسْكَرِ سكراً لا انقِضَــاءَ لَــــهُ	**مِنْ قَهوةِ المَـوتِ لا مِنْ قَهوةِ العِنَبِ**
للهِ عَزْمَةُ مُحــيِّ الدِّينَ كَمْ تَرَكَــــتْ	**بِتُربَةِ الحَـــيِّ مِنْ خَدِّ امرِئٍ تَـــرِبِ**

---

(1) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص١٧٦.
(2) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص١٦٥.

أَمَّا ابن حيّوس فنجده من المؤيدين لسياسة الوزراء وقادة الجيوش في الدولة الفاطمية، ومن هؤلاء الولاة الذين وصف الشاعر سياسة إدارتهم الخارجية، وكيفية تعاملهم مع الأعداء الخارجيين مثل دولة الروم، الوزير أمير الجيوش (الدِّزْبِري)، إذ امتدحه في قصيدة مطوّلة تنوف تسعين بيتاً، ويذكّره بهدنته للروم من خلالها، فهي هدنة من قائد يجيد سياسة دولته، حتى كأنها وهبت للروم الروح والحياة من جديد، فكانوا حريين بشكره لقاء هدنته، إذ يقول [1]:

هُدْنَةٌ بَقَّــــتِ النُّفُــوسَ على الرُّو ... مِ فَكَانُــــوا بِشُكْــــرِهِا أَمْلِيَـــاءَ

ويبرز ابن حيّوس في القصيدة نفسها صِفَةً لممدوحه تُعدُّ من باب العفو والصفح، وهي في المحصلة حنكة سياسية، فهو يعفو فيملك الأحرار بعفوه، وينقذ به من وقع في أسره، إذ يقول [2]:

وبِعَفْوٍ أُنِيـــلَ فَاسْتَمْــلَكَ الأَحْـــ ... ـــرَارَ عَفْواً واسْتَنْقَـــذَ الأَسْـــرَاءَ

ولكن هذا القائد إن أَراد أَن يكشف عن وجهه، ويستبدل الوهادة بالضرب والطعان، فهو أهلٌ لذلك، فهو إن أَراد شيئاً أَعملَ له السيوف، فكانت بما يريد كافلة، إذ يقول ابن حيّوس [3]:

وإِذا رُمْـــتَ غَايَةً بَعُـــدَتْ نَيْـــ ... ـــلاً أَخَــذْتَ الظُّبَــى بِهَــا كُفَلاءَ

كيف لا وهو سيفٌ يحمي الخلافة ودولتها بمضائه، [4]:

أَيُّ حَيْـــفٍ وللخِلافَـــــةِ سَيْفٌ ... تَسْتَمِـــدُّ السُّيــوفُ مِنْــهُ المَضَاءَ

ويشير ابن حيّوس إلى سياسة القوة والحزم التي تملكها الدِّزْبِري في تعامله مع العدوان الخارجي، فهو يقف كالسَّدِّ في وجه الرّوم، ويمنعهم من تحقيق مرامهم في بلاد

(1) ابن حيّوس، الديوان، ج1، ص4.
(2) ابن حيّوس، الديوان، ج1، ص5.
(3) ابن حيّوس، الديوان، ج1، ص7.
(4) ابن حيّوس، الديوان، ج1، ص7.

الشام، فيجعل منهم عبرةً لكل معتبر عندما نالتهم سيوفه، إذ يقول [١]:

وعَزَّ عَلـــــى الـــرُّومِ مَا كُلِّـفُـوا	**حَمَى ثُغَرَ الدِّينِ طَعْـــنُ الثُّغَـــرْ**
وفِيْمَا جَـــرَى مِـــنْ طَرِيدَيْ ظُبَاكَ	**عَلـــى مَلْكِـــهِمْ لَـــهُمْ مُعْتَـــبَرْ**
وقَدْ يَمَّمُـــوا الشَّـــامَ فِــــي قُوَّةٍ	**يَخِــرُّ لهَا الجَــبَلُ المُشْمَـخِـــرّْ**

ويتابع ابن حيّوس في القصيدة نفسها الإعلاء من سياسة ممدوحه المتمثلة بجانب القوة وشدة البأس، فهو لا يخشى جيوش الرّوم بأعدادهم الهائلة، بل دحرهم مهزومين وساقهم إلى الموت والهلاك وليس لهم من عاصمٍ عن قدره، فأسيافه قد أعملت فيهم الطعن والضرب، وله في كل يوم كريهةٍ الظَّفر والغلبة، إذ يقول [٢]:

مِئِيـــنَ أُلُـــوفٍ غَزَوا في مِئِيـنَ	**فَلَمْ يَلْبَثُـــــوا غَيْـــرَ لَمْحِ البَصَرْ**
ووَلَّوا هَزِيمَـــاً جِــــذَارَ الـــرَّدَى	**وهَلْ حَذَرٌ عَاصِـــمٌ مِـــنْ قَـــدَرْ**
وَوَقْعُ الظُّبــــى دُونَ قَـــرْعِ العَصَا	**ووَخْـــــزُ القَـــنَا دُونَ نَخَسِ الإِبَرْ**
وفي أَيِّ يَومٍ شَهِـــــدْتَ الوَغَــى	**ومَا عُـــدْتَ تسْحَــــبُ ذَيْلَ الظَّفَرْ**

وممّا سبق يتضح أنَّ للسلطة الفاطمية سياسة واضحة في تعاملها مع الرّعيَّة، استطاعت من خلالها أن تنشر مذهبها وعقيدتها، وبسطت سلطانها وحكمها في أرجاء كثيرة، وقد عبّر الشعراء عن موقفهم تجاه السلطة الفاطمية وسياستها مؤيدين داعمين لها، وبالذّات الشاعر ابن هانئ الأندلسي الذي أجاد في وصف تلك السياسة الداخلية، والخارجية أيضاً، معلناً هو وغيره من الشعراء الولاء الكامل لتلك السياسة التي انتهجها الفاطميون في فترة حكمهم، وفي المقابل لم يكن هناك شعراء كثر يعارضون سياسة الفاطميين، وعلى الرغم من قلّة عددهم، وشحِّ نظمهم في هذا الجانب، سيتم التطرق إليهم في الفصل التالي، وذلك _ كما أشار الباحث في البداية _ إلى وقوع هذه المعارضات والمناهضات في الجانب العقائدي، الذي يشكل جوهر الدولة الفاطمية.

---

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٩٣.
(٢) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص ٢٩٤.

الفصل الثاني

موقف الشاعر من السلطة الفاطمية عقائدياً

كانت الدولة الفاطمية في أساس قيامها قائمة على مذهب التَّشيع في عقيدتها التي جاءت من أجلها، لذا فهي – في رأي الباحث – دولةٌ ذات وجود عقائدي متشيع أكثر منها وجوداً جغرافياً، على الرغم من قيامها في بلاد المغرب على يد مؤسسها عبيد الله المهدي، وتوجه أنظارها إلى بلاد المشرق العربي، وبخاصة مصر بوابة مطامعهم التي قد حصلوا عليها.

وبما أَن مادة هذه الدولة وجوهرها هو الجانب الديني والعقائدي، فقد اهتم الشعراء بهذا الجانب، وأولوه عنايةً كبيرة فاقت عنايتهم بالموضوعات والجوانب الأخرى، فهو المنطلق بالنسبة لألسنتهم لصياغة الأشعار والقصائد التي تبجّل خلفاء هذه الدولة وأعوانهم من وزراء وقادة جيوش وولاة على ما ينضوي تحت رايتهم من بلاد ومدن، لذلك فقد اهتم شعراء الخلافة الفاطمية بجانب العقيدة الفاطمية، والدفاع عنها بكل ما اتيح لهم من خلال أشعارهم، ناهيك عن اهتمامهم بالخليفة الفاطمي، وإبراز صفاته الدينية بشكل مفصل، فهو في نظرهم خليفة للمسلمين معصومٌ موصى به للإمامة، وأن الدنيا خُلقت للإمام كما خلقت الروح للجسد، وغيرها من الصفات التي سيقف على شرحها وتبيينها هذا الفصل.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى مغالاة بعض الشعراء في معرض وصفهم وحديثهم عن الخلفاء الفاطميين، فهنالك من بالغ إلى حدِّ الكفر في وصفهم بصفات الألوهيّة، وصفات الأنبياء والرسل – عليهم السلام –، كشاعر الدولة الفاطمية محمد بن هانئ الأندلسي وغيره من الشعراء، بالإضافة إلى دفاع الشعراء عن الخلافة الفاطمية وخلفائها، وأحقيتهم بها من غيرهم، مستندين بدفاعهم هذا على الجانب الديني والعقائدي، وما يزخر به من مصطلحات دينية تخص عقيدتهم.

لقد جاء الفاطميون إلى مصر يحملون معهم عقيدةً دينيةً خاصةً بهم، تختلف عن عقيدة أهل السنة آنذاك، وتحمل هذه العقيدة مصطلحات وأفكاراً لا يستوعبها إلا من

كان منتسباً للعقيدة والمذهب الشيعي الفاطمي، وبذلك أصبح لهذه العقيدة تأثير بارز في الشعر ومصطلحات الشعراء الذين اتصلوا بالخلفاء الفاطميين، وعمل الشعراء على تضمين قصائدهم الموجهة لمدح الخليفة الفاطمي أو أحد أعوانه تلك المصطلحات التي تشير إلى مذهب الفاطميين وعقيدتهم الشيعية، وبذلك أصبح لسان الشاعر خير مدافعٍ عن هذا المذهب وخلفائه، ولقاء ذلك كان الخلفاء الفاطميون يغدقون العطاء والجزيل من المال على هؤلاء الشعراء، لا بل يقربونهم لبلاط قصرهم ويهتمون بهم أشد اهتمام، وذلك لأنهم سيكونون سيفاً من الشعر، ورمحاً من ألفاظه وصوره ومعانيه التي تدافع عن ولاية خلافتهم، حتى أَنَّ بعض الخلفاء أَوقف لبعض الشعراء رواتب دائمة، مما يدل على اعتماد هؤلاء الخلفاء على الشعراء لتأييد مذهبهم، وعقائدهم الفاطمية.

وتشير المصادر قديمها وحديثها إلى مدى ثراء الدولة الفاطمية في تلك الفترة، وجرّاء ذلك الثراء لم يكن هنالك سببٌ مانع من الإفراط في عطايا الشعراء وإكرامهم، إضافةً إلى ذلك حدا هذا الثراء بالخلفاء الفاطميين إلى استحداث الأعياد و المناسبات الدينية، وغيرها لتكون بمثابة مهرجانات واحتفالات يستعرضون من خلالها دولتهم ومذهبها الجديد على الناس، وقد يكون لهم مرامٍ أخرى غير ذلك من خلال تلك المناسبات، فنحن نعلم أن لدولة الفاطميين أعداء ومنافسين لهم من حولهم، كدولة العباسيين والأمويين، وبذلك من الممكن أن يكون ذلك استعراضاً سياسياً مبطناً عندهم وعند شعرائهم.

وفي هذا الصدد يذكر العماد الأصبهاني في الخريدة أن الخلفاء الفاطميين قد استحدثوا وظيفة في الدولة هي: (مُقدِّم الشعراء)، ويذكر أَنَّ مقدّم الشعراء في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي هو الملقب بمسعود الدولة المعروف " بابن حريز "[١]، حتى أَن الأمر قد وصل إلى سيدات القصور الفاطمية، فكُنَّ يمنحن الأموال ويبالغن في عطائهنَّ كلما سمعن شاعراً يمدح ويجيد في مدحه الخلفاء الفاطميين، وهذا ما قد

---

(١) الأصبهاني، أبو عبدالله محمد بن صفي الدين، خريدة القصر وجريدة العصر، نشر وتحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عبّاس، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥١م، ص١٠٢.

حصل مع الشاعر عُمارة اليمني، حيث منحته السيدة الشريفة بنت الإمام الحافظ خمسمائة دينار، عندما أنشد قصيدته الأولى في مصر [1].

ولهذا السبب من إغداق المال والعطايا من الخلفاء الفاطميين على الشعراء في ذلك العصر، أصبح الشعراء يعملون على إتقان شعرهم وإجادة صياغته، والإكثار من إنشاده في مختلف المحافل، فبلغ بذلك الخلفاء ما يرمون له في ذلك، فأصبح الشعر بمثابة دعاية سياسية تتخذ من الجانب الديني دعائم لها، لتقف في وجه من يعارض دعوتهم وإمامتهم من أهل عصرهم، بالإضافة إلى أَلَدِّ أعدائهم ومكمن الخطر على مذهب دولتهم، ألا وهم العباسيون في بغداد، وبنو أُميَّة في بلاد الشام.

غير أَن هنالك شعراء لم تكن بغيتهم المال والعطاء في أشعارهم الممجدة للخلفاء الفاطميين وعقائدهم، وذلك لأَنَّهم أصحاب المذهب الشيعي أصلاً، والناشئون عليه منذ الصغر، ومثالهم الوزير والملك الصالح الشاعر طلائع بن رُزِّيك، والأمير تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، إذ يُعدُّ تميم أَميراً فاطميّاً وشاعراً مُجيداً، لذا سنورد شواهد شعره المؤيد للخلافة الفاطمية ضمن أشعار الشعراء المؤيدين فقط لإيمانهم بعقيدة المذهب الفاطمي، والنشأة على أساسه، على خلاف تلك المجموعة من الشعراء، سواء أكانوا من أهل مصر، أم وافدين عليها، والذين كانوا يتخذون من العقائد الفاطمية وسيلة للوصول إلى مدح الخلفاء، مضمنين أشعارهم تلك العقيدة، وما تحمله من مصطلحات وأفكار خاصة بها، لينالوا القرب والزلفة من الخلفاء ورجال دولتهم من الأمراء والوزراء، وقادة الجيوش وغيرهم.

وينبغي علينا قبل الولوج إلى موضوع التأييد عند الشعراء للخليفة الفاطمي، ورجال دولته من الأمراء والوزراء وقادة الجيوش من الناحية العقائديَّة، أن نقف عند قضية تعاطي بعض خلفاء الدولة الفاطمية الشعر، والتبصر به، وذلك تقديراً منهم لهذا السلاح الذي سيذبُّ عنهم وقع أعدائهم، على أنه لم تكن سوى أبيات تكاد تصل إلى مسمى " مقطعات شعرية "، أراد منها الخلفاء في ذلك العهد الدفاع عن عقيدتهم،

---

(1) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٣٤.

وتأييد ما ينضوي تحت راية خلافتهم من مصطلحات وأفكار خاصة بمذهبهم، ومن ذلك ما قاله المنصور بالله الفاطمي والد المعزّ لدين الله الفاطمي، [1]:

تَبَـدّلتُ بَعـدَ الزَّعفَـرانِ وطِيبِـــــــهِ	**صَدا الدُّروعِ مِنْ مُستَحكَماتِ السَّوامــرِ**
أَلَـمْ تَرَنــي بِعـتُ المقَامـةَ بِالسـُّــرى	**ولـينَ الحَشَايــا بالخُيـولِ الضَّــوامِـــرِ**
وفِتيـان صِــــدْقٍ لا ضَغَائـــنَ بَيـنهُمْ	**يَثُورونَ ثَـــورات الأُســـودِ الخَـــوادِرِ**
أَروني فتىً يَغنَى غِنَائِي ومَشْـــهَدِي	**إِذا رَهَــجَ الــوادِي لِوَقــعِ الحَوافِـــــرِ**
أَنا الطَّاهِرُ المَنصُورُ من نَسلِ أَحمد	**بِسَيفِي أَقُدُّ الهَــامَ تَحْــــتَ المَغَـــافِرِ**

فالخليفة الفاطمي في المقطوعة السابقة يمثل بحسه تلك الحماسة التي تعيش في نفسه، ويستخدم لإثبات قوة هذه الحماسة في القتال ما يناسبها من جزالة اللفظ والمعنى، ليعطف في نهاية هذه الحماسة على تأييد نفسه بنفسه، وذلك من خلال البيت الأخير، الذي يشير به إلى اتصال نسبه بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، وذلك من فرع ابنته الزهراء فاطمة زوجة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، متصلين كما يدَّعون بعليّ والحسين.

ولم يقف قول الشعر عند خليفة فاطمي في عهده فقط، بل نلاحظ أن من بلغ من أبنائهم وأحفادهم إلى سدة الحكم يتقول الشعر في مختلف المناسبات، فالخليفة العزيز بالله نزار الفاطمي ابن المعز لدين الله الفاطمي، من أحد هؤلاء الخلفاء الذين نظموا الشعر وأنشدوه، فيورد الثعالبي في " يتيمة الدهر " أبياتاً للعزيز بالله الفاطمي، وقد وافق ذلك في عيد من الأعياد وفاة ابن له، فيقول [2]:

نَـحنُ بَنُــو المُصطَفَـى ذَوو مِـحَنٍ	**يَـجرَعُـــهَا في الحَيَـــاةِ كَـــاظِمُنَـــا**
عَجِيبَـــةٌ في الأَنَـــامِ مِحنَتُنَـــا	**أَوّلُنَـــا مُبتَـلـــى وخَـــــاتِمُــــنَـــا**

(١) الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، سيرة الاستاذ جوذر، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبدالهادي، دار الفكر العربي، مصر، م١٩٥٤، (د.ط)، ص٥٠.

(٢) الثعالبي، عبدالملك أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٢٣.

يَفْرَحُ هَـــذَا الـــورَى بِعيــــدهُمُ   طَـــــرا، وأَعيَــــــادُنا مَآتِمُــنَــا

فالشاعر الفاطمي ابن الخلافة في هذه الابيات يبثُّ لقارئها وسامعها عن مشاعر أَلمٍ تعتصر في قلبه، ولم يكن مصدر هذا الحزن والألم في رأيه وفاة ابنه فقط، ولكنه يتجرع الأسى والآلام على ما حلَّ بأهل البيت منذ القدم من محنٍ ونوائب، حتى غدت أعيادهم مآتم، معلناً نسبه للمصطفى – عليه السَّلام –.

وللعزيز بالله الفاطمي قوله أيضاً، [١]:

ولمَّـــا رَأيــتُ الـــدِّينَ رَثَّـــتْ حِبالُـــهُ   وأَصــبَحَ مَمحُـــوَّ الضّـــيا والمَعَـــالِمِ
وأَصــبَحَتِ الأَغنَــام مِـــنْ كُــلِّ أُمَّـــةٍ   تَســـومُ عِبَـــادَ اللهِ خَـــزمَ المَخَـــاطِمِ
وتَحكُـــمُ فـــي أَموالِهَـــا ودِمَائِهَـــا   بِغَيـــرِ كِتَـــابِ اللهِ عِنـــدَ التَّحَـــاكُمِ
غَضِــبتُ لـــدينِ اللهِ غَضــبَةَ ثَـــائرٍ   غَيـــورٌ عَليهَـــا مَـــانِعٌ للمَحـــارِمِ
وسَـيَّرتُ نَحـو الشَّـرقِ بَحـرَ كَتَائِـبٍ   تَمُـــوجُ بِأبطَـــالٍ رجَـــالٍ قَمَـــاقِمِ
يَقُـودونَ جُـرْدَ الخَيْـلِ تَخْطُـرُ بِالقَنَـا   وبِالمَشـــرِفيَّاتِ الرِّقَـــاقِ الصَّـــوارِمِ
أَنَــا ابــنُ رَســولِ اللهِ غَيــرُ مُـدَافِعٍ   تَنَقَّلــتُ فــي الأَنــوارِ مِــنْ قَبــلِ آدَمِ
لـي الشَّرَفُ العَالي الذِي خَضَعَتْ لـهُ   رِقَــابُ بَنِــي حَــوَّاءَ مِــنْ كُــلِّ عَــالَمِ
بِنَـــا فُتِحَـــتْ أَبـــوابُ كُـــلِّ هِدايَـــةٍ   ومِنَّـــا بِحَمـــدِ اللهِ (خَيْـــرُ الخَـــواتِمِ)
فَقُلْ لِبَنِـي العَبَّاسِ مَـعْ ضَعْفِ مُلكِهِمْ   بِـــأَنَّهُمْ أَســـرَى بِأَيـــدِي الأَعَـــاجِمِ
غَصِبتُمْ بَنِي المَروانَ مَا غَصَبوهُ مِنْ   مَواريثِنَـــا، سَـــحقاً لِظَـــالِمٍ ظَـــالِمِ
ولَــمْ تَحفَظُــوا فينَــا وَصَــايَا مُحمَّــدٍ   ولا مَـا ادَّعَيـتُمْ مِـنْ مَنَاسِـبِ هَاشِـمِ
سَنُسقيكُم كَأســـــاً كَمَـــا قَد سَقَيــتُم   أَوائِلَـــنَا واللهُ أعـــدَلُ حَـــاكِـــمِ

ففي الأبيات السابقة نرى الخليفة الفاطمي يُظهر من خلال شعره مدى حرصه على الدين الذي ينتمي إليه بعقيدته، فنراه يغضب لدين الله – على حدِّ قوله–، ويتطرق بعد تلك الحماسة التي بدأ بها أبياته إلى الفخر بنسبه إلى الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –، ويشير أيضاً إلى بعض معتقدات الفرقة المذهبية الشيعية التي ينتمي

---
[١] حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، ص١٦٣.

إليها ، فيصف نفسه متنقلاً في الأنوار منذ القدم قبل خلق سيدنا آدم – عيله السلام – ، ولعل مثل هذه الاعتقادات والمصطلحات لا تخرج إلا من هو معتنق للمذهب الفاطمي، وبعد فخره بالنسب المحمدي وذكره هذه المعتقدات، يعرِّج على قضية ظلم آبائه وأجداده، حيث يرى أتباع هذا المذهب أن الوصاية والخلافة كانت لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، ومن بعده لابنه الحسين، ولكن أعداءهم من بني العباس، وبني أُميَّة قد سلبوهم ذلك الحق، فيتحامل عليهم الخليفة في شعره، ويتوعدهم بأن يذوقوا من الحزن والأسى ما قد أذاقوهم على مرّ السنين.

وبعد هذه المطارحات الشعرية التي ظهرت عند بعض خلفاء الدولة الفاطمية، والتي رآها الباحث مدخلاً ملائماً للحديث عن الموضوع الرئيس، والمتمثل ببيان موقف الشاعر من السلطة الفاطمية عقائدياً، لذا سيتم دراسة هذا الفصل وفق المحاور الآتية:

١،٢ الخليفة.

٢،٢ رجال الدولة.

٣،٢ أثر القرآن في الشعر.

٤،٢ شعر المعارضة.

١،٢- الخليفة:

منذ أَن تأسست الدولة الفاطمية كان هناك شعراء يمدحون خلفاء هذا المذهب، ويؤيدونهم في عقيدتهم التي جاؤوا بها في أشعارهم، فالخليفة المهدي الأول قد مدحه شاعرٌ عند انتقاله إلى (المهديَّة) عاصمة خلافتهم الأولى، وهذا الشاعر غير معروف الاسم، غير أَنَّ ابن عذارى في (بيانه المغرب) قدمّ لهذا الشاعر نصاً قائلاً: " فقالت شعراء إفريقية في انتقاله واستبطانه من الشعر ما ذكرنا أبياتاً منها ليستدل بما فيها على ما كان يستحله ويجوز عنده من الأشعار "، فيقول هذا الشاعر (١):

لـــيَهْنَكَ أَيُّهـــا المَلِـــكُ الهُمَـــامَ ... قُدومٌ فِيْــــهِ للدَّهْـــرِ ابْتِسَــتـــامُ

حَططْتَ الرَّحْـلَ فــــي بَلَــــدٍ كَرِيـمٍ ... رَعَتْـــــهُ لَـكَ المَلائِكَـــــةُ الكِـــــرَامُ

لَئِنْ عَظُـــمَ الحــــرامُ ومَـــــا يَليـــهِ ... كَمَـــا عَظُمَــتْ مَشَــاهِدُهُ العِظَــامُ

لَقَدْ عَظُمَـتْ بِـــــأَرْضِ الــغَرْبِ دَارٌ ... بِهَـــا الصَّلَـــــوَاتُ تُقْبَلُ والصِّيَـــامُ

هِـــيَ المــــهدِّيَّةُ الـــحَرَمُ الموقَّـــى ... كَمَـــــا بِتُهَامَـــــةَ البَلَـــدُ الحَــرامُ

كـــــأَنَّ مَقَـــامَ إبراهيـــم فِيْـــــهِ ... ثَرى قَدَمَيْكَ إن عَــــــدُمَ المقَــــــامُ

وإِنْ لَثِمَ الحَجِيْجُ الرُّكْــــنَ أَضْحَـــــى ... لنــــا بِعِراصِ قَصركُـــمُ التِثَــــــامُ

لــكَ الدُّنيـــا وَنسْلُكَ حَيْثُ كُنْتُـــمْ ... فَكُلُّكُــــمُ لهَـــــا أَبداً مَقَـــــامُ

ففي هذه الأبيات تأييد واضح للخليفة المهدي عقائدياً، وذلك وفقاً لمزاعم الشاعر وادعائه، فيهنئه بقدومه للمهدية، والملائكة تحفّه يمنة ويساراً، فيرى أن بقدومه أصبحت المهدية (مكة الغرب)، ومقامها ما تطأه أقدام الخليفة من الثرى، وتتوارد الناس وتطوف

---

(١) المراكشي، ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص١٨٤.

عند قصره بالمهدية، كما يحج الحجيج إلى مكة المشرفة، وفي النهاية يتطرق الشاعر لإظهار قوة المهدي، وامتلاكه لسائر الأقطار .

ويورد المقريزي في (اتعاظ الحنفا) أَبياتاً للشاعر أَيوب بن إبراهيم، أحد شعراء الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي، حيث تحمل هذه الأبيات تأييد ما جاء به أصحاب هذا المذهب، فالشاعر يسمو بالخليفة الفاطمي – حسب اعتقاده – ليجعله حقاً من سلالة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، وقد وهبه الله – سبحانه وتعالى – الخلافة لعلمه المسبق بصلاحيته لها، ودفاعه عن الإسلام، وهي من أعظم الرتب، إذ قام الخليفة بهذه المهام خير قيام، فمنع حرمتها، وأكرم حرمها وحريمها، إذ يقول [(١)]:

يَا ابْنَ الإمَامِ المُرْتَضَى وابْـنُ	**الوَصيِّ المُصْطَفَى وابنُ النَّبيِّ المُرْسَلِ**
اللّهُ أَعْطَاكَ الخِلافَةَ واهِبَـــاً	**ورآكَ للإسلامِ أَمنَع مَـــــعْقِلَ**
نِلْتَ الخِلافَةَ وهِيَ أَعْظَمُ رُتبَـةٍ	**نيْلَتْ ولَيْسـتْ مِنْ عُـــلاكَ بِأفضَلِ**
فَمَنَعْتَ حُرْمَتَهَا وَحُطْــتَ حَرِيْمَهَا	**بِالمَشْرِفِيَّـــةِ والوشيـــجِ الـــــذُّبْلِ**

ولشاعرٍ آخر يدعى (الفزَّاري) مدحة يتخللها جانب الاعتذار من الخليفة الفاطمي المنصور، إذ وصل عدد أَبياتها إلى ما يقارب السبعين بيتاً، وهي قصيدة يطلب فيها الشاعر الصفح عنه لقاء ذمه ما عرَّض به للخلفاء الفاطميين، وهي قصيدة جزلة الألفاظ والمعاني، تنمُّ عن ثقافة للشاعر، وقد أجاد بها القول.

ولأنها قصيدة جاءت بالاعتذار عن ذم الشاعر ومعارضته للخلافة الفاطمية؛ ارتأ الباحث الزَّجّ بها في جانب الشعراء المعارضين، والذي سيتناوله في نهاية هذا الفصل، للوقوف على شرحها، وتبيين تأييد الشاعر للخليفة الفاطمي في عقيدته من خلالها.

وكَثُر الشعراء المؤيدون للسلطة الفاطمية ومذهبها المتشيع، إذ تعددت أشعارهم حاملةً ذلك التأييد الديني في طياتها للخليفة الفاطمي، سواء أكانوا من الشعراء المحليين في ذلك العهد، أو من الوافدين من الخارج، ويمكن البدء هنا بشاعر الدولة الفاطمية

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشّيال، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م، ص ١٢٧- ١٢٨.

الوافد إلى مصر في زمن خلافة المعز لدين الله الفاطمي، وهو محمد بن هانئ الأندلسي، الذي نظم فيهم فأحسن النظم، وبالغ في وصفهم ومدحهم لينال ما رغب، ففي قصيدة نظمها في مدح المعز لدين الله الفاطمي، يهنئه من خلالها بشهر رمضان، بدأها كعادته بمقدمة غزلية أحسن من خلالها التخلص لموضوع قصيدته، وجوهرها الرئيس، وهو مدح خلافة الفاطميين وتمجيدها لتطاول أعنان السماء، وتأييد حكمهم بما يتاح له من معتقدات المذهب الفاطمي ومصطلحاته المتعارف عليها عندهم، فيصور الخليفة بأنه سبب خلق الله تعالى لهذه الدنيا، وهو مخلوق من صفو ونقاء ماء الوحي، ومن جنة الفردوس، ومن تلك الشعلة التي عرضها الله على نبيه موسى – عليه السلام –، إلى أن يراه الأندلسي قد خُلق من معدن التقديس ، وفي خلقه شيء من ملكوت الخالق – عز وجل –، إذ يقول (١):

هو عِلَّةُ الدُّنيَا ومَنْ خُلِقَتْ لَهُ	**ولِعِلَّةٍ ما كَانَتْ الأَشْيَاءُ**
مِن صَفوِ مَاءِ الوَحيِ وهو مُجَاجَةٌ	**مِنْ حَوضِهِ اليَنبُوعُ وهُو شِفَاءُ**
مِنْ أَيكَةِ الفِردَوسِ حَيثُ تَفَتَّقَتْ	**ثَمَرَاتُهَا، وتَفَيَّأ الأَفيَاءُ**
مِنْ شُعلَةِ القَبسِ التِي عُرِضَتْ عَلى	**مُوسَى وقَدْ حَارَت بِهِ الظَّلمَاءُ**
مِنْ مَعدَنِ التَّقدِيسِ وهو سُلالَةٌ	**مِنْ جَوهَرِ المَلَكوتِ وهو ضِيَاءُ**

ويتابع ابن هانئ في القصيدة نفسها تأييده للخليفة الفاطمي المعز لدين الله عقائدياً، ويصفه بأمين الله على العباد وحالهم، وهو الذي عطفت عليه أرض مكة وبطاحها، مظفياً عليه الشاعر سيماء النبوة ودلالاتها، لا بل يرى فيه نوراً مكتسباً من الإله، وهو بذلك يعد وارثاً للمنبرَ الأعلى، والنّرعة الفضلى، صلوات ربي وسلامه على صاحبها محمد –صلى الله عليه وسلم –، إلى أن وصل بابن هانئ القول بأن الخليفة المعز خير الورى، ولم يجحد الناس في رأيه ما قد روى، فيقول (٢):

لَمْ يُشرِكُوا فِي أَنَّهُ خَيرُ الوَرَى	**ولِذِي البَرِيَّةِ عِندَهُم شُرَكَاءُ**

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٨.

(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٩.

وليس ذلك فحسب، فيضيف ابن هانئ تأييد الله لهذا الخليفة، ونصره على أعدائه بملائكةٍ من السماء، إلى تأييده له عقائدياً، فيقول في ذلك [(١)]:

نَزَلَـــتْ مَلائِكَـــةُ السَّمَـاءِ بِنَصرِهِ   وأَطَاعَـــهُ الإصبَـــاحُ والإمسَـــاءُ

ونراه في مواضع أخرى من أشعاره يعطف على تلك المعاني والأفكار السابقة، فيقول إن الخالق – عز وجل – لم يخلق أُمة من العبث، ولم يترك الله قوماً في الأرض سدىً، بل جيء بالمعزّ من نسل أحمد، فكان هو السَّيد المجتبى، وكأن الهدى لم يخلق ولم يوجد إلاَّ عندما جاء المعزّ لدين الله الفاطمي، إذ يقول [(٢)]:

ومَـــا خُلِقَـــتْ عَبَثَـــاً أُمَـــةٌ   ولا تَـــرَكَ اللهُ قَومـــاً سُـــدى
لِكُـــلِّ بَنِـــي أَحمَـــدٍ فَضـــلُهُ   ولكِـــنَّ ذا السَّـــيِّدُ المُجتَبَـــى
كَأَنَّ الهُـــدَى لَـمْ يَكُـنْ كَائِنَـــاً   إِلَـــى أَنْ دُعِيـــتَ مُعِزَّ الهُـدَى

ويصور ابن هانئ ممدوحه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله خليفة الله في الأرض، وقد منحها الله له كالنبوة، فيراه ابن هانئ ملهماً له كوحي تنزل عليه، إلى أن نطقت به السَّبع المثاني، ونسيت بقدومه الشمس مطلعها، وألهى ذكره الملائكة تسبيحها، فهو مُصاغ من ملكوت الخالق، ومُدَّت صورته بالعلم والوحي، فكان بمثابة الروح لها، حتى ليقسم ابن هانئ أنه لولا معرفته بأنه الخليفة، لقال عنه المسيح – عليه السلام –، إلى أن فخرت به السماوات، وتنزل فيه كتاب الله ليمدحه، إذ يقول [(٣)]:

أُتيـــتَ فَضـــلَ خِلافَـــةٍ كَنُبُـــوَّةٍ   ونَجِـــيَّ إلهَـــامٍ كَـــوحيٍ يـــوحى
أَخليفَـــةَ اللهِ الرّضَـــى وسَـــبيلَهُ   ومَنَـــارهُ وكِتَابَـــهُ المَشـــرُوحَا
نَطَقَـتْ بِـكَ السَّـبعُ المَثَـانِي أَلسُـناً   فَكَفَينَنَـــا التَّعـــرِيضَ والتَّصـــرِيحا
أَخشَاكَ تُنسِي الشَّمسَ مَطلَعُها كَمَا   أَنسَـــى الملائِـــكَ ذِكــرُكَ التَّسـبيحا
صُـوِّرتَ مِـنْ مَلَكـوتِ رَبِّـكَ صُـورةً   وأَمَـــدَّها عِلمـــاً فَكُنـــتَ الرُّوحَـــا
أَقْسَـمْتُ لَـوْلا أَنْ دُعِيْـتَ خَليفَـةً   لَـدُعِيْتَ مِـنْ بَعـدِ المَيسـحِ مَسـيحَا

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٠.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٨.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٧٦.

فَخَرَتْ بِسُـــؤددكَ السَّمَـــاواتُ العُلى　　　　وتَنَزَّلَ القُــرآنُ فِيْـــكَ مَدِيـــحَا

ويطنب ابن هانئ في مواضع متعددة من أشعاره على فكرة تأييد المعزّ لدين الله الفاطمي عقائدياً ومذهبياً، ولعلّ ما عكف عليه في هذا الجانب هو دَعمُ وتأييد ما جاء به، فيتّخذ من تأييد الله – عز وجل – وقضائه وقدره متّكأً له، فهو في الأبيات التالية يراه مؤيداً من الأقدار في بلوغ أمره، وهو بهذا التأييد كأنه وحيٌ لم يمسسه التحريف والتأويل، ووارثٌ للأرض دون العالمين، إذ يقول [1]:

يؤيّـــدهُ المقــــدارُ بَـــالِغَ أَمـــرِهِ　　　　ويُمـدَحُ بِالسَّـبعِ المَثـاني ويُمـدَحُ

فَمَهــلاً عِـداهُ مَـا عَلــى أللهِ مَعتَــبٌ　　　　ولَـيسَ لمَـا يَـأتِي بِـهِ الـوحيُ مَنسَـخُ

لكَ الارضُ دُونَ الوَارِثيــــنَ وإِنَّـــمَا　　　　دَعَــوتَ الورى فِيهَا إِليْـكَ فَبَخْبَخُوا

ويطالعنا ابن هانئ في أبياته التالية مصرحاً بوعد من الله – كما يدّعي – بأنه سيورث الفاطميين الأرض وما عليها، وذلك من خلال المعزّ لدين الله الفاطمي المتصل بنسب النبي المصطفى محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهو وحده المعنيّ بالذَّبِّ والدفاع عن حمى الرسول – صلى الله عليه وسلم –، إذ يقول [2]:

فَتَرَبَّصــــوا فَـــاللهُ مُنجِـــزُ وَعْـــدِهِ　　　　قَـــدْ آن للظَّلمَـــاءِ أَنْ تَتَكَشَّـــفا

هَذا المُعِزُّ ابنُ النَّبيِّ المُصْــــــطَفَى　　　　سَيَذُبُّ عَنْ حَرَمِ النَّبــــيِّ المُصْطَفَى

ويركّز ابن هانئ على تأييد الخليفة المعزّ لدين الله الفاطمي في متن القرآن الكريم وآياته الشريفة كما يدعي، فهو يراه مؤيداً بالثناء عليه في وحيه، مضمناً ذلك التأييد السماوي بعض معتقدات الشيعة الفاطمية، فالمعز يرجع في نسبه إلى أرومة مكانها جنة الفردوس، يصلي عليها الله وملائكته، إذ يقول [3]:

تُـرَدُّ إِلــى الفِـردَوسِ مِـنْكُمْ أُرومَــةٌ　　　　يُصَـــلِّي عَلَـــيكُمْ رَبُّهَـــا والمَلائِـــكُ

ثَنَائِــي عَلى وَحــــي الكِتَـــابِ عَلَيْكُمُ　　　　فَلا الوَحــيُ مَأفــوكٌ ولا أَنا آفِـــكُ

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٨٤.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٢٦.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٦١.

ولم تقف حدود هذا التأييد من خلال الشعر عند ابن هانئ في مدحه للخليفة المعز لدين الله الفاطمي، بل نراها واضحة جلية في تلك القصائد التي نظمها الشعراء في سائر خلفاء الدولة الفاطمية، فهذا عُمارة اليمني أحد شعراء البلاط الفاطمي، نراهُ في إحدى قصائده يمدح الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله، واصفاً هذا الخليفة بأنه خُصّ بالثناء في القرآن المنزل، وأن شيم أهله من الفاطميين واضحة قد ذكرها الفرقان والتوراة والإنجيل، وإن سيرتهم محفوظة من كل تحريف وتبديل، وذلك لأنها أُخذت من القران الكريم وسوره الشريفة، مؤكداً عُمارة اليمني على معتقد الفاطميين في انتسابهم للنبي – صلى الله عليه وسلم –، وبذلك النسب تستحق الخلافة في دارهم بالوراثة، إذ يقول (١):

لا يَبلُغُ البُلغَاءُ وصفَ مَناقِبٍ ... أَثنَى عَلى إحسَانِهَا التَّنزِيلُ
شِيَمٌ لَكُمْ غُرٌّ أَتى بِمَديحِهَا الـ ... فُرقَانُ والتَّوراةُ والإنْجِيلُ
سِيَرٌ نَسَخنَاهَا من السُّوَرِ التي ... مَا شَأنُهَا نَسْخٌ ولا تَبدِيلُ
قَامَتْ خَواطِرُنَا بِخِدمَةِ نَظمِهَا ... فيكُمْ وقَامَ بِنَثرِهَا جِبْرِيلُ
إنَّ الرَّسولَ أَبوكُمُ مِنْ دونِهَا ... فَمَنْ الذي مِنهَا أَبوهُ رَسولُ
ولقَدْ وَرِثتَ مَقامَ قَومٍ يَستَوي ... مِنهُمْ شَبَابٌ في العُلَى وكُهولُ

وجاء عُمارة اليمني في (نكته العصرية) بموضع آخر، ليؤكد على ما قد تناوله غيره من الشعراء في قضية تأييد الله – عز وجل – لخلافة الفاطميين، فهي كما يصفها مؤيدة وملهمة من الخالق لهم، وهي في قضائها تمثّل برداً وسلاماً على قلب الهدى والإسلام، إذ يقول (٢):

إنَّ الخِلافَةَ لا يَزَالُ يَمدُّهَا ... مِن رَبِّهَا التَّأييدُ والإلهَامُ
فَإِذا قَضَتْ بَعْضَ القَضَاءِ فَإِنَّهُ ... بَردٌ عَلى كَبِدِ الهُدَى وسَلامُ

ويؤكد عُمارة اليمني من خلال أشعاره على قضية اهتم بها خلفاء الفاطمية وحاشيتهم، تتمثّل بمبدأ الوصاية في الخلافة، فهم يرون في الخلافة وصاية منذ القدم

(١) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٣٠٦.
(٢) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٣٣٨.

وكِلَت إليهم، مما جعل الولاء لهم مفروضاً على كل مسلم ومسلمة، بل إن عُمارة يقول إذ لم يكرم الإنسان نفسه بحبهم، أصبح عند الله لا مكانة له، فهم ورثة الخلافة و الهدى من جهة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها –، وليس بنصٍّ عن عيسى بن مريم – عليه السلام –، إذ يقول في مدح الخليفة العاضد، [1]:

ولاؤكَ مَفــروضٌ علــى كُــلِّ مُســلِمِ وَحبُّــكَ مَفــروطٌ وأَفضَــلُ مَغــنَمِ
إذا المَــرءُ لَــمْ يُكــرِمْ بَحبِّــكَ نَفسَــهُ غَــدا فَهــو عِنــدَ اللهِ غَيــرُ مُكــرَّمِ
ورِثتَ الهُدى عَنْ نَصِّ عيْسَى بن حَيْدَرٍ وفاطِمَةٍ لا نَصَّ عيْسَــى بن مَــريَمِ

ونلحظ في نموذج آخر أن الشاعر عُمارة اليمني وعلى الرغم من مذهبه السُّنّي، إلا أَنّه متمرسٌ ومتبصرٌ بمبادئ المذهب الفاطمي المتشيع، فهم يقرون في وراثتهم بمبدأ (الحاضر والغائب)، أي أن الخلافة حين تنتقل من السلف إلى الخلف، فهي ليست إلا حركة انتقال من غائب إلى حاضر، معتقدين أن الخليفة السالف لم يمت، بل هو في معتقداتهم غائب سيعود يوماً، وغير ذلك من المبادئ أيضاً ما يرونه أن النبي قد نص وأوصى بالخلافة بعده لعليٍّ – رضي الله عنه –، فيقول عُمارة اليمني مجلياً هذه المعتقدات والأفكار الفاطمية في قوله يمدح العاضد [2]:

ورِثُــوا الإمَامَــةَ حَاضِــراً عَــن غَائِــبٍ وتَــــداولوهَا آخِـــرا عَـــنْ أَوَّلِ
مِـــنْ ظَـــافِرٍ أَو فَـــائزٍ أَو عَاضِـــدٍ بَيــتٌ خِلافَتُــهُ علــى الــنَّصِّ الجَلــي
أَوصَى إليكَ بِهَا ابنُ عمِّــكَ بَعــــدَهُ نَصَّاً كَمَــا نَــصَّ النَّبِيُّ عَلى عَــلِي

ولا يقل عُمارة اليمني شأناً عن الشاعر ابن هانئ الأندلسي في مسألة التأثر بالبيئة الفاطمية في شعره، على الرغم من مذهبه السّني، حتى يكاد يتبين للقارئ أن صاحب هذا الشعر منتم بعقيدته إلى المذهب الفاطمي، فهو في النموذج الآتي – من قصيدة قالها في رثاء أهل البيت – مبدياً غضبه لغضبهم من بني أُميَّة في سلبهم حقهم لخلافة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، فغدا بنو أُميَّة يحكمون في

---

(١) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٢٣٩.
(٢) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٣٠٩.

الخلافة المسلوبة منهم، وهذا بنظر الشاعر زورٌ وبهتان، حيث أقاموا خلافتهم بكفرٍ على حساب أصحاب الحق والإيمان من الفاطميين، وفي ذلك يقول [١]:

غَصَبتْ أُميَّةُ إرثَ آل مُحَمَّدٍ ... سَفهاً وشَنَّتْ غَارةَ الشَّنآنِ

وغَدَت تُخالِفُ في الخِلافَةِ أهلهَا ... وتُقابِلُ البُرهَانَ بالبُهتَانِ

لَم تَقتَنِع أَحلامُهَا بِرُكوبِهَا ... ظَهرَ النِّفَاقِ وغَارِبَ العُدوانِ

وقُعُودهمْ في رُتبَةٍ نَبَويَّةٍ ... لَمْ يَبْنِهَا لهُمُ أَبو سُفيانِ

حَتَّى أَضافُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ ... أَخَذُوا بِثَأرِ الكُفرِ فِي الإيمَانِ

فَأتى زيادٌ في القَبيحِ زيَادَةً ... تَرَكتْ يَزِيدَ يَزِيدُ في النُّقصانِ

ويصور عُمارة اليمني في أبياته التالية – متأثراً بعقائد الفاطميين ومؤيداً لها – العاضد الفاطمي الذي تبدو عليه معالم النبوة دليلاً للناظرين والوحي – كما جاء في معتقد الفاطميين التأويلي – داعي دعاة ينطق عن لسان الإمام بالحجج والأدلة التي لا تدحر لدى العيان، والبيعة في عنق من عاهد الإمام، والملائكة هم بمثابة دعاة وجنودٍ للإمام الفاطمي، إذ يقول [٢]:

وعَليكَ مِن شِيَمِ النَّبيِّ وحَيدَرٍ ... للنَّاظِرينَ أَدِلَّةٌ وشُهودُ

شَخَصَتْ إليكَ نَواظِرُ الأُمَمِ التِي ... مَلكَتْهُمُ لَكَ بَيعَةٌ وعُهودُ

والوَحي يَنْطِقُ عَنْ لِسَانِكَ بِالذي ... مِنْ دُونِهِ يَصدَعُ الجُلمُودُ

يَومٌ جَلتْ فِيهِ الإمَامَةُ عِزَّهَا ... ولهَا المَلائِكَةُ الكِرامُ جُنُودُ

ويطالعنا عُمارة اليمني في مطلع قصيدة له بطابع التشيع الذي تأثر به من خلال أشعاره في الخلفاء والأئمة الفاطميين، فهو يبدؤها في مدح الإمام العاضد ويصفه بخير من جاء النظم لأجله، وجاءت سور القرآن الكريم لحمده، عاطفاً بعد ذلك على مبدأ من مبادئ الشيعة، وهو حضور الغائب منهم، ولا يسلِّمون بوفاة أئِّمتهم، فالخلافة تنتقل في فكرهم من غائبٍ إلى حاضر، إذ يقول [٣]:

---

(١) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٣٦٣.
(٢) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص١٩٨.
(٣) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٢٠١-٢٠٢.

يـا خَيـرَ مـن نُظِـمَ المـديحُ بِحَمـدِهِ **وتَنَزّلَـت سُـورُ الكِتـابِ بِحَمـدِهِ**
الحَـافظَ المحفُـوظ عِنـدَ مَغيبِـهِ **بِثلاثـةٍ ورِثُـوا الهُـدى مِـنْ ولْـدِهِ**
مِنْ ظَـافِرٍ أَو فَـائِزٍ أَو عَـاضِدٍ **أَضْحَـتْ بَنُو رُزِّيك سَاعِـدَ عَضْدِهِ**

ولعل ما ذُكر من الشواهد عند الشاعر عُمارة اليمني في تأييد الخلفاء الفاطميين دينياً ومذهبياً يعدُّ غيضاً من فيض، ويمكن ذكر بعض الشواهد من أشعاره عند الحديث عن جانب خروج بعض الشعراء عن المألوف، ووصولهم لحدّ الكفر والإلحاد في تمجيدهم ومدحهم للخلفاء الفاطميين بغية التكسب، حاله كحال رائد هذا الجانب وسيد من نظم في غير المألوف، والخروج عن المعروف، ابن هانئ الأندلسي شاعر البلاط الفاطمي آنذاك.

وبالعودة إلى مبادئ الفاطميين الشيعة وأهم معتقداتهم، فهم يؤمنون بعلم الغيب و المجهول عند أئمتهم وخلفائهم، فابن هانئ الأندلسي لم يغفل عن هذا الجانب في أشعاره التي نظمها في مدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، ولعلنا نراه في معظم قصائده يتطرق لمثل هذا المعتقد عندهم، فهو في الأبيات التالية يصف ممدوحه الخليفة المعز لدين الله بنفاذة أرائه في الحين والحال من الزمان، مشيراً إلى أن آراءه ليست ظاهرة سطحية، بل هي عميقة نافذة إلى الغيب وعالمه المجهول، وذلك لأنها مستمدة من روح القدس، إذ يقول [1]:

تَفَـرَّدتَ بِـالآراءِ لا يَومُهَـا غَـدٌ **ولا سُـرُجُ الآيَـاتِ فـيْهِنَّ بُـوَّخُ**
وليْسَتْ ظِهَاراً يُحجَبُ الغَيـبُ دُونَهَا **ولكنَّهَا قُدسِيَّـةٌ فِيْـهِ تَـرسُـخُ**

وله في ذلك أيضاً [2]:

غَـدَوْا ناكِسِـي أَبصَـارِهم عَـن خَلِيفَـةٍ **عَلـيمٍ بِسِـرِّ اللهِ غَيـرُ مُعَلَّـمِ**
وروحُ هُـدىً فـي جِسـمِ نُـورٍ يُمِـدُّهُ **شُـعاعٌ مِنَ الأَعلى الـذي لَم يُجَسَّمِ**
ومُتَّصِـلٍ بَـيَ النَّبـيِّ وبَينَـهِ **مُمَـرٌّ مِـنَ الأَنسـابِ لَـم يَتَصـرَّمِ**

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٨٥.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٤٥-٣٤٦.

إذا أَنــتَ لَــم تَعلــم حَقيقــةَ فضــلِهِ فَسَــائِل بِــهِ الــوَحيَ المُنَــزَّلَ تَعلَــمِ
ومِـــدرَهُ غَيـــبٍ لا مُعنَّـــى تَجَـــارُبٍ ولابِـــسُ حِلـــمٍ لا مُعَـــارُ تَحَلُّـــمِ
ودانٍ ولَـــولا الفَضـــلُ رُدَّ جَـــلالُهُ علـــى غَـــيْرِ مَـــرئِي وغَيْرِ مُكَلَّمِ

فابن هانئ يصف جنود جيش المعز لدين الله الفاطمي وهم ناكسو الأبصار أمامه، وذلك لعلمه بأسرار الإله، وهو غير متعلمٍ لها، فالمعز بالإضافة إلى مطلق عمله يتمثل لهم كروح للهدى، ويشع من جسده النور المستمد من نور السماوات وباريها، كيف ولا وهو يمتدُّ بينه وبين النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – حبلٌ من الأنساب لا ينقطع، حتى أن الوحي يجيب على كل من لا يعلم حقيقة فضله، ناهيك عن تواضعه الذي لولاه لكان في مرتبة من لا يُرى ولا يُكلّم.

وفي إحدى قصائد ابن هانئ في مدح المعز لدين الله الفاطمي، وقد أنشده إياها في القيروان، يتطرق الشاعر إلى نظرة والد المعز لمستقبل ابنه منذ كان في المهد، فالمنصور أحد الخلفاء الفاطميين لم يجهل فضل ابنه، وذلك لما رآه من سمات تدل على ذلك، حيث رأى أنّه سيصبح في عهده مالك الأرض منفرداً بها، مدعياً أن ذلك ليس بفراسة أو حسن ظنٍّ، ولكن إيماناً منهم – كأصحاب مذهب فاطمي – بذلك العلم الموروث المتناقل من إمام إلى إمام، وهو علم مخصوص بالأئمة، منفردون به عن غيرهم من الورى، وكل هذا مرجعه في نظرهم إلى ذلك العلم الإلهي المكتسبين له دون غيرهم، إذ يقول [1]:

وما جَهِلَ المَنصُورُ في المَهْدِ فَضلَهُ وقَـد لاحَـتْ الأَعـلامُ والسِّـمةُ البَهـرُ
رأى أَنْ سَيَسـمَى مَالِـكَ الأَرضِ كُلِّهَـا فَلمَّـــا رآهُ قَـــالَ ذا الصَّـــمدُ الــوَترُ
ومـــا ذاكَ أَخـــذاً بالفَراسَـــةِ وَحـــدَهَا ولا أنَّــهُ فيهَـا إلــى الظَّـنِّ مُضـطَرٌّ
ولكـــنَّ مَوجـــوداً مِـــنَ الأَثـــرِ الـــذِي تَلقـاهُ عَـن حَبـرٍ ضَـنينٍ بِــهِ حَبـرُ
وكَنْـــــزاً مِنَ العِلـــمِ الرَّبوبـــــيِّ إنَّـهُ هو العِلـــمُ حَقَّـــاً لا القيافَةُ والزَّجرُ

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٤٠.

ويطالعنا ابن هانئ في تأييده للمعز لدين الله الفاطمي في كثير من أشعاره بصفات له يقترب فيها من صفات الخالق – عز وجل –، فالخليفة – كما يدّعي ابن هانئ – ينفّذ له القضاء ما يشاء، وذلك مدعاه صدق وعد الله له في القرآن الكريم، فنصر وأبرَّ بوعده عباده على يديه، إذ يقول (١):

نَفَذَ القَضاءُ بِمَا تَشَاءُ فَنَازِحٌ   ومقَرَّبٌ ومُعجَّلٌ ومؤجَّلُ
لكَ صِدقُ وعدِ اللهِ في فُرقانِهِ   لا ما يَقُولُ الجَاهِلونَ الضُلَّلُ
نَصَرَ الإلاهُ على يَدَيكَ عِبَادَهُ   واللهُ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ويَخذِلُ

وهو مالك لصروف الدهر يديرها كيفما شاء، وصاحب الكلمة فيما يقسّم من الأرزاق والأعمار، إذ يقول (٢):

لكَ الدَّهرُ والأيَّامُ تُجري صُرُوفها   بِمَا شِئتَ مِن عُمرٍ ورِزقٍ مُقَسَّمِ

ويؤكد ابن هانئ على المعنى السابق في موضع آخر من أشعاره، حيث جعل الله متكفلاً فيما يشاء المعزّ لدين الله الفاطمي، فيقول (٣):

لَو أَبصَرتكَ الرُّومُ يَومَئذٍ دَرَتْ   أَنَّ الإلاه بِمَا تَشَاءُ كَفِيْلُ

وفي موضع آخر يجعل الشاعر من ممدوحه صاحب الكلمة والموقف في قضية الموت والنشر، فيقول مخاطباً أعداءه (٤):

فَكُونوا حَصيداً خَامِدينَ أَو آدَّعُوا   إلى مَلِكٍ في كَفِّهِ المَوتُ والنَّشْرُ

وهو صاحب خزائن الله في الأرض، متصرفاً بها في الإنفاق، إذ يقول (٥):

في يَدَيهِ خَزَائِنُ اللهِ في الأَر   ضِ ولكِنَّهَا عَلى الإنفَاقِ

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٢٢.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٤٨.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٨٥.
(٤) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٣٧.
(٥) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٤١.

وكثيراً ما نلاحظ ابن هانئ في أشعاره يجعل من ممدوحه الخليفة المعز الفاطمي سبباً في الشفاعة للناس عند الله ، وهو الإمام المرتضى المتصل بنسبه إلى سيد الخلق محمد – عليه أفضل الصلاة والسلام –، إذ يقول [1]:

ولَـكَ الشَّـفَاعَةُ كَأسُـهَا وحِيَاضُـهَا	ولَـكَ المَعـينُ تُعِـلُّ مِنْـهُ وتُنْهِـلُ
وكَفَاكَ أَنْ كُنتَ الإِمَـامَ المُرتَضَـى	وأَبُـوكَ إن عُـدَّ النَّبِـيُّ المُرسَلُ

وله في ذلك أيضاً، [2]:

هَـذا الـذِي تُرجَـى النَّجَـاةُ بِحُبِّـهِ	وبِـهِ يُحَـطُّ الإِصـرُ والأَوزَارُ
هَـذا الـذِي تُجدِي شَفَاعَتُهُ غَـداً	حَقَّاً وتَخمُـدُ أَنْ تَـرَاهُ الـنَّارُ

ونلحظ على ابن هانئ في بعض قصائده المادحة المؤيدة للمعز لدين الله الفاطمي، تدجيجه لصفات ممدوحه بزخمٍ وتتابع وتنوع، واضعاً بين يدي القارئ لوحة لممدوحه تحمل شتى الصفات غير المألوفة، حتى ليتهيأ للقارئ أَنه يتحدث عن نبي مرسل، فالمعز لدين الله يصوره ابن هانئ وقد جاءت الكتب السماوية شاهدة عليه بالتفضيل عمّا سواه، وأن الله استرعاه على العباد، وأدنى منه والده إسماعيل المنصور الفاطمي، حتى أصبح والده مجاوراً لله تعالى بفضل تأديته الأمانة، وقد ورث ابنه عنه البرهان والقرآن والتوراة والإنجيل، وبفضل ذلك عَلِمَ من الغيب ما لم يعلم به الملكوت وميكائيل، ولو كان مبعوثاً في حينه وأوانه لأُمة من الأُمم، لبعث الله ونشر ما أسلف من الخلق لكي يسمعوا رسالته، حتى أَنَّه لو كان هو نوحٌ في قومه، لسمع القوم كلامه وأطاعوه، فهو من أُوتي علم الغيب، وتشفعت ونجت به الناس وليس بالإيمان، إذ يقول[3]:

فَالكُتْـبُ لَـولا أَنَّهَـا لَـكَ شُـهَّدٌ	مَـا فُصِّـلَتْ آياتُهَـا تَفصِـيلا
اللهُ يَجْزِيـكَ الـذِي لَـمْ يَجْـزِهِ	فيمَـا هَـدَيتَ الجَاهِـلَ الضِّـلِّيلا
ولَقَـد بَـراكَ وكُنْـتَ مَوثِقَـهُ الـذِي	أَخَـذَ الكِتَـابَ وعَهـدَهُ المَسـؤُولا

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٢٦.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٨١.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٨٠-٢٨١.

حَتَّـــى إذا اسْـــتَرعَاكَ أَمـــرَ عِبَـــادِهِ | **أَدنَـــى إليـــهِ أَبَـــاكَ إِســـمَاعيلا**
مِـنْ بَـيْنِ حُجْـبِ النُّـورِ حَيْـثُ تَبَـوَّأَتْ | **أَبـــاؤهُ ظِـــلَّ الجِنَـــانِ ظَلَـــيلا**
أَدَّى أَمانَتَـــهُ وزِيـــدَ مِـــنَ الرِّضَـــى | **قُرِبَـــاً فَجَـــاوَرَهُ الإِلاهُ خَلِـــيلا**
وورثتَـــهُ البُرهَـــانَ والتِّبْيَـــانَ والـــ | **فُرقَـــانَ والتَّـــوراةَ والإِنْجِـــيلا**
وعَلِمـتَ مِـنْ مَكنُـونِ عِلـمِ اللهِ مَـا | **لَـمْ يُـؤتِ فـي المَلَكـوتِ ميكَـائِيلا**
لـــو كُنـــتَ آونَـــةً مُبَشِّـــرَ أُمَّـــةٍ | **نُشِـرَتْ بِمَبعَثِـكَ القُـرونُ الأُولَـى**
أَو كُنْـتَ نُوحَـاً مُنْـذِراً فـي قَومِـهِ | **مَـــا زَادَهُـــمْ بِدُعَائِـــهِ تَضْـــلِيلا**
لـــولا حِجَـــابٌ دُونَ عِلمِـــكَ حَـــاجِزٌ | **وجَـدُوا إِلـى عِلْـمِ الغُيـوبِ سَـبيلا**
لو لَمْ تَكُنْ سَبَـــبَ النَّجَـــاةِ لأَهلِهَـــا | **لَمْ يُغْـــنِ إِيمَـــانُ العِبَـــادِ فَتِـــيلا**

ويركز ابن هانئ في قصائده للخليفة المعز الفاطمي لتأييده عقائدياً على كثير من معتقدات الشيعة الإسماعيلية، فالإمام في طاعته فوزٌ، وعصيان أَمره خسارة كبيرة، جاعلاً مدحه كذكر المخلوق لخالقِهِ وتسبيحه له، فتسقط الأعباءُ من الذنوب عَمّن يفعل ذلك، إذ يقول [١]:

فَقَـد صَـارَتْ الـدُّنيَا إِلـيكُم مَصـيرهَا | **وصَارَ لَـهُ الحَمدُ المُضَاعَفُ والأَجْرُ**
إِمَـــامٌ رأَيـــتُ الـــدِّينَ مُرتَبِطَـــاً بِـــهِ | **فَطَاعَتُـــهُ فَـــوزٌ وعِصـــيَانُهُ خُسْـــرُ**
أَرى مَدحَـــــهُ كَالـــذِّكــــرِ للهِ إِنَّـــــهُ | **قُنُـــوتٌ وتَسبيْـــحٌ يُحَطُّ بِهِ الوِزْرُ**

ولم تقف هذه المعتقدات الإسماعيلية الخاصة بالفاطميين عند شاعر بعينه، بل كانت معيناً لا ينضب، يسترفد منه الشعراء المادحون للخلافة الفاطمية ما يلزم، ويطالعنا الشاعر ابن حيّوس في إحدى قصائده معزياً بوفاة الخليفة الفاطمي الظاهر لدين الله، ومهنئاً بجلوس المستنصر بالله على سدّة الحكم، فيركز على مصطلحات وعقائد أَهل هذا المذهب، فقد جرى القلم الأعلى لنصرتهم، واختصوا بالشرف وعلو المكانة فكأنهم أنوارٌ للناظرين، وأَن الخلافة تنتقل فيهم من غائب إلى حاضر، وهم أهل الصفا كريمو الأعراق في نسبهم إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهم

---
(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٣٩.

أَئمة قد أيدهم الله وأعطى العهد لهم، ومن أجلهم خُلقت الدنيا وما عليها، وبكرامتهم غفر الله لآدم ذنبه كما يعتقدون، إذ يقول ابن حيّوس [1]:

وقَـد جَـرَى القَلَـمُ الأَعلَـى بِنُصـرَتِهِ ... فقَبِـلَ يُـدعى بِـهِ مُسْتَنَصِـراً نُصِـرا
وخُصَّ بِالشَّرفِ المَحضِ الذي ارتفَعَتْ ... لَـهُ النَّـواظِرُ والنُّـورُ الـذي بَهَـرا
نُـورُ النَّبِـيَّ الـذي مـا زَالَ مُنْـتَقِلاً ... فـيمَنْ دَعَـا ظَـاهِراً مِـنهُمْ ومُسْـتَتِرا
أَهـلُ الصَّـفَا كَرُمَـتْ أَعـرَاقُهُمْ وزَكَـتْ ... فَكُـلُّ صَـفوٍ سِـواهُمْ عَائِـدٌ كَـدَرا
هُـمْ الأُلـى أَخَـذَ اللهُ العُهُـودَ لَهُـمْ ... والنَّـاسُ ذَرٌّ علـى مَـنْ بَـرَّ أَو فَجَـرَا
لأَجلِـهِمْ خَلَـقَ الدُّنيَـا وأَسْكَنَـهَا ... وذَنْـبُ آدَمَ لولاهُـمْ لَمَا غُفِـرَا

وعلى الرغم من مذهب الشاعر ابن حيّوس السُّنّي، إلا أَنَّه استوعب في شعره عقائد الإسماعيلية في الإمامة، دأبه في ذلك كسابقه ابن هانئ الأندلسي، مغالياً بذلك مغالاةٍ تصل إلى حدِّ الكفر كما عهدنا ذلك عند ابن هانئ، ومن ذلك ما يعتقده الفاطميون في الإمامة أنها نور الله لا يزال ينتقل من إمام غائب إلى إمام حاضر، إذ يقول [2]:

أَمْ قَدْ كَسَاكَ النُّورُ ذُو النُّـورِ الـذي ... ما زَالَ فـي آبَـائِهِ مُتَنَقِّـلا

وفي إحدى قصائده يصف ممدوحه بالعصمة من الخطأ، ولعل هذا من أبرز عقائد هذه الفرقة الإسماعيلية، إذ يذهبون إلى أن الإمام لديهم لا يصدر عنه زلة أَو خطأ، وذلك باعتقادهم أَن الإمام ملهمٌ من الله في إمامته، كالنَّبيِّ في نبوَّته، إذ يقول[3]:

فَرقَاً لَعَمْـرُكَ أَنْ يُفَـارِقَ عَاصِمَـاً ... بِالبَـأْسِ مَعصُومَـاً مِنَ الفَحْشَاءِ

ويخلع ابن حيّوس على خلفاء الفاطمية صفة التَّوحيد، فهم لا شبيه لهم بين الناس، مُغالٍ إلى درجة القول بأنه لم يسبقهم من قبل شبيه ولن يكون، إذ يقول [4]:

أَمَّا شَبيهُـكَ في الأَنَـامِ فَإِنَّهُ ... ما كَـانَ قَطُّ ولا يَجـوزُ كِيَـانُهُ

---

(1) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٨٥.
(2) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٤٢٧.
(3) ابن حيّوس، الديوان، ج١،ص١٨.
(4) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٦٥٢.

ومن آثار الباطنية الإسماعيلية في شعر ابن حيّوس أيضاً " التَّقيَّة "، فيصفهم بتلك الصفة إلى جانب مدحهم بالحميّة والحزم، فيقول في ذلك [1]:

حَمِيَّةُ بَـــــــأسٍ قَدْ تَلَتْـــــهَا تَقيَّــــةٌ فَطَالوا وهُمْ بَدوٌ وطَابُـــوا وهُمْ حَضْرُ

وفي سياق تأثر ابن حيّوس بمعتقدات الفاطمية أيضاً القول المأثور الذي يعتقدون به، فمصطلح " جفَّ القلم " من أبرز ادعاءاتهم، فيقول ابن حيّوس في ذلك، [2]:

جَرَى لكَ في اللَّــوحِ أَلاَّ عَزيـــــــزَ يَعِـــــــزُّ عَلَيـــــكَ وجَفَّ القَلَــمْ

ولو تتبعنا ديوان ابن حيّوس لوضعنا يدنا على كثيرٍ من معتقدات ومفاهيم المذهب الإسماعيلي الفاطمي، كنسبة المعجزات إلى غير الأنبياء [3]، وهم – كما يدعي – يسوقون القدر كما يشاؤون[4].

ويرى الباحث أَن الحديث عن تأييد الشعراء للخلفاء والأَئمَّة الفاطميين مذهبياً يطول في هذا الجانب، إذ لا تكاد تخلو قصيدة مدحٍ قالها شاعرٌ في خليفة فاطمي من إشارة إلى مذهبهم وعقيدتهم الفاطمية، لذا سنعرّج على شعراء آخرين لهم من الشعر المؤيد دينياً للسلطة الفاطمية ما هو واضح وجلي، منهم الشاعر " الشريف العقيلي "، وهو من أحد شعراء مصر إبان حكم الفاطميين، (وكان هذا الشاعر من الأشراف الطالبيين الذين ظلت منهم فئة تعيش في مصر، وأقاموا لهم نقيباً، وأشهرهم بنو طباطبا، وقد كان منهم النقيب عند مجيء المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر)[5]، ولعلَّ ما يثبت ذلك اعتزازه في شعره بهذا الأمر، فهو في الأبيات التالية يشير إلى ذك النسب، مبدياً ذلك من خلال مصطلحات فاطمية، إذ يقول [6]:

أَنَـــا عَبْــدٌ لِآل عَبْــدِ مُنَـــافِ عِتــرَة النُّســكِ والتُّقَــى والعَفَــافِ

---

(1) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٧٧.
(2) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٥٤٨.
(3) انظر: ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٨٥.
(4) انظر: ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٩٠.
(5) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الشعر والشعراء، نشر منشأة المعارف، الاسكندرية، (د.ت)، ص١٠٢.
(6) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الشعر والشعراء، ص١٠٢.

لَيسَ مِنْ أَجـلِ أَنْ تَـــرانِي شَرِيفَــاً   لا ترآني مِنْ شيعَـــةِ الأَشــــــرَافِ

فالعقيلي يبدو تأثره واضحاً بمبادئ الإسماعيلية الفاطمية من خلال حديثه عن العترة الطاهرة، وأوصاف التّقى والعفاف التي يراها في آل عبد مناف، كيف لا وهم أهل البيت.

ومن شعراء البلاط الفاطمي في مصر أيضاً الشاعر ظافر الحداد، وهو أحد أبرز شعراء القرن الخامس في مصر الفاطمية حينها، وتنقل في مدائحه بين خلفاء الدولة الفاطمية وولاتها من الوزراء والقادة آنذاك، ومن مدائحه لأَئمة الفاطميين قصيدةٌ قالها في مدح الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي، إذ يقول (١):

لَـــهُ جَـــيشٌ سَـــمَاويٌّ خَفِـــيٌّ   كَظَـاهِرِ جَيشِـهِ اللَّجُـبِ الهُمَـامِ
تُقَـــد صَـــوارِمُ العَلَـــويّ بِـــدءاً   إذا الأَرضِـيُّ هَـمَّ بِضَـربِ هَـامِ
أَميـــرُ المُـــؤمِنيْنَ هُنَـــاكَ نَصْـــرٌ   قَرِيـــبٌ جَـاءَ بِـالتُّحَفِ الجِسَـامِ
كَنَصـــرِ أَبيـــكَ في يَومـــي حُنَيْنٍ   وبَدرٍ عِنْـــدَ مُعتَـــرِكِ الحِـــمَامِ

فممدوح ظافر الحداد خليفةٌ وقائدٌ مؤيدٌ بنصرٍ من الله قريب، وتحارب إلى جنب جيشه أجناد من السماء، وذلك لأنهم مؤيدون من الخالق، منوهاً بآبائه من آل علي – رضي الله عنه – وجدِّه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، مذكراً إياه بنصر آل بيته على الأعداء في وقعة حنين وبدر زمن الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –.

ويؤكد ابن الحداد في قصيدة أخرى أهم عقائد الفاطميين، والتي على أساسها قاموا بادّعاء ما ادّعوا، ويتمثل ذلك في نسبهم إلى الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –، وذلك عن طريق وصايته بالخلافة لعليٍّ – رضي الله عنه –، الذي انتقلت منه الوصاية إلى أبنائه من فاطمة الزهراء، إذ يقول (٢):

فَيَا ابن البَتولِ سَليـــلَ الرَّسُـــــولِ   أَبـــوكَ الوَصِـــــــــيُّ، وأَنتَ الإِمَام

---
(١) الحدَّاد، ظافر، الديوان، ص٢٨٩.
(٢) الحدَّاد، ظافر، الديوان، ص٢٩١.

ويختم قصيدته بالصلاة والسلام على الخليفة الفاطمي، ونحن نعلم أَلَّا صلاة وسلام إلا على الأنبياء والرسل – عليهم السلام –، فيقول في ذلك :

وصلَّى الإلهُ، وأَهلُ السَّماءِ عَلَيكَ صَلاةٌ يَليهَا سَلام

ويبدو تأثر الشاعر ظافر الحداد جلياً بمعتقدات الفاطميين وأبرز مفاهيمهم المذهبية، فالخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله نراه – على حد قوله – قد غمر الناس بعدله وحفظه للدين، وهو مبعوث رحمة للعالمين، ويركز ابن الحداد على ما يردده أتباع الإمام من أقوال وآراء، فهو حجة الله الظاهرة كآيات القرآن، لا تحتاج إلى الدليل أو البرهان، إذ يقول [١]:

الحَافِظُ الدِّينَ، الذي غَمَرَ الورَى عَدلاً وعَمَّ جَميعَهُمْ إحسَانَا
هو رَحمَةُ اللهِ التي أَحيَا بِهَا آل ثَقَلَيْنِ حَتَّى الجودَ والإيمَانَا

ومن الشعراء الذين وقفوا مؤيدين لمعتقدات السلطة الفاطمية الدينية الشاعر عبد المحسن الصوري، ولكنه لم يغالِ في شعره كابن هانئ وغيره من الشعراء، على الرغم من أَنَّه شيعيّ المذهب، حيث امتدح في قصائده آل البيت بشكل عام، وخصَّ بقليلٍ منها مدح العزيز بالله الفاطمي ابن المعز الخليفة، والحاكم بأمر الله الفاطمي، ومن ذلك قوله في مدح للخليفة العزيز بالله [٢]:

ورَأَيْتُ نُوراً في نِزار كُلَّما أَلقَاهُ مِنْ وَصَبٍ وتَلْقَى الأَيْنُقُ
وبِحَيْثُ مِصْرَ للغيوثِ كِفَايَة بِغيوثِ رَاحَتِهِ التَّي تَتَدَفَّقُ
يَلقَاكَ نُورُ الحقِّ قَبلَ لِقَائِهِ فِيهَا وبَيْنَكُمَا دُروب تُغْلَقُ
آلُ النَّبيِّ هُمُ النَّبيُّ وإِنَّمَا بِالوحي فُرِّقَ بَيْنَهُمْ فَتَفَرَّقُوا
أَبَتِ الإمَامَةُ أَن تَليقَ بِغَيْرِهِمْ أَهلُ الرِّسَالةِ بالإمَامَةِ أَليَقُ

(١) الحدَّاد، ظافر، الديوان، ص٢٩٨.
(٢) الصُّوري، عبد المحسن، الديوان، ص٣٢١.

ولعل ابن الصوري في مثل هذه الأبيات يسير على نهج الشعراء المؤيدين للخليفة الفاطمي مذهبياً، فممدوحه – حسب اعتقاده – متمثلٌ له بالنور، وإنه من سلالة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولكن الوحي فرّق بينهم وبين النبي – صلوات ربي عليه –، وهم أجدر بإمامة الناس والخلافة، إذ هم أهل الرسالة.

وللشاعر الصوري قصيدة في مدح آل البيت يشير فيها إلى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، فيمدحه ويعلي في ذلك المدح، لأنه يرى الخليفة الحاكم هو المخلص للدين من يد بني أُميَّة، الذين اغتصبوا الخلافة منهم، حيث يقول [١] :

مَـــا لَـــمْ يَكُـــنْ مِـــــنْ مَعْشَـــرٍ ... غَـــدَرُوا وقَـــدْ شَهِـــدُوا الـــغَديرا

وتَـــــــآمَـــــروا مَــــا بَيْنَهُـمْ ... أَنْ يَنْصِـــبوا فِيهَــــــا أَمِيــــــرا

هَـــــذا إلـــــى أَنْ قَـــامَ قَــــا ... ئِــــمُ آلِ أَحمَـــدٍ مُسْتَثِيـــــرا

وتَســـلَّمَ الإِســـــــلامَ أَقْــــ ... تَــــمَ مُظْلِمَـــــاً فَكَسَـــاهُ نُـــورا

حَتَّــى إِذا مَــا الحَـاكِـمُ الـ ... ـمَنْصورُ قَـــامَ لـــهَا نَصِيْـــرا

ظَهَـــرَتْ دَلائِـــلُ لَـــمْ تَجِــدْ ... مِـــنْ دُونِ دَولَتِـــهِ ظَهيــــرا

فالخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي – حسب اعتقادات ابن الصوري – يمتد في نسبه للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، وقد جاء ليردّ للإسلام نوره وبهاءه من بعد ما كان قاتم اللون، حيث ظهرت الدلائل لهذا الخليفة لتؤيده في ذلك.

ومن الشعراء الذين أيدوا الفاطميين عقائدياً الشاعر داعي الدعاة " المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي "، وقد مرّ بنا سابقاً في هذه الدراسة، حيث أشار إلى وجوب طاعة الإمام ومعرفته – حسب معتقدات الفاطميين –، حيث يقول الشيرازي في ذلك[٢]:

وَهُمْ أُولـــو الأَمْرِ أَئِمَّةُ الـــهُدَى ... عِصْمَـــةُ مَـــنْ لاذَ بِهِـمْ مِنَ الـرَّدى

([١]) الصُّوري، عبد المحسن، الديوان، ص٢١٩.
([٢]) الشيرازي، الديوان، ص٢٠٥.

مَفْروضَـــــةٌ طَاعَتَهُـــمْ عَلى الأُمَمِ قَاطِبَةٌ مِـنْ عَرَبٍ ومِـــنْ عَجَـــمِ

اقــــــرأْ : أَطِيعُوا الله والـرَّسُــولا ثُــــمَّ أُولـــي الأَمْرِ بِهْم مَوْصُــولا

ثَلاثُ طَاعَاتٍ غَـــدَتْ مَعْلومَـــــهْ فــي آيةٍ وَاحِــــدَةٍ مَنْظومَـــــهْ

مَـنْ قَــالَ فـــي واحِـــدَةٍ تَقْييـــدُ فَإِنَّـــــهُ لِـرَبِّــــهِ عَنِيـــــــدُ

فالفاطميون هم أُولو الأمر من الأَئمة حسب اعتقادات الشيرازي، وهم عصمة من لاذ بهم من الردى، حيث طاعتهم مفروضة، ومعرفتهم غاية مطلوبة، ويرى الشيرازي حسب تأييده أَنهم هم من قصدوا بعد طاعة الله ورسوله، فيجب على الناس ألا يأخذوا بهذه الطاعات الثلاث بشكلٍ ناقص، فكلُّها في نظر الشاعر طاعة واحدة، ولعله في هذا القول مقتبس من الذكر الحكيم قوله تعالى: { يَا آيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيْعُوا اللهَ وأَطِيْعُوا الرَّسولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ }(١).

ويرى أَصحاب المذهب الفاطمي أَن الخليفة موصى له بالخلافة، فيقول الشيرازي في ذلك (٢):

لَوْ أَرادُوا حَقيقَـــةَ الدِّيـــنِ كَانُـــوا تبَعاً للـــذي أَقَـــامَ الرَّسُـــــولُ

وأَتَتْ فِيْــــهِ آيـــةُ النَّـــصِّ بَـلِّغْ يَــــومَ خُمٍّ لــــمَّا أَتَـــى جِبْـــرِيلُ

فالفاطميون يتفقون في عقيدتهم على مبدأ الوصاية في الخلافة، وهم يرون أَن النبي قد وصّى من بعده في خلافته لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وهي من بعده لبسط الرسول – صلى الله عليه وسلم – الحسين بن فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – .

ووفقاً لمزاعم الشيرازي التي يدعيها أَصحاب هذا المذهب، فإِنهم يرون في الخليفة حجّة لله – سبحانه وتعالى – على الخلق في الحياة الدنيا، وفي هذا المعتقد يقول الشيرازي (١):

---

(١) سورة النساء، آية ٥٩.
(٢) الشيرازي، الديوان، ص٢١٧.

يَــا وليَّ الإلـــــهِ يَا حُجَّـــةَ اللَّــــ ـــــهِ عَــلــى خَلْقِـــهِ غُدَاةَ الخِصَامِ

وله في هذا المعنى أيضاً مادحاً الإمام المستنصر بالله قوله [٢]:

الإمَــامُ المُسْتَنْصِرُ الطَّاهِـــرُ مَوْلَــى هُــو لِلَّهِ حُـــــجَّةٌ فــــي العِبَـــادِ

ولدى أَصحاب هذا المذهب من المعتقدات أَيضاً أَن الإمام هو الكتاب النّاطق، وهو الذكر الحكيم المبلّغ، فالشيرازي يعتقد بذلك المعتقد ويأخذ به ليعلي من تأييده للخلفاء الفاطميين، ويستند عليه في شعره، إذ يقول [٣]:

والكِتَـــابُ النَّطــوقُ بِالحَقِّ والصِّـدْ قِ وعَنْـــهُ يُكْشَـــفُ المَـحجُــوبُ

وله في مثل هذا المعتقد أَيضاً قوله [٤]:

وأَنْتُـــمْ كِتَـــابُ اللَّـــهِ يَثْبِتُ رَاشِــداً مُــحِقّاً ويَمْحُـــو مُبْطــلاً عَنْـهُ غاوِيا

وتصل درجة المغالاة إلى حدِّ الكفر والإلحاد عند أصحاب هذا المبدأ، عاكفين بتلك المغالاة لتأييد مبادئ مذهبهم، فهم يرون أَن الإمام له وجه من وجه الله يشعّ منه النور – كما يدّعون –، وللشيرازي في هذا المنطلق قوله [٥]:

فَوَجْـــهُكَ وَجْـــهُ الإلـــهِ المُنـــيرِ ونُـورُكَ مــنْ نُــورِهِ كَــالـــحِجَـــابِ

وله أَيضاَ، [٦]:

شَــــهِدْتُ بِـــأَنَّكَ وَجْـــهُ الإلـــهِ وجُـــوهُ المَوالـــي بِـــهِ نَـــاظِـــرَة

ولأَصحاب هذا المذهب الكثير من المبادئ والشعارات الرّاسخة في اعتقاداتهم وعقولهم كما يدّعون، وهي في النهاية – برأي الباحث – باطلة، وما أنزل الله بها من سلطان، فالشيرازي يرى أن الفاطميين هم الأبرار والثقات الذين يرشدون الناس إلى

(١) الشيرازي، الديوان، ص٢٩٦.
(٢) الشيرازي، الديوان، ص٢٧٧.
(٣) الشيرازي، الديوان، ص٢٠٩.
(٤) الشيرازي، الديوان، ص٢٤٧.
(٥) الشيرازي، الديوان، ص٢٣١.
(٦) الشيرازي، الديوان، ص٢٨٦.

حسن السبيل[١]، وأن خلفاء بني فاطم دعوتهم قائمة في العالم وظاهرة، ولهم المقام والصفا والمشعر[٢]، وهم خير أمة أخرجت للناس[٣]، وهم سبيل من طلب الشفاعة والغفران من الله – سبحانه وتعالى – [٤]، وغيره من المعتقدات التي تناولها الشيرازي في قصائده المدحيّة لخلفاء الدولة الفاطمية، وذلك للإعلاء في تأييد مذهبهم.

وتبين للباحث أن خلفاء الدولة الفاطمية وأئمتها قد اعتمدوا على الجانب الديني بشكل كبير، لإرساء دعائم خلافة دولتهم التي جاؤوا بها، لذا عَمد مادحوهم من الشعراء على هذا الجانب في تأييدهم، ولا سيّما قضية نسبهم المتصل – كما يدّعون– بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلي بن ابي طالب – رضي الله عنه –، ويقودهم هذا النسب – ويقود الباحث – في حديثهم عن حادثةٍ تركت في نفوسهم من الأسى والحزن ما لا يُحتمل، وهي حادثة كربلاء، ومقتل سبط رسول الله الحسين بن علي بن ابي طالب – رضي الله عنهما –، متحاملين في هذه الحادثة الأليمة على بني العبّاس وبني أُميَّة، ويحثون الخلفاء الفاطميين على الثأر، والقصاص من صاحب الوزر، مظهرين أقصى درجات التشيع في هذه الحادثة، ومبدين أحقية الخلافة للفاطميين وأَئمتهم.

ونبدأ في هذا المقام بابن هانئ الأندلسي، الذي أَجاد في هذا المضمار قوله، وفصّل فيه شعره، ففي قصيدة مدح نظمها في المعز لدين الله الفاطمي، جاء ابن هانئ متحاملاً على بني أُميَّة مغتصبي الخلافة – كما يدعي –، فبعد وصفٍ ومدحٍ لممدوحه الخليفة الفاطمي، يعرّج على وصف بني أُميَّة وصفاً مدقعاً بعدم معرفتهم بالحرب و القتال، مبدياً سخريته منهم، ليتخلص إلى ما يريد، فينادي بالثارات للحسين بن علي، ويخاطب ممدوحه بأَن الله أطلع من الهواشم الشموس الواضحة – ويقصد الخلفاء الفاطميين –، وأنجز وعده بذلك، اذ يقول [٥]:

---

(١) الشيرازي، الديوان، ص١٩٦.
(٢) الشيرازي، الديوان، ص٢٠٦.
(٣) الشيرازي، الديوان، ص٢١٣.
(٤) الشيرازي، الديوان، ص٢٦٧.
(٥) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٦٣.

بَنِـــي هَاشِـــم قَـــد أَنجـــزَ اللهُ وَعـــدَهُ ... وأَطلَـــعَ فـــيكُمْ شَمســـهُ وهـــي دَالِـــكُ
ونَادَت بِثَاراتِ الحُسَيــــــنِ كَتَـــائبٌ ... تُمطَّى شِـــراعاً فـــي قَنَاهَا المَعَـــارِكُ

وفي موطن آخر من قصائد ابن هانئ في مدح المعز لدين الله الفاطمي لمثل هذا المقام، قوله [1]:

فَـــإنْ يُتَخَـــرَّم خَيـــرُ سِـــبطَي مُحمَّـــدٍ ... فَـــإنَّ ولـــيَّ الثَّـــأرِ لَـــم يُتخَـــرَّمِ
أَلا سَـــائِلو عَنـــهُ البَتـــولَ فَتَخبـــروا ... أَكانَـــتْ لَـــهُ أُمَّـــاً وكَـــانَ لهَـــا ابـــنَمِ
أَلا إنَّ وِتـــراً فـــيهِمُ غَيـــرُ ضَـــائعٍ ... وطُـــلَّابُ وِتـــرٍ مِـــنكُمْ غَيـــرُ نُـــوَّمِ
فَلَـــمْ يَبـــقَ للمِقـــدارِ إلَّا تِعِلَّـــةٌ [2] ... لـــدَيكَ مَـــداهَا فَاحسِـــمِ الـــدَّاءَ يُحسَـــمِ
وأَولـــى بِلَـــومٍ مِـــنْ أُميَّـــة كُلِّهـــا ... وإنْ جَـــلَّ أَمـــرٌ مِـــنْ مَـــلامٍ ولَـــوَّمِ
رِجَـــالٌ هُـــم الـــدَّاءُ العَيَـــاءُ الـــذي سَـــرَى ... إلَـــى رِمَـــمٍ بـــالطَّفِّ مِـــنكُم وأَعظُـــمِ
هُـــم قَـــدَحوا تِلـــكَ الزِّنَـــادَ التـــي وَرَدتْ ... ولَـــو لَـــم تُشـــبَّ النَّـــارُ لَـــمْ تَتَضَـــرَّمِ
هُـــمْ رشَّـــحوا تَيْمَـــاً لإرثِ مُحمَّـــدٍ ... ومَـــا كَـــانَ تَيمـــيٌّ [3] إليـــهِ بِمُنْـــتَمِ
علـــى أَيِّ حُكـــمِ اللهِ إذ يأفكونَـــهُ ... أَحـــلَّ لَهُـــمْ تَقـــديمُ غَيْـــرِ المُقـــدَّمِ
وفـــي أَيِّ دينِ الـــوَحي والمُصطَفَـــى لَـــهُ ... سَـــقَوا آلَـــهُ مَمـــزُوجَ صَـــابٍ بِعَلقَـــمِ
وبِالحِقـــدِ حِقـــدِ الجَاهِلِيَّـــةِ إنَّـــهُ ... إلَـــى الآن لَـــمْ يَظعَـــنْ ولَـــمْ يَتصَـــرَّمِ
وبالثَّـــأرِ فـــي بَدرٍ أُريقَـــــتْ دِمَاؤكُمْ ... وقِيْدَ إليكُـــم كُلَّ أَجـــــرَدَ صَلـــدَمِ

حيث يشير ابن هانئ إلى أحداث تاريخية إسلاميَّة تحمل من الحزن قدراً كبيراً، وتبعث في النفس ألماً عميقاً، فالدهر وإن اقتطع الحسين سبط رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإن ولي ثأره المعز لدين الله الفاطمي لم يقطع، وعلى بني أُميَّة أَن تتأكد في صلته للرسول – صلى الله عليه وسلم – وتسأل أُمه فاطمة الزهراء، ويبثُّ الشاعر الحماسَ في القلب ممدوحه الخليفة، ويحفّزه على قتال بني أُميَّة، فهم داءٌ يجب استئصاله، إذ رشّحوا وفضلوا في خلافة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أبا بكر الصديق، وكذبوا بحكم الله وأنكروا علياً بتأويلهم الباطل، ويشير ابن هانئ في "تقديم

---

(1) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص ٣٥٤-٣٥٦.
(2) التّعلة: ما يتبقى في الضرع من بقايا الحليب، وهنا إشارة إلى الوقت القليل.
(3) تيميٌّ: المقصود به هنا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -.

غير المقدّم" إلى نظرية "الفاضل و المفضول" عند أئمة الإسماعيلية، جاعلاً كلّ هذه الأحداث التاريخية ليست سوى أحقاد من بني أُميَّة لما حل بهم في وقعة بدر، فأحدثوا ما أحدثوه في كربلاء انتقاماً لهم.

وتكادُ لا تخلوا قصيدة مدحٍ عند ابن هانئ في الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، أَو أحد ولاته إلَّا وضمنها هذه الحادثة المؤلمة، ليؤجج في نفوسهم الحماسة والحزم على الثأر من بني أُميَّة والعبّاس، لما اقترفوه في كربلاء، فهو يقول في إحدى مدحياته للمعز[1]:

وكَأَنَّ بِهِ لَم يُبقِ وِتراً ضَائِعاً — في كَربلاءَ ولا دَمَاً مَطلولا

أَوَمَا سَمِعتُمْ عَنْ وقَائِعِهِ التي — لَمْ تُبقِ إِشرَاكَاً ولا تَبدِيلا

أَما بقية الشعراء المستشهدون في حادثة كربلاء لتأييد الخليفة الفاطمي في مذهبه ومعتقده فهم كثر، ونشير إلى شاعرٍ هو في أساسه شيعي المذهب، ولم يقل الشعر لشاعريته فقط، بل لأَنَّه يحسّ بما يعتصر قلوب الأَئمة والخلفاء الفاطميين من أَلم في هذه الحادثة، فيشاطرهم أحزانهم وآلامهم بذلك، كيف لا وهو يُعدُّ من أَبرز قوّادهم، وولاة أَمرهم، الشاعر " طلائع بن زُرِّيك "، وقد رغب الباحث بتأخير الاستشهاد بنظمه في هذا الجانب ليبرز مدى تأثير هذه الحادثة في نفس ابن رُزِّيك، فجعلته ينطق الشعر تأييداً لأئمته من الخلفاء الفاطميين، ودفاعاً عن مذهبهم، مستخدماً مصطلحات الإسماعيلية الفاطمية، إضافة إلى ذلك فقد لاحظ الباحث على أَشعار ابن رُزِّيك بأَنها لم تكن موجهة لمدح خليفة فاطمي بعينه، بل كانت أَشعاره قصائد في مدح أَهل البيت، والعترة الطاهرة، ورثائهم بحزن لما أصابهم في حادثة كربلاء، مكثراً من ذكر علي بن أَبي طالب – رضي الله عنه –، وابنه الحسين " سبط رسول الله " – صلى الله عليه وسلم –، ليستدل الباحث أن غرض ابن رُزِّيك لم يكن التكسب كحال بعض الشعراء، وليتأكد أَنَّه من أهل هذا المذهب وأَئمته، كيف لا وقد لُقِّب بأَبي الغارات، والملك الصالح.

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٧٦.

ومما قاله ابن رُزِّيك في مدح أهل البيت – عليهم السلام – قوله [1]:

أَلا إِنِّــــي لأَهْـــلِ البَيْـــتِ عَبـــدٌ   مُطيـــعٌ لَـــيسَ يَجـــنَحُ للآبـــاءِ
فَفِـــي آلِ النَّبـــيِّ نَظَمـــتُ مَـــدحِي   وشَـــنَّفت المَسَـــامِعَ مِـــن ثَنَـــائي
شَـــرِبتُ وِدَادهُـــمْ نَهْـــلاً وعـــلاً   وهَـــا أَنَـــا وارِدٌ وِردَ الظَّمَـــاءِ
نُجـــومٌ يَهتَـــدِي السَّاري إِليـــهَا   بِهَا عِنـــدَ الصَّبَـــاحِ وفي المَسَـــاءِ

فابن رُزِّيك مُطيع لأهل البيت، وينظم المدح فيهم لفرط حبّه لهم، وهو متشربٌ لوداد قربهم.

ويقول ابن رُزِّيك في مدح الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مادحاً [2]:

أَلا إِنَّنـــي أَمسَـــكتُ أَغصَـــانَ دَوحَـــةٍ   أَتَـــتْ بأَفَـــانينِ الثِّمَـــارِ الأَطَايِـــبِ
وما تَتَساوى الأَرضُ في المَجدِ والسَّمَا   وكُـــلٌّ عَـــلا تَرتيبُـــه فـــي المَراتِـــبِ
بـــآل رَســـولِ اللهِ نَاجَيْـــتُ خَـــالقِي   بِصِـدقٍ فَينجي مَنْ يَنُوبُ النَّوائِـبِ
وبَـــوَّأني مِنـــهُ أَمَانَـــاً مُوسَّـــعَاً   وقَدْ كُنـتُ أَخشَـى أَنْ تُسَدَّ مَذَاهِبي
بِهِـمْ تُبلَـغُ الآمَـالُ مِـنْ كُـلِّ آمِـلٍ   بِهِمْ تُقبَلُ التَّوبَاتُ مِنْ كُلِّ تَائِـبِ
أَئِمَّـةُ حَـقٍّ لَـو يَسـيرونَ فـي الـدُّجَى   بـلا قَمَـرٍ لاستَصْـبَحوا بالمنَاسِـبِ
أَئِمَّـــةُ دينِـــي قَـــدْ كَسِـــبتُ ودادَهُـــمْ   ومـا تَـارِكٌ مِنْ دينِهِمْ مِثْلُ كَاسِبِ
وحُبِّـــي لَهُـــمْ آل العَبَـــاءِ لأَنَّهُـــمْ   بَريئـونَ مِـنْ كُـلِّ الخَنَـا والمَعَايـبِ
رَغِبْـــتُ إِلـــى آل الرَّسُـــولِ وإِنَّنـــي   إِلـى غَيـرِهِمْ فَلْيَعْلَمـوا غَيْـرُ رَاغِـبِ
عَلـــيٌّ أَميـــر المـــؤمِنِيْنَ ولاؤهُ   يَـراهُ ذَوو الأَحْسَـابِ ضَـربَةَ لازِبِ
عَلَيْـهِ تَـرى الإِجْمَـاعَ لا شَـكَّ واقِعَـاً   ولَـمْ تَـرَهُ بَعـدَ النَّبِـيِّ لصَـاحِبِ
وزَوَّجَـــهُ الرَّحمَـــنُ بِالطُّهـــرِ فَاطِمَاً   وقَدْ ردَّ عَنْهَـا رَاغِـمَاً كُلَّ خَـاطِبِ

([1]) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٥١.
([2]) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٥٣-٥٤.

فيشير طلائع بن رُزِّيك إلى دوحة آل البيت المتصل بها، وهي دوحة تطلع أطيب الثمار من أفرادها، فيناجي ربّه بآل الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فيحظى بذلك، بعد أَن شارف على انتهاء مذاهبه، ولعل ابن رُزِّيك في أبياته السابقة يسير على بعض ما نهجه الشعراء المادحون للخلافة الفاطمية، ونراه يتمثل عقائد الإسماعيلية التي ينتمي إليها، فهم أَئمة حقٍّ، وقد كَسِبَ من سار على نهجهم، وخسر من خالف مذهبهم، وهم – كما يدعي – بريئون ومعصومون عن الخطأ أَو الزَّلل، ويبدي تشيعه بشكل واضح وجليّ، فلا يرغب إلا بآل الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ويرى الولاء لعليّ – رضي الله عنه – أَمرٌ لازم وثابت، فقد زوجه الله فاطمة الزهراء طهراً وعفافاً.

ومن جانب المدح ننتقل إلى جانب الرثاء، والقارئ في ديوان طلائع رُزِّيك يرى أَنَّ معظم قصائده تبدأ بعبارة " قال راثياً " و " قال يمدح أَهل العترة "، ولعل ذلك يبعث على الأَسى والحزن في نفس هذا الشاعر، فهو وإنْ يمدح آل البيت والعترة الطاهرة، يبقى متصارعاً مع ردهة من الأسى والحزن لما أصابهم في وقعة كربلاء، فيقول راثياً في الأبيات التالية الحسين بن علي – رضي الله عنه – [1]:

أَسَفاً لِمَوتِ الدِّينِ بَعْدَ حَيَاتِهِ	**ودُثُورُ نَهجِ مَسَالِكِ التَّوحِيدِ**
ولأَجلِ ما قَدْ بَاتَ آل مُحَمَّدٍ	**مِنْ مُبدِءٍ فِي ظُلمِهِم ومُعِيدِ**
مِن كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ لَمْ يَزَلْ	**يَأْوِي لِشَيْطَانٍ إِليهِ مُرِيدِ**
فِي أُمَّةٍ قَدْ أَشبَهَتْ عَاداً كَمَا	**قَدْ شُبِّهَتْ فِي بُغيِهَا بِثَمُودِ**
مَنَعُوا الحُسَيْنَ مِنَ الفُراتِ لقَدْ أَتُو	**فِي قَتلِهِ بالمُعضِلاتِ السُّودِ**
أَوصَاهُمْ الرَّحمنُ وِدَّاً فِيهُمُ	**فَنَفَوهم بالقَتلِ والتَّصفِيدِ**
لَهفِي عَلى مَا فَاتَنِي مِنْ نَصرِهِمْ	**لهفَاً تشِبُّ وقُودَ نارِ حقودي**

فالشاعر في الأبيات الآنفة الذكر يأسف لموت الدين والهدى بعد مقتل الحسين في حادثة كربلاء، وينوه للظلم المتعرضين له آل البيت والرسول منذ القدم، حتى بدا وكأَنَّه تاريخ ظلم يعيد نفسه، مضمناً أَبياته آيات من السور الكريمة، كما في قوله (جبّار عنيد) و (شيطان مريد)، ويشبه من ظَلَمَ آل بيت رسول الله بقوم عادٍ وثمود، إذ

---
(1) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٧٥.

بقتلهم للحسين قد اقترفوا أَكبر الكبائر، وتجاوزوا بفعلتهم ما أوصى الله من الود في معاملتهم، فيتلهف طلائع إلى ما فاته من الزمن لنصرتهم، وإذا بهذه اللهفة تزيد عليهم أَحقاده، وتؤجج ناره.

وكثيراً ما يطنبُ طلائع بن رُزِّيك في قصائده بأهل البيت، ورثاء الإمام علي بن أَبي طالب وابنه الحسين – سبط الرسول – بأحقيتهم في الخلافة، مشيراً إلى أَنها صرفت عنهم، فيقول [١]:

أَخَذتُم على القُربَى خِلافَةَ أَحمَدٍ وصَيَّرتموهَا بَعدَهُ في الأَجَانِبِ
وأَينَ على الإنصافِ تيمُ بن مُرَّةٍ لو اختَرتُمُ الإنصَافَ من آل طَالِبِ

ويقول الشاعر ابن رُزِّيك في مرثية أخرى للحسين بن علي – رضي الله عنه [٢]:

شُغِلتُ عَن الدُّنيَا بِحُبِّي لمَعْشَرٍ بهم يَصفَحُ الرَّحمنُ عَنْ هَفَواتِي
إِليْكَ، فَلا أَخْشَى الضَّلالَ لِكونِهِمْ هُداتِي، وهُمْ في الحَشْرِ سُفْنُ نَجَاتِي
أَئِمَّةُ حَقٍّ لا أَزالُ بِذِكرِهِمْ مُواصِل ذِكرَ اللهِ في صَلَواتِي

فطلائع الشاعر مشغولٌ وزاهدٌ عن متاع الدنيا في حبِّه لآل البيت، فهم – في نظره – سبب شفاعة له عند الله، وبهم يصفح الله عن هفواته، وهو لا يخشى الضلال لأنهم هداته، ولا يخشى يوم الحساب لأنهم سبب نجاته، واصفاً إياهم بأئمة حقٍّ يلهموه ذكر الخالق في صلواته.

ويشير الشاعر في القصيدة ذاتها إلى من هَضَموا حقَّ العلويين في الخلافة، وسيلتقون بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يوم القيامة خجالة حين يسألهم : لِمَ ضيعتم حقّ عترتي؟، إذ يقول [٣]:

إذا قَالَ: لِمْ ضَيَّعتُموا حَقَّ عِترَتِي وكَيفَ انتَهَكتُمْ جُرأَةً حُرُمَاتِي؟!
أَسَأتُمْ صَنيعاً بَعدَ مَوتِي فَغَاصِبٌ لِذُرِّيَّتي حَقَّاً، وآخَرُ عَاتِ

---
(١) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٥٥.
(٢) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٦٦.
(٣) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٦٧-٦٨.

ومَــنْ خَصـمُهُ يَـومَ القِيَامَـةِ أَحمَـد	**لقَـدْ حَـلَّ فــي وادٍ مِــنَ النِّقمَــاتِ**
فَـوا حَزَنِــي لــو أَنَّنِــي فــي زَمَــانِهِمْ	**و واحــرَّ أَحْشَــائِي، و واحَسَــراتِي**
لأَطعَــنَ فـــيهم بالأَسِـــنَّةِ كُلَّمَـــا	**مَضَــتْ حَملَــةٌ جَــاءَتْ بِمُؤتَنِفَــاتِ**
أَقْضِـــي زَمَــانِي زَفــرَةً بَعْــدَ زَفــرَةٍ	**فَقَلْبِـــيَ لا يَخْلــو مِـــنَ الزَّفَــراتِ**
وصَــدرِيَ فِيْهِ حُرقَـــةٌ بَعْـدَ حُـــرقَةٍ	**فَلَيْسَ بِمُنفَـــكٍّ عَـــنِ الحُرُقَـــاتِ**

وبذلك نرى أن طلائع بن رُزِّيك دأبه كدأب غيره من الشيعة المحزونين يوم عاشوراء، وذلك حرصاً منهم على إظهار الندم والتأنيب لأنفسهم بعدم نصرة الحسين، فتشتعل نارُ ذلك الأسى في قلوبهم، فيعاقبون أنفسهم، ويبكون الدمع حسرة وندماً على ذلك، حتى لتغدوا مراثيهم حارقة في يوم عاشوراء، فهو في الابيات التالية يتشيّع ملتهباً في رثائه لآل البيت، إذ يقول في رثاء الحسين وكأنه يندب ويولول حسرة وندم [1]:

مُتَضـــاعِفُ الحَسَـــراتِ مَمْلُـــوٌّ	**الجَـــــــوارِحِ بِــــــــالجِرَاحِ**
تَعسَـــــاً لجَبَّـــارينَ أَصـــلوا	**خَيْــــرَهُمْ حَــــدَّ السِّـــــلاحِ**
حَمَلـــوا رُؤوسَــــهُمْ الكَرِيمَــــة	**فَـــــوقَ أَطْـــرَافِ الرِّمَــــاحِ**
يَـــا أُمَّـــــةً غَـــدَرَتْ ونُــــورُ	**الحَــــقِّ أَبلَـــجُ ذو التِمَــــاحِ**
وتَعقَّبَـــــتْ سُـــــنَنُ النَّبِــــيِّ	**الطُّهــــر بالبِــــدَعِ القِبَــــاح**
وتَأَولَـــتْ فِـــي مُحكَـــمِ القُـــر	**آنِ بِالكَـــــــذِبِ الصُّـــــــراحِ**
وغَــــدَت علــــى ظُلْــــمِ الو	**صِــيِّ وآلـــهِ ذَات اصطِـــلاحِ**

وكثيراً ما يلحظ القارئ في ديوان طلائع بن رُزِّيك ترديده لعقائد الشيعة ورموزها، كالحديث عن يوم (غدير خُمْ)، وما دار به من وصاية نبويّة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في الخلافة بعده، منبهاً الورى – على حد قول طلائع – إلى وجوب اتباع عليّ من بعدي كما تبعوني الآن، ويجعل من خذله مخذولاً في ذلك، ومن أيده يعضده الله – تعالى –، إذ يقول [2]:

---

(1) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٧١.
(2) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٧٤.

ويَـومُ خُـمٍّ، وقَـد قَـالَ النَّبـيُّ لَـهُ   بَينَ الحُضورِ وشَالَت عَضدَهُ يَدُهُ
مَن كنتُ مولى لَـهُ هَذا يكونُ لَـهُ   مـولىً أتَـاني بـه أمـرٌ يُؤكِـدُهُ
مَـن كِـانَ يَخذلُـهُ فـالله يخذلُـهُ   أَو كـانَ يَعضُـدُهُ فـاللهُ يَعضُـدُهُ
قالوا سَمِعنا وفـي أَكبادِهِم حُـرق   وكلُّ مُسـتمعٍ للقـولِ يَجحَـدُهُ

ويمضي الشاعر مركزاً على معتقدات إسماعيلية شيعية تعارف عليها الأَئمة عندهم، فعلي بن أَبي طالب – رضي الله عنه – حجة الله، وأهل البيت أهل الكساء، وآل البيت عروة وثقى لمن تمسك بها، وهم أَبناء فاطمة الزهراء ذخرٌ لمن طلب الذخيرة يوم المعاد، إذ يقول (١):

يـا حُجَّـةَ اللهِ يـا مَـن يُستَضَـاءُ بـِهِ   إلـى الهِدايَـةِ يـا مَـنْ طَـابَ مَولـدُهُ
أَلسـتُمُ أَنـتُمُ أَهـلُ الكِسَـاءِ بِكُـمْ   جِبريـلُ يَفخَـرُ إذ فِـيكُمْ نُعَـدِّدُهُ
يَـا عُـروة سَـلِمَ المُستَمسِـكونَ بِهَـا   ومَسـلكاً بـالولا فـيكُمُ يُمهِّـدُهُ
جَعَلتُكُمُ يا بَنِـي الزَّهْـرَاءِ مُعْتَمدي   يَـومَ المعَـادِ بِمَا فيكُمْ أُجَـدِّدُهُ

وبعد أَن أَشار الباحث إلى بعض جمهور شعراء الدولة الفاطمية على مختلف أَطيافهم ومذاهبهم الدينية، سنيّة أو شيعية، يطالعه شعر شاعر في أصله أميرٌ من أمراء الأئمة الفاطميين، ذوّاقٌ للشعر في شتى نواحيه، متأثرٌ بألفاظ ومعتقدات عقيدته ومذهبه الإسماعيلي الفاطمي، وهو تميمٌ الفاطمي، أَحدُ أبناء المعز لدين الله الفاطمي، فله في ديوانه قصائد جمّة في مختلف ضروب الشعّر، فنظم في الغزل والحكمة والوصف ما نظم، ومدح في شعره آل البيت الذي يدعي في النسب إليه، فتارةً يَراه الباحث مادحاً وراثياً لأهل العترة على وجه العموم، فيذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعلي بن ابي طالب – رضي الله عنه –، وسبط رسول الله من فاطمة الزهراء، وتارة أخرى يَراه يضمّن مدحه لأئمته من الخلفاء الفاطميين كأبيه وجدّه وأخيه من عقائد الفاطميين الإسماعيلية، ويسبغ عليهم صفات تعارف عليها غيره من الشعراء المادحين والمؤيدين للسلطة الفاطمية آنذاك.

---

(١) ابن رُزِّيك، طلائع، الديوان، ص٧٥.

ونبدأ بهذه الأبيات التي يبدي الشاعر فيها فخره بنسبه لوالده المعز لدين الله الفاطمي، وأخية الخليفة وارث الحكم بعد والده العزيز لدين الله، فرحاً بهذا النسب الفاطمي العلوي الحسيني، فيقول [1]:

أَنــا ابــنُ المُعِــزِّ سَـليلَ الهُــدى وصِــنْو العَزيــزِ إمَــامَ الهُــدى
سَــمَا بِــي مُعِــزٌّ إلــى غَايَــةٍ مِــنَ المَجـدِ مَـا فَوقَهـا مُرْتَقَـى
فَرِحــتُ بِها فاطِـــميٌّ النِّجَــارِ حُسَينيَّـــة علــــويّ الجَـــنَى

وله في مثل هذا القول أيضاً [2]:

أَنـا ابنُ مَن قَد أَعَزَّ الـدِّينَ منصَلَـهُ وأَذعَنَــتْ لِعُــلاهِ العُــرْبُ والعَجَــمُ
أَعنِـي الإمـامَ مُعِزّاً خَيرُ مَن حَسُنَتْ بِــهِ الخِلافَــةُ واسـتَعلَتْ بِــهِ النسـمُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ دونَ النَّـاسِ مُعتَصِمَاً أَمسَى ولَيسَ لَهُ في الأَرضِ مُعتَصِمُ

فتميم يضمُّ صوته لصوت الشعراء المؤيدين للسلطة الفاطمية في عقيدتها، ويجنح بشعره مستخدماً معتقدات المذهب الإسماعيلي المتشيع، فهو ابن المعز الذي اعتزّ الإسلام بفضل سيفه، وحسنت لقدومه الخلافة وأسفرت، حتى أمسى من لم يعتصم ويعتضد به خاسراً في حياته.

وغالباً ما كان الشاعر تميم يفخر بنسبه إلى علي بن أَبي طالب – رضي الله عنه –، فبه قد مُنِح همّةً علويّة تطاول العلى، وهو أيضاً متباهٍ بجدّه الامام المنصور والد المعز لدين الله الفاطمي، ويفتخر أيضاً بخليفته وشقيقه العزيز الذي اعتلت بفضله خلافة بني هاشم، إذ يقول [3]:

ولكِــنْ سَــمَتْ بِــي هِمَّــةٌ عَلويَّــةٌ وقَلــبٌ إذا ارتَــاعَ الجَبَــانَ جَســورُ
ومَـالي أَخَـافُ الـدَّهرَ أَو أَحْتَنـي لَـهُ ولـي مِن أَبي المَنْصُورِ فِيْـهِ نَصيْرُ
عَزيــــزٌ بِــــهِ عُــزَّتْ خِلافَةُ هَاشِمٍ وراحَ عَمــودُ البَغــــيّ وهو كَسيْرُ

(١) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص٤٨.
(٢) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص٤٩.
(٣) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١١٦.

ويرى الباحث أَنَّ الشاعر تميم في بعض قصائده رجل عقيدةٍ خالصة، فهو في فخره – في الأبيات التالية – بنسب لآل هاشم الفاطميين يدلي ما بوعائه من معتقدات إسماعيلية شيعية، فيرى نفسه ابناً لسادة الهاشميين، وابن الوحي والحكمة والقرآن، وابن بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وابن المروة والمشعر والحجر، ولعل ذلك ليس من باب الافتخار بالنسب فقط، ولكن إظهاراً لتأييد أصحاب المذهب الفاطمي وأئمَّته، فيقول [١]:

أَنَا ابنُ الآنُفُ الشُّمُّ	أَنَا ابنُ الأَنجُمُ الزُّهرِ
أَنَا ابنُ الوَحيّ والحِكمَةِ	والفُرقَانِ والذِكرِ
أَنا ابنُ البَيتِ والمَروةِ	والمَشْعَرِ والحِجْرِ

وتكثر مواطن افتخار الشاعر تميم الفاطمي بنسبهم إلى آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فبهم قد تنزل الكتاب، ويجيب الله دعوة من دعاه، إذ يقول[٢]:

نَحنُ الذينَ بِنَا الكِتابُ مُنَزَّلٌ	وبِنَا يُجيبُ اللهُ دَعوةَ مَن دَعَا

وهو لا يخاف الخطوب قط ، لأنه – كما يدعي – جدّه النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، ووالده المعز لدين الله الفاطمي، فيقول [٣]:

لَم أَخشَ قَطُّ حُلولَ حَادِثَةٍ	والليثُ لا يَخشَى مِنَ النِّعَمِ
جَدِّي النَّبيُّ المُستَضَاءُ بِهِ	وأَبي المُعِزُّ مُجْلِلُ النِّعَمِ

وتبدو في أشعار تميم الفاطمي سمة جليّة واضحة، فهو يركز في قصائده المدحية الافتخار بأخيه الخليفة العزيز الفاطمي، فيسرد معظم عقائد ومبادئ الأَئمة الفاطميين بشكل متتابع، ليؤكد – لكل من تسول له نفسه بالشَّكِّ – على صدق ما جاءوا به في مذهبهم، فالعزيز – على حدِّ قوله – ابن الوصي ، وابن فاطمة البتول، وابن نبي الهدى، وابن المشاعر والمروة والصفا، وله الشرف لقربه من آل هاشم، فيقول [١]:

(١) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١١٧.
(٢) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١١٨.
(٣) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١١٩.
(١) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١٣١.

فَيَا ابنَ الوَصيِّ ويَا ابنَ البَتُولِ   ويا ابنَ نَبيِّ الهُدَى المُصْطَفَى
ويَا ابنَ المَشَاعِرِ والمَروَتَيْنِ   ويا ابنَ الحَطِيمِ ويَا ابنَ الصَفَا
لكَ الشَّرفُ الهَاشِميُّ الذي   يُقَصِّرُ عَنْهُ عُلا مَنْ عَلا

وله في مثل ذلك أَيضاً قوله [١]:

دَعَا باسمِكَ الدَّاعي بِمَكَّةَ مُعْلِنَاً   فَطَابَ لأَهلِ المَوسِمِ الحَجُّ والنَّفرُ
وحَنَّتْ إليكَ المَروَتَانِ وزَمْزَم   وثوَّبَ تَصريحاً بِكَ الرُّكنُ والحجرُ
مَسَارِحُ آياتِ القرآنِ وأَرْبُعُ   بِهَا ظَهرَ الإيمانُ واندَفَعَ الكُفرُ
وأَرضٍ غَدا للوَحيّ بَيْنَ عَرَصَاتِهَا   مَجَالٌ، وللإسلامِ فِي أَهلِهَا نَصرُ
وأَنْتَ بِهَا يَا ابنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ   أَحَقُّ إذا مَا بانَتِ الحُجَجِ الزُّهرُ
وأَنْتَ العَزيزُ والمُسْتَضَاءُ بِهِ الذي   أَنارَتْ لَهُ الدُّنيَا وتَاهَ بِهِ الدَّهرُ

والمتأمل لشعر تميم الفاطمي، يلحظ أَنه في غالب قصائده التي يمدح بها آل الرسول، وأهل العترة والأئمة الفاطميين، لا يتشدد في المغالاة حين يمدحهم، فهو ليس سوى متتبع لنهج الشعراء الذين دأَبوا على ذكر معتقدات المذهب الفاطمي، فلا يبدو مغالياً إلى حدِّ الكفر والالحاد كما هو الحال عند غيره من الشعراء، كابن هانئ الأندلسي، وعُمارة اليمني وغيرهما، ولعل مردّ ذلك لأنه أميرٌ فاطميٌ شيعي المذهب، وصاحب هوية موكَّلٌ في الدفاع عنها دون الحاجة إلى التكسب والتزلف من السلطة، ومن ذلك قوله في مدح والده الخليفة المعز لدين الله الفاطمي [٢]:

ليَهنَكَ أَنَّ اللهَ فَوقَكَ مَالِكٌ   ودُونَكَ كُلُّ المَالِكينَ عَبيْدُ
وأَنَّكَ غَرسُ اللهِ فِينَا وأَنَّنَا   غُروسُكَ يَنْمِي فَضَلُها ويَزِيْدُ
وجُوهٌ تَجلَّتْ فِي سَنَاك وأَنفُسٌ   ونَبْتٌ تَرَوَّى فِي ثَراكَ وعُودُ
وهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ بُنَاكَ التي غَدَتْ   يُشيدُهَا فَضلٌ لَدَيْكَ وجُودُ
فَأَيّ أَيَادي اللهِ نَبْدَأُ بِشُكرِهَا   لَدَيْكَ وأَيُّ المكرُمَاتِ نُعيْدُ

(١) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١٣٥-١٣٦.
(٢) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١٢٨.

لَئِنْ خَصَّنِــــي مِنْهَــا الإلهُ بِحَظْوَةٍ   لَقَدْ عَمَّ مِنْهَـــــا العَالمِيْــنَ سُعُـــودُ

إنَّ تميمـاً الفـاطمي فـي الأبيـات السـابقة يمثـل عقيدتـه الفاطميـة الإسـماعيلية الصحيحة، فجعل الله – عز وجل – كما هو بدهي في مرتبة العلى لا يعلو مخلوق عليه، وأشار إلى أَن الله – كما يعتقد الأئمة الفاطميون – قد حبا والده بالإمامة القيمّة واصـطفاه لهـا، ولعـل المقطوعـة السـابقة أقـرب إلـى المـدح البسـيط، والتمثـل بعقائـد الفاطميين ومذهب أهله كما هو متعارف عليه عند بعض غير المغالين في تأييدهم للسلطة الفاطمية.

ولا نغفل أيضـاً فـي معرض الاستشـهاد بأشعار تميم الفـاطمي موقفـه مـن حادثـة كربلاء، ومقتل الحسين بن علي – رضـي الله عنـه –، فهذه الحادثة إن تناولها الشعراء للرثاء، وتحريض الموتورين من الفاطميين للثأر من الواتر، نرى أَن تميماً الفاطمي في هذا المقام موتورٌ وصاحب ثأرٍ، لذا كان لهذه الحادثة أَثرها في أحزان الشاعر وآلامه، ليقول فيها [١]:

ثَـوتْ لـي أَسـلافٌ كِـرامٌ بِكَـربَلا   هُــمُ لِثُغُــورِ المُسْــلِمِيْنَ سِــدَادُ
أَصَـابَتْهُم مِـنْ عَبْـدِ شَـمسٍ عَـداوةٌ   وعَـــاجَلَهُمْ بالنَّـــاكِثِينَ حَصَـــادُ
فَكَيْفَ يلذُّ العَيشُ عَفواً وقَدْ سَطَا   وجَـــارَ علـــى آلِ الرَّسُـــولِ زِيَـــادُ
تُـدَاسُ بِأقْـدَامِ العُصَـاةِ جُسُـومُهُمْ   وتَدْرُسُـــهُمْ جُـــردٌ هُنَـــاكَ جِيَـــادُ
تُضَــيمُهُمْ بالقَتْــلِ أُمَّـــةُ جَـــدِّهِمْ   سَـفَاهاً وعَـنْ مَـاءِ الفُـراتِ تُـذَادُ
فَلَهفِـي عَلـى قَتْلِ الحُسَيْنِ ومُسْلِمٍ   وخِـــزيٌ لِمَـــنْ عَاداهُمَـــا وبِعَـــادُ
ولهفِـــي عَلـــى زَيْدٍ وبَثّاً مُـــرَدَّداً   إذا حَـــانَ مِنْ بَـــثِّ الكَئِيْبِ نَفَـادُ

فكانت هذه الحادثة سبباً في تذكر الشاعر تميم ما حلَّ بأجداده حينها، فقد سقطوا قتلى على يد بني أُميَّة، فلا يجد بعد هذا التاريخ المؤلم طعماً للعيش والراحة إذا عفا عنهم، فهم – كما يدعي – جاروا على آل الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم–،

(١) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١٤٥.

وداسوا بسنابك الخيل جثثهم ومزقوها، ويستغرب تميم من أمة جدّه التي قتلتهم جوراً دون وجه حق، مظهراً أسفه وتحسره على مقتل الحسين ومسلم وزيد في النهاية.

٢،٢- رجال الدولة:

كان لرجال السلطة الفاطمية نصيبٌ مما نظمه الشعراء زمن الدولة الفاطمية، فكانوا مؤيدين عقائدياً كأَئمتهم من الخلفاء الفاطميين، لما لهم من دورٍ كبير في إدارة أُمور الدولة، ومساعدتهم للفاطميين على نشر مذهبهم الجديد.

وكان الوزراء والولاة حينها لا يقلّون شأناً عن خلفائهم من الفاطميين في إجزال العطايا والهبات على هؤلاء الشعراء المادحين والمؤيدين للمذهب الفاطمي دينياً ، إذ كان قد وصل الأمر بهم أَن يجروا المال لهم في كلّ شهر على شكل (رواتب)، ناهيك عن احتضانهم وتقريبهم من بلاط السلطة الحاكمة.

لقد لاحظ الباحث في مسألة تأييد رجال الدولة الفاطمية عقائدياً ومذهبياً قرب المكانة والصفات التي تجمع بين الخليفة الفاطمي وأعوانه، إذ نرى الشعراء يخصّونهم بصفات إسماعيلية فاطمية، مستنبطين ذلك من مذهب أَئمتهم، على أَنَّنا نرى في كثير من أشعارهم أَنَّ الوزير أَو قائد الجيش يصل إلى مرتبة الخليفة الفاطمي ويفوقها أَحياناً، وقد وصل الأمر ببعض هؤلاء الشعراء إلى حدٍّ المغالاة والخروج عن المألوف، في تأييدهم للولاة والوزراء، كما كانوا عليه في حديثهم عن بعض الخلفاء الفاطميين.

ويعدّ الشاعر ابن حيّوس، من أكثر الشعراء الذين أشاروا إلى ذلك، مؤيداً لسلطة الحاكم في بلاط الدولة الفاطمية، ومن هؤلاء الولاة الذين تناولهم ابن حيّوس في قصائده أمير الجيوش " الدِّزْبِري"، وهو وزيرٌ وقائد جيش حاز على ألقابٍ عدَّة في السلطة الفاطمية، وقد أعلى ابن حيّوس وتيرة مدحه، وخصّه بصفاتٍ لها علاقة بالمذهب الإسماعيلي الفاطمي، ووصل به ابن حيّوس إلى درجات المبالغة والغلو المعهودة في تأييد الشعراء عقائدياً للخليفة الفاطمي، ومن ذلك قوله [1]:

---

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٩٠.

كَأنَّـــكَ أَحكَمـــتَ رَيـــبَ الزَّمـــانِ   وسُـقْتَ إلـــى مـــا تَشَـــاءُ القَــدَرْ
وطاوعَـــكَ الـــدَّهرُ فَـــيمَنْ تُرِيْـــدُ   فَمَـن شِـئْتَ سَـاءَ ومَـنْ شِـئتَ سَـرْ
هَنَـــاكَ انفِـــرادُكَ بِـــالمُعْجِزَاتِ   ويَومُـــكَ ذا فَهـــوَ يَـــومٌ أَغَـــرْ
فَضَـــائِلُ لَـــمْ تُجْمَـــعْ فِـــي الـــورَى   فَسُـــبحَانَ جَامِعِهَـــا فـــي بَشَـــرْ
ولو خُلِـقَتْ قَبـــلَ أَنْ يَنـــزِلَ الـ   كِتـــابُ أَتى ذِكـــرُهَا في السُّـــورْ

الناظر في الأبيات السابقة يتبين المغالاة في ذكر صفاتٍ الخليفة الفاطمي لتأييده عقائدياً، فالشاعر يجعل من ممدوحه أمير الجيوش صاحب القدر والمتصرف في الأشياء، حتى أَنَّ الدَّهر لم يعانده في حكمه، فانفرد ممدوحه بالمعجزات، واجتمعت فيه فضائلٌ لم تكن في بشر قبله، لدرجة لو أَن الخليفة قد خُلق قبل نزول القرآن، لتحدّثت آياته عن صفاته.

ولعل هذا ما نأخذه على بعض الشعراء المغالين في أشعارهم أثناء مدحهم للوالي أو الوزير في السلطة الفاطمية، ولعل القارئ لا يفرق بين خليفةٍ ووزير، أو إمام فاطمي وقائد جيوش.

ويواصل ابن حيّوس في قصائده تأييد أمير الجيوش " الدِّزْبِري "، فهذا الأمير أَحيا دين الله بَعدَ أن غاب، ولقاء صنيعه هذا فقد عادى الله من عاداه، فحفظه الله كما حفظ هو دينه، واسترعاه للعباد [1]:

أَطلَعـــتَ ديـــنَ اللهِ بَعـــدَ أُفولِـــهِ   فَلِــذَاكَ عَـــادَى اللهُ مَـــنْ عَـــادَاكَ
فَكَلاكَ مَنْ ما زِلـــتَ تَكـــلأُ دينَهُ   ورَعَـــاكَ مَـنْ لِعِبَادِهِ استَـــرْعَاكَ

ويتناول الشاعر أمير الجيوش في قصيدة أخرى بذكر عقائد خاصة ولازمة للفرقة الإسماعيلية، فممدوحه أُوتي – كما يدعي ابن حيّوس – علم الغيب من الله – عز وجل –، ولم يكن علماً قد أخذه عن غيره، ويصفه بصفات الإمام الفاطمي كالتّقي، والعصمة عن الخطأ، ولولا الإقرار بأنه بشرٌ لقال عنه الناس جسمٌ تكوَّن من نور

---
(1) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٤١٨-٤١٩.

الهدى، على أن حاز فضل الأنبياء والرُّسل – عليهم السلام –، طالباً من الله بدعائه أَن يصلِّي عليه كما الأنبياء، وفي هذا مغالاة وإشراك بالله إلى حدٍّ كبير، إذ يقول (١):

ومَا هُوَ عِلمٌ عَن سِواكَ أَخَذتَه	ولكِن بَرَاكَ اللهُ لا شَكَّ مُلهَما
تَوخّى التُّقَى والعَدلَ فِعلُكَ كُلُّهُ	فَلَم تَقتَرِف إثماً ولَم تَجنِ مَحرَما
قَالوا أنَهُ شخصٌ قَضى النّاسُ أَنَّهُ	تَكَوَّنَ مِن نورِ الهُدَى وتَجَسَّما
لَقد حُزتَ فَضلَ الأَنبياءِ وهَديَهُ	فَصَلَّى عَليكَ اللهُ مَلكاً وسَلَّما

ويعلي ابن حيّوس تأييده أمير الجيوش مذهبياً، فالشعراء وإن غفلوا عن مدحه، يكفيه ما مُدِحَ به في القرآن الكريم، وما يذكر به في الصلاة والإقامة لها، والآذان، إذ يقول (٢):

ولَو لَمْ يَنظُمِ الشُّعراءُ مَدحَاً	لَكُمْ أَغنَتكُمُ سُوَرَ القُرآنِ
وفي ضِمْنِ الصَّلاةِ لَكُمْ صَلاةٌ	فَلاحٌ في الإقَامَةِ والأَذَانِ

ويصور ابن حيّوس أمير الجيوش مؤيداً من الله – عز وجل – بالنصر، فالملائكة تقاتل في جيشه لإيمانه، ويشبهه بعلي بن أَبي طالب – رضي الله عنه –، لما بنى من العزِّ والعلى بسيفه وعزمه، إذ يقول (٣):

نُصِرتَ مِنَ السَّماءِ وكانَ حَقَّاً	على الرَّحمنِ نَصرُ المُؤْمنينَا
وشِدتَ لِهاشِمٍ بِالسَّيفِ عِزَّاً	فَقَد أَشبَهتَ أَنزَعَها البَطينَا (٤)

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٥٦٠-٥٦١.
(٢) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٦٤٢.
(٣) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٦٦٦.
(٤) الأنزع البطين: هو علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه -.

وفي موطن آخر عند ابن حيّوس ضمن مدحه لأمير الجيوش، نراه يسبغ عليه معتقدات الإسماعيلية، فطاعة ممدوحه فرض على كل مسلم وواجبة، وذلك لأنَّه من الصفوة المنتخبة، إذ يقول [١]:

فَلْـيَهنَ مَـولاكَ أَنَّ دَوْلَتَـهُ ... تَنتَجِـبُ الصَّـفو ثُـمَّ تَنتَخِـبُ

أَولى الـوَرى أَنْ تَكُـونَ طَاعَتَهُ ... فَرضَـاً علـى كُلِّ مُسْلِـمٍ يَجِـبُ

ويراه الشاعر قد جاوز ملوك زمانه حميَّةً و" تَقيَّةً "، والتقية هي من معتقدات الفاطمية، إذ يقول [٢]:

فَاقَ المُلُـوكَ حَميَّـةً وتَقيَّـةً ... مَلِكٌ سَـرَتْ عَزَماتُـهُ وأَقَامَا

ويجعل ابن حيّوس أَمير الجيوش قائداً يظفَرُ ما يرغب به، إذ ذُكر ذلك في اللوح عند الخالق وحافظه، مؤكداً على فكرته بذكر المذهب الإسماعيلي ومقولتهم (جَفَّ القلم)، إذ يقول [٣]:

جَـرَى لَكَ فـي اللَّوحِ أَلاَّ عَزِيز ... يَعِـزُّ عَلَيكَ وجَـفَّ القَلَـم

ومن الوزراء الذين لم يغفلهم أَيضاً تأييد ابن حيّوس في شعره الوزير (اليازوري)[٤]، فيجعل فضائل ذكره هنا وسيرته ماحقة لذكر السابقين له، كما نسخ مجيء القرآن الكريم باقي الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل، إذ يقول [٥]:

نَسَخَـتْ ذِكرَهُمْ كَمَا نَسَـخَ الذِّكـ ... ـرُ الحَكِيـمُ التَّـوراةَ والإنجِيـلا

---

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص١٢٤-١٢٥.

(٢) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٥٩١.

(٣) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٥٤٨.

(٤) هو الوزير أبو محمد، الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري، ولد في بلدة يازور، وهي من أعمال الرملة بفلسطين، وإليها ينسب، وسكن الرملة وتولى الحكم فيها، اتصل بالمستنصر الفاطمي حاكم مصر فولاه الوزارة وجعله قاضي القضاة، ولقب أيضاً بسيد الوزراء، انظر ترجمته في: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٤، ص ٢١٤.

(٥) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٤٩٥.

ويصور ابن حيّوس سيرة وزيره اليازوري بالسائرة الباقية على كلِّ لسان، وكأنَّها سور قرآن باقية في ذلك، فيقول [1]:

ويَا صَاحِبَ السِّيَرِ السَّائِرا تِ تُتْلى وتَبقَى بَقَاءَ السُّوَرْ

ولعدله فقد أجرى الله القدرَ لما يشاءُ، إذ يقول [2]:

رَأى اللهُ عَدلَكَ فِي خَلقِهِ فَأَجْرَى عَلَى ما تَشَاءُ القَدَرْ

ويتّخذ ابن حيّوس من شعارات الاسماعيلية مصدراً لتأييد الوزير اليازوري، فيصفه "بالتقيّةِ"، فيقول [3]:

حَمِيَّةُ بَأسٍ قَدْ تَلَتهُ تَقِيَّةٌ فَطَالوا وَهُم بَدوٌ وطَابوا وَهُمْ حَضَرُ

وله في ذلك أيضاً [4]:

ولَقَدْ أَضَفْتَ إِلى التَّقيَّةِ هَيبَةً جَبَرَتْ عَدُوَّكَ أن يَذِلَّ ويَخْضَعَا

ويتحامل ابن حيّوس على بني العبَّاس وأُميَّة من خلال تأييده للوزير اليازوري، ويقول لو كان ممدوحه موجوداً في السابق لما هَضَمَ أَحدٌ حق أبناء فاطمة الزهراء – الفاطميين –، فيقول [5]:

قَد انطَوى زَمَنٌ عَزَّ الضَّلالُ بِهِ فَفَاتَ آلَ رَسولِ اللهِ حَقُّهُمُ
ولَو تَولَّيتَ أَولى الدَّهرِ أَمرَهُمُ لَم يَهتَضِمْ وَلَدَ الزَّهراءِ مُهتَضِمُ
حَوادِثٌ ورَّثَتْ مَروانَ ظَالِمةً خِلافَةً لَمْ يُخَلِّفهَا لهُ الحَكَمُ
وعَاوَدَتْ بِبَنِي العَبَّاسِ قَاهِرَةً بَنِي أُميَّةَ حَتَّى زَالَ مُلكُهُمُ

---
(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٣٧.
(٢) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٣٨.
(٣) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٧٧.
(٤) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٣٥٢.
(٥) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٦٢٢-٦٢٣.

ويؤكد الشاعر ابن حيّوس فكرته السابقة، وبالمعنى ذاته، ويجدد تحامله على بني أُميَّة من جديد، ولكن هذه المرَّة في مدحيّةٍ لناصر الدولة، الذي لو كان سيفاً لأبناء فاطمة في السابق لما جارت عليهم بني أُميَّة، وأوسعتهم قتلاً وجوراً، إذ يقول [1]:

لَو كُنتَ قِدماً سَيفَهُمْ لَمْ يَستَتِرْ ... أَبنَـــاءَ هِنْــدٍ مِـــنْ بَنِـــي الزَّهْـــرَاءِ

أَو كُنْــتَ نَاصِرَ حَقِّهِمْ فيمَا مَضَى ... ما حَـــازَهُ ظُلمَـــاً بَنُـــو الطُّلقَـــاءِ

ومن الشعراء الذين أيدوا رجال السلطة في الدولة الفاطمية أيضاً ابن هانئ الأندلسي، وهو لم يتناولهم في قصائد مدحه بما يوازي مدحه للخليفة المعز لدين الله لفاطمي حجماً، إلا أَنَّه لم يجعل بوناً بين درجة مدحهم وتأييدهم عقائدياً وتأييد الخليفة الفاطمي.

ومن هؤلاء الولاة الذين أَيدهم ابن هانئ في قصائده جعفر ويحيى ابني علي، وهم من أُمراء (الزَّاب) في المغرب الأوسط، ونبدأ بالأمير جعفر، فيؤيده ما دام الله – عز وجل – يؤيده، فالملائكة تقاتل إلى جانب جيشه وهي معلَّمة، إذ يقول [2]:

ولمَّـا تَجَلَّـى جَعْفَـرٌ صَـعِقَتْ لَـهُ ... وأَقْبَـلَ مِنْهَـا طُـورُ سَـيْنَاءَ يَنْهَـدُّ

شَهِـــدْتُ له أَنَّ المَلائِــــكَ حَولَهُ ... مُسَوَّمَـــةٌ واللهُ مِـــنْ خَلفِــــهِ رِدُّ

وله أيضاً في مدح جعفر بن علي قوله [3]:

وقَـد كَـانَ لـي مِنْـهُ شَـفيْعٌ مُشَـفَّعٌ ... بِــــهِ يمحــــقُ اللهُ الــــذُّنوبَ وَيَغفـــرُ

فَهَلْ يُقبَلُ الصَّومُ الذي أَنا صَائِمٌ ... لِبُعِـــديَ عَنـــهُ أو أُثـــابُ فـــأؤجَرُ؟

وإِنِّي لأَرجُـــوا أَنَّـــهُ مُتقَـــبَّلٌ ... لِشُكــرِي لَهُ فِيمـــا أُسِــرُّ وأُظهِـــرُ

فجعفر بن علي كان للشاعر ابن هانئ شفيعٌ له – كما يدعي – عند الله، فتمحى ذنوبه، ويغفر له الله بتلك الشفاعة، ويتساءل ابن هانئ : هل سيقبل مني صيام

---

(1) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص١٥.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١١٤.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٧٢-١٧٣.

شهر رمضان وأمنح أجره على الرغم من بعدي عنه؟، فيرجو ذلك من الله لما يبديه من شكرٍ لجعفر خفية وعلانية.

أما في تأييده ليحيى شقيق جعفر نرى المعاني ذاتها التي يسبغها على الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، ويقول لو كانت أَعمار الخلق مقسومة على قَدرِهم لخُّلد يحيى لجلال قدره، ويصف رجاء المرء بأَنَّه ضلالة إن لم يكن في الله ورأي يحيى المحمود، حتى الحكمة والموعظة لن تكون إلَّا في القرآن ومدحه في الشعر الذي يلهمه له، على أن المدح له لن يزيده رفعةً لما خص به من الكمال، وثناء الشاعر عليه شهادة لعلو قدره كما هي الشهادة والإقرار لله بالتوحيد، إذ يقول [1]:

أَوَما تَرى الأَعمَارَ لَو قُسِمَت على	قَــــدَرِ الكِــــرامِ لَفُــــزْتَ بِالتَّخلِيــــدِ؟
كُـلُّ الرَّجـاءِ ضَـلالَةٌ مَـا لَـمْ تَكُـنْ	فِــــي اللهِ أَو فــــي رأيــــكَ المَحمُــــودِ
لا حِكمَـــةٌ مَـــأثورةٌ مَـــا لَـــمْ تَكُـــنْ	فِـــي الـــوَحيّ أَو فـــي مَـــدْحِكَ المَســـرُودِ
لمَّـا مَـدَحْتُكَ كَـي أَزيـدَكَ سُـؤدَداً	هَـــلْ فِـــي كَمَالِـــكَ موضِـــعٌ لِمَزِيـــدِ؟
أُثْنِي عَلَيْكَ شَهادَةً لَكَ بِالعُلَـــــى	كَشَهَادَتِـــــــي للهِ بِالتَّـــــــوحيْـــــــدِ

ويغالي ابن هانئ في مدحه وتأييده للأمير يحيى بن علي، فيصفه – كما يدعي – سيّد الخلق، وداحر للباطل في حقِّه، وهو سيف إمام الهدى، ونصرة الإسلام، وكأَنَّ أقدار الناس وأَرزاقهم في تصرفه، ويغدو – في نظر ابن هانئ – حوض الله لمن أراد أن ينهل منه، فيقول [2]:

لِكُـــلِّ قَـــومٍ سَـــيِّدٌ مَاجِـــدٌ	لَكِـــــنَّ يَحْيَـــــى سَـــــيِّدُ الخَلْـــــقِ
يُصَـــرِّحُ المَجْـــدَ إذا مَـــا بَـــدَا	ويَسْـــــجُدُ البَاطِـــــلُ لِلحَـــــقِّ
فَـإنْ يَكُـنْ سَـيفَ إمضـامِ الهُـدَى	فَهُـــــو إمَـــــامُ الفَتْـــــقِ والرَّتْـــــقِ
كأَنَّمَـــا فِـــي كَفِّـــهِ لِلـــوَرَى	مَفَـــــاتِحُ الآجَـــــالِ والـــــرِّزْقِ
الحَـــوضُ حَـــوضُ اللهِ في كَفِّهِ	يَطْفَـــحُ مِـــنْ مَلءٍ ومِـــنْ فَهْـــقِ

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص ١٢٧-١٢٨.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٤٧.

ويتناول ابن هانئ ممدوحه يحيى في قصيدة أخرى، ويؤيده لما هو عليه من علمٍ بخفايا الأُمور، ويقرن رضاه برضى الدنيا، وسخطه بسخطها، حتى جعل ابن هانئ من يحيى وفضائله حقّاً سيقوله أَمام الله يوم القيامة، يقول [١]:

ولَو عَلِمَ النَّاسُ الخَفِياتِ مِثْلَهُ ... لمَا كَانَ فِي الأَرْضِ العَرِيضَةِ جَاهِلُ
رِضَاك رِضَى الدُّنْيَا إِذا هِيَ أَقبَلَتْ ... وسَخْطُكَ سَخْطُ الدَّهرِ والدَّهرُ غَائِلُ
وأُقْسِمُ مَا فِي غَيرِ نَفسِكَ مِنَّةٌ ... لِمَجدٍ ولا فِي طَبْعِ غَيْرِكِ نَائِلُ
بِهَذا أُلاقِي الله يَومَ لِقَائِهِ ... وهَذا هُو الحَقُّ الذِي أَنا قَائِلُ

ومن رجال السلطة الفاطمية المؤيدينَ عند ابن هانئ أَبو الفرج الشَّيباني، وقد خصَّه الشاعر بنزرٍ من القصائد يمدحه بها، ويمجد أَفعاله، ويذكر أَفضاله، فهو كما يرى مؤيدٌ باختيار الله له، لذا يشهد له الشاعر بالعلو والرفعة كما يشهد بوحدانية الله والأَزل، يقول [٢]:

مُؤَيَّدٌ بِاخْتيَارِ اللهِ يَصْحَبُهُ ... ولَنْ تَرَى فِي اختيَارِ اللهِ مِنْ خَلَلِ
فَتَى شَهِدَتْ لَهُ بِالمَعْلُوَاتِ كَمَا ... شَهِدْتُ للهِ بِالتَّوحِيْدِ والأَزَلِ

ولإسناد رأي الباحث في قضية جعل الخليفة الفاطمي ورجال دولته في درجة واحدة من المدح والتأييد أحياناً عند بعض الشعراء، نرى أن البيت الأخير في الشيباني والمشهود له بالمعالي، يتوافق وبيتٍ قاله ابن هانئ في قصيدة مدحٍ في الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، والذي يقول فيه [٣]:

فَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِالمَعْلُوَاتِ كَمَا ... شَهِدتُ للهِ بالتَّوحيدِ والأَزَلِ

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٣٠-٣٣٢.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣٤٠.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٣١٠.

ويقارب ابن هانئ بين منزلة ممدوحه الشيباني والخليفة المعز لدين الله الفاطمي، حتى في أمور القضاء، وتصريف الدهر، فيؤيده قائلاً (١):

جَرَى القَضَاءُ بِمَا يَنوي فَلا تَعَبٌ ... إنَّ القَضَـاءَ عِنانٌ غَيْـرُ مَثْنِـيّ
يُصَـرِّفُ الدَّهـرَ يَنْهَاهُ ويَأمُرُهُ ... فَدَهـرُهُ بَيْـنَ مَأْمـورٍ ومَنْهِيّ

وليس من الغريب أن نرى شاعر العترة الطاهرة، وراثي آل البيت الملك الصالح الوزير طلائع بن رُزِّيك مؤيداً عند بعض الشعراء، فهو شاعرٌ قال من الشعر في تمجيد الفاطميين والدفاع عنهم طيلة فترة ملازمته لهم، وكان يهتم بالشعر جرّاء موهبته، ومن الشعراء الذين تعرضوا لتأييده في السلطة عُمارة اليمني، إذ يقول (٢):

لَولا الوزيرُ أَبو الغَاراتِ ما خَفَقَتْ ... لِلنَّصرِ فـي القَصْرِ رايَـاتٌ ولا عَـذَبُ
ولا اعْتَـزَى لِعَلِـيٍّ عِنـدَ نَازِلَـةٍ ... مِـنَ القَبِيْلَـينِ لا عُجْـمٌ ولا عَـرَبُ
وأَيَّدَ اللهُ دِيـنَ الحَـقِّ مِنْكَ بِذِي ... يَدٍ لهَا في الـوغَى التَّأييـدُ والغُلـبُ

وهذه الأبيات من قصيدة قالها عُمارة اليمني في مدح الإمام الفاطمي، الفائز بنصر الله ووزيره الملك الصالح طلائع، ويعزو النصر فيها لهذا الوزير، إذ إنَّه مؤيدٌ من الله –عز وجل – في ساحات الوغى.

وقال الشاعر حسان بن نمير، الملقب (بعرقلة الكلبيّ) قصيدة في مدح طلائع ابن رُزِّيك، حيث يشير من خلالها إلى تشيعه للمذهب الفاطمي التابع لسبط الرسول – صلى الله عليه وسلم – الحسين بن علي – رضي الله عنه –، ويقول بأَنَّ طلائع قد تفوق على عبد الملك بن مروان الخليفة الأُموي، ولعل في ذلك إشارة إلى حادثة كربلاء، فطلائع مؤيد بنصر الله – عز وجل –، وحظي بإمامه الفاطمي الفائز بنصر الله الذي أصبح منارة شيعة التوحيد، ويشير عرقلة في أبياته أيضاً إلى بعض العقائد المتعارف عليها عند أَئمّة الإسماعيلية، فهم صفوة من محمد – صلى

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٤٣٦.
(٢) اليمني، عُمارة، النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص١٧٠-١٧١.

الله عليه وسلم –، وعلي بن أَبي طالب – رضي الله عنه –، وقد ورثوا الإمامة في ذلك [1]:

أَنـا مِـنْ شِـيعَةِ الإِمَـامِ حُسَـيْن	لَسْـتُ مِـنْ سُـنَّةِ الإِمَـامِ وَلِيـدِ
مَـذْهَبِي مَـذهَبٌ ولكِنَّنِـي فِـي	بَلْـدَةٍ زُخرِفَـتْ لِكُـلِّ بَلِيْـدِ
غَيْـرَ أَنَّ الزَّمَـانَ فيهَـا أَنيْـقٌ	تَحْـتَ ظِـلٍّ مِـنَ الغُصُـونِ مَديـدِ
وريَـاضٍ مِـنَ البَنَفسَـجِ والنَّـرجِسِ	قَـدْ عُطِّـرَتْ بِمِسـكٍ وعُـودِ
كَثَنَـا الصَّـالحِ بِـنْ رُزِّيـك فـي كُـلِّ	قَريْـبٍ مِـنَ الـدّنى وبَعِيْـدِ
مَلِـكٌ لَـمْ تَـزَلْ ثِيَـابُ عِـدَاهُ	فِـي حِـدَادٍ وثَوبُـهُ مِـن حَدِيْـدِ
ولَـهُ نَاصِـرٌ مِـنَ اللهِ فِـيهمْ	مِثْلَمَـا بُخْـتُ نُصِـرَ فِـي اليَهُـودِ
فَـازَ بِالفَـائِزِ الإِمَـامِ الـذِي	أَصْـبَحَ مِصْـبَاحَ شِـيْعَةِ التَّوحيْـدِ
صَـفْوَةٌ مِـنْ مُحَمَّـدٍ وعَلِـيٍّ	لَـيْسَ مِـنْ سَـعْدِهِمْ ولا مِـنْ سَـعِيْدِ
وَرِثَ المُلكَ لا كَمَـا زَعِـمَ	الغَيْـرُ وخَلَّى مَا قِيْلَ فِـي دَاوودِ

٣،٢- أَثَر القرآن في الشعر:

لقد سعى الشعراء إلى البحث في مختلف المصادر التي من شأنها تأييد ما يأتي به الشعراء من أدلة وبراهين تدعم السلطة الفاطمية في حقها في الخلافة، وكذلك تؤكد صحة عقائدهم ومذهبهم، حيث تكون هذه الأَدلة مصدراً يستمد منه الشعراء مادتهم وموضوعاتهم الشعرية.

وفي هذه الدراسة تبين للباحث من خلال قراءة قصائد الشعراء المؤيدين للسلطة الفاطمية مذهبياً، مدى تأثرهم بألفاظ القرآن الكريم، فقد عملوا على توظيف آياته وتضمينها في أَشعارهم تأييداً للخليفة الفاطمي، ورجال دولته، وفقاً لتفسيرهم وتأويلهم.

وقد بَرعَ ابن هانئ شاعر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في هذا الجانب، ولعل هذا دليلٌ واضحٌ باطلاع الشاعر على سور القرآن الكريم، على الرُّغم من وصوله إلى درجة الإلحاد والكفر في تأييده للسلطة الفاطمية كما مرَّ سابقاً، ولكن

([1]) الكلبيّ، عرقلة "حسَّان بن نمير"، الديوان، تحقيق أحمد الجندي، دار صادر- بيروت، (د.ط/ت)، ص٣٣-٣٤.

يقرّ الباحث هنا بتفوق ابن هانئ وغيره من الشعراء في دقة اختيار المناسب من آيات القرآن الكريم، وتوظيفها في المكان المناسب لخدمة صورهم الفنيَّة، والمؤدية في النهاية إلى إظهار جانب التأييد عندهم لمعتقدات السلطة الفاطمية.

ونبدأ في هذا الصدد بالشاعر ابن هانئ، ففي قصيدة قالها في مدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في القيروان، يذكّره في فتح مصر على يد قائد الجيوش جوهر الصقلي، يوجه ابن هانئ خطابه لأعداء الدولة الفاطمية من العباسيين، ويتوعدهم بالثأر القادم من أَحفاد الحسين بن علي بن أَبي طالب – رضى الله عنهما–، فيصورهم كالنار الخامدة المطفأة بعد اشتعالها، وهو بذلك مقتبس من قوله تعالى: { فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعوَاهُمْ حَتَّى جَعَلنَاهُمْ حَصِيْدَاً خَامِدِيْن }(1)، حيث يقول ابن هانئ في ذلك (2):

فَكُونوا حَصْيداً خــامِدِيْنَ أَو ادَّعــوا ... إِلــى مَلِكٍ في كَفِّــهِ المَوتُ والنَّشْرُ

ولـه في مثل هذا المعنى والاقتباس أَيضاً، (3):

هَــلْ للدُّمُسْتُقِ بَــعْدَ ذَلِكَ رَجْعَــةٌ ... قُضِــيَتْ بِسَيْفِــكَ مِنْهُمْ الأَوطَـارُ!

أَضْحُــوا حَصِيْدَاً خَــامِدِيــنَ وأَقْفَرَتْ ... عَـــرَصَــاتُـهُـمْ وتَعَطَّلَــتْ آثَــارُ

وقد قيلت هذه الأبيات في قصيدة مدح للخليفة المعز لدين الله الفاطمي، حيث أَظهر من خلالها ابن هانئ أَقصى درجات المبالغة في مدح ذلك الخليفة، وهو في هذا الموضع – كما يرى الباحث – قد أَوقع نفسه في دائرة الكفر والالحاد، وقد بدأها بقوله (4):

مَــا شِئْــتَ لا مَــا شَاءَتِ الأَقْدَارُ ... فَاحْكُمْ فَــأَنْتَ الواحِــدُ القَهَّارُ

ويعلي ابن هانئ من أَبناء الخلافة الفاطمية، ويتابع في هذه القصيدة قوله (5):

لو تَلْمِسونَ الصَّخْرَ لانبَجَسَتْ بِــهِ ... وتَفَجَّــرتْ وتَدَفَّقَـتْ أَنْهَــارُ

ففي البيت السابق يؤيد ابن هانئ خلفاء الدولة الفاطمية، ويضمّن لوصفهم من معجزات الأنبياء التي ذكرت في القرآن الكريم ما يخدم ذلك، فهم لو لامسوا الصّخر

---

(1) سورة الأنبياء، آية ١٥.
(2) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٣٧.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٨٤.
(4) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٨١.
(5) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص ١٨٦.

الصّلدم، لانفجرت منه ينابيع الماء وتدفقت، وهو بذلك يقتبس من معجزة نبي الله سيدنا موسى – عليه السلام –، إذ قال تعالى في الذكر الحكيم: { فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَاً } [١].

وفي موضع آخر يتأثر ابن هانئ بآيات القران الكريم، ففي إحدى مدحياته للأمير جعفر بن علي الأندلسي، نراه يؤيده لأَنَّه صاحب الحقّ الظاهر للعيان، وهذه الحقيقة تدحض الباطل، وهو بذلك مضمناً قوله تعالى: { الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ } [٢] وقوله تعالى: { زُهِقَ البَاطِلُ } [٣]، إذ يقول [٤]:

يا مَشْرِفـــيُّ اشهَـــدْ لَـــهُ مِنْ بينهِمْ　　　يا بـــاطِـلُ يـــا حَقِيْقَةُ حَصْحِصِـــي!

وقد نظم ابن هانئ قصيدة مدحٍ في قائد الجيوش الفاطمية جَوْهر الصّقلي، وفي هذه القصيدة يذكر ابن هانئ توديعه له وتشييعه إياه، ويصف حال الناس وما أَصابهم من اضطهادٍ بسبب سوء حكامهم، وجرّاء ذلك يقبلون إِليه مسرعين خاضعين ليخلصهم مما هم عليه، وذلك فيه تضمين قوله تعالى: { مُهْطِعِينَ إِلى الدَّاعِي } [٥]، فيقول [٦]:

وإنَّ بِـأَهلِ الأَرضِ فَقْـــراً وفَـاقَــةً　　　إِلــيْكَ فَكُـــلُّ النَّـــاسِ آتيْكَ مُـهْطِعُ

فابن هانئ يشرك معه الناس في وجوب طاعة القائد، وكأَنها فرض لا يمكن تجاهله.

ومما قاله ابن هانئ في مدح الامير جعفر بن علي الأندلسي أيضاً قوله [٧]:

فَسَـــارَ وسَـارَتْ خَلفَهُ وأمــــامَهُ　　　غَمــائِمُ نَصْــرٍ تَحْتَهُنَّ شُـــــروقُ

وتِسْعَــةُ الآفٍ عَلَيْهَـــا عَجَاجَةٌ　　　مُسَـــوَّمَـــــةٌ رَايـــاتُـهُنَّ خُفُـــوقُ

---

(١) سورة الاعراف، الآية ١٦٠.
(٢) سورة يوسف، الآية ٥١.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٨١.
(٤) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٩٢.
(٥) سورة القمر، الآية ٢٥.
(٦) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٠٧.
(٧) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٥٢.

فالممدوح هنا مؤيد بنصر الله – عز وجل–، فالملائكة تقاتل في صفوف جيشه، وهي معلّمة في أَرض المعركة، وهنا يبدو أَنَّ ابن هانئ يقتبس من قوله تعالى: { يَمْدُدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ الآفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوَّمِيْنَ } (1).

وفي مدحه للخليفة المعز لدين الله الفاطمي، يؤيد ابن هانئ تواضع هذا الخليفة، ويقول بأن مرتبة الخلافة وما تحويه له من رفعة وتبجيل، لم تثنه عن الخشوع في الأرض، فيطلب مادحه من الناس أَن يقتدوا به، وذلك لأنه سيصبح في خُلْقِهِ هذا سُنَّةً لغيره من الأَئِمَّة، يُشكر عليها كلّ حين، مستمداً هذا المعنى من قوله تعالى: { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيْلَا } (2)، إِذ يقول ابن هانئ (3):

لَـمْ يُثْنِـهِ عِـزُّ الخِلافَـةِ والعُلـى	**والمجْـــدُ والتَّعظـــيْمُ والتَّبْجيْـــلُ**
بَـيْنَ المَواكِـبِ خَاشِـعاً مُتَواضِـعَاً	**والأَرضُ تَخْشَـــعُ بِـــالعُلَى وتَميْــلُ**
فَتَيمَّمُـــوا ذاكَ الصَّـــعِيدَ فإِنَّـــهُ	**بِالمِسْـــكِ مِـــنْ نَفَحاتِـــهِ مَعْلُـــولُ!**
سَيَصيرُ بَعْـــدَكَ للأَئِمَّـــــةِ سُنَّةً	**في الشُّكْــــرِ لَيْسَ لِمِثْلِها تَبْديـــــلُ**

ويُظهر ابن هانئ أيضاً تأييده لسياسة ممدوحه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، متأثراً بآي الذكر الحكيم: { لِتَزُوْلَ مِنْهُ الجِبَالُ }(4)، دامجاً بين تأييد سياسته وهيبته، فالمعز تكاد الجبال تتزلزل لسطوته وهيبته – كما يرى ابن هانئ – ، (5):

واستَشْـعَرَتَ أَجْبَـالُهَا لَكَ هَيبَـــةً	**حَتَّـــى حَسِبْنَـــا أَنَّـــهَـا سَـــتَزُولُ**

ويُطالعنا الشاعر ابن حيّوس أَيضاً في هذا السياق متأثراً بألفاظ القرآن الكريم، فيقتبسُ منه لتأييد ممدوحه في عقيدته، فهو في البيت التالي يصور أمير الجيوش "الدِّزْبري" مؤيداً بنصرٍ من السماء، وكأَنَّ ذلك النصر حقّاً من الله للمؤمنين أَمثال هذا القائد، وذلك فيه تضمين قوله تعالى: { وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِيْنَ }(6) فيقول ابن حيّوس (7):

---

(1) سورة آل عمران، الآية ١٢٥.
(2) سورة الأحزاب، الآية ٦٢.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٨٥.
(4) سورة إبراهيم، الآية ٤٦.
(5) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٩٣.
(6) سورة الرُّوم، الآية ٤٧.
(7) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص٦٦٦

نُصِــــرْتَ مِــنَ السَّــمَاءِ وكَانَ حقّاً   عَلَـــى الـــرَّحمَنِ نَصْــرُ المُؤمِنيْنَـا

وفي إحدى مدحيات ابن حيّوس، نراه يؤيد " فخر الدولة "[١]، وهو نقيب نقباء الطالبين في مصر، ويعدُّ الطالبيون من سلالة بني فاطم، لذا نراه يؤيده في الأبيات التالية في مذهب أهل بيته، فممدوحه متصل النسب – كما يدعي ابن حيّوس – بالنبي محمد – صلى الله علية وسلم –، وأهل بيته خلقهم الله من طينة مسكية تمتاز عن طينة باقي البشر، ويشير ابن حيّوس في هذه الأبيات إلى ردّه على شاعر بني العبَّاس، مروان بن أَبي حفصة [٢]، الذي رفض في مهاجمته للخلفاء الفاطميين أَن تكون الإمامة ووراثتها فيهم من جانب البنات، وهو يقصد هنا فاطمة الزهراء –رضى الله عنها –، فيردّ عليه ابن حيّوس متأثراً بقوله تعالى: { وَأُوْلُوْا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيْمُ } [٣]، فيقول [٤]:

خَـصَّ الإلاهُ مُحَمَّـداً مِـنْ بَيْـنَكُمْ   لا زَالَ مَحْروسَـــــــاً بِــــــأَكْرَمِ آلِ

ويَـــرَاكُمُ مِـــنْ طِينَـــةٍ مِسْـــكِيَّةٍ   لمَّـــا بَـرى ذَا الخَلْـقِ مِـنْ صَلْصَـالِ

وأَبـو الرَّسـولِ فَجَـدُّكُمْ أَولـى بِـهِ   مِـــنْ دُونِ إخوتِـــهِ بِـــلا إِشْـــكَالِ

أَنَّـى يَكُـونُ شَـرِيكُهُ فـي عَمِّـهِ   كَشَـــرِيكِهِ فـــي عَمِّـــهِ والخَـــالِ

نَسَـــــبٌ بَنُوا العلَّاتِ عَنْهُ بِمَعْزَلٍ   وبِذَاكَ تَقْضِـــي سُـــورَةُ الأَنْفَـــالِ

ومن الشعراء الذين تأثروا بالقرآن الكريم في هذا الجانب الشاعر الشيعيّ المذهب الشيرازي، فالمتأمل في ديوانه تكاد عينه لا تقع على قصيدة إلَّا وبها اقتباس من الذكر الحكيم، ولعّل ذلك إن دلّ على شيء فإنَّه يدل على سعة اطلاع هذا الداعية على القرآن الكريم، فهي كثيرة يصعب حصرها في هذا السياق.

---

(١) هو الشريف أبو يعلي حمزة بن الحسن بن العباس بن أَبي الحسن، ولد سنة(٣٩٦)هـ، تولى النقابة في مصر، ولاه الظاهر بن الحاكم الفاطمي قضاء دمشق، توفي سنة(٤٣٤)هـ، انظر ترجمته في: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤، ص٤٤٢.

(٢) ابن أَبي حفصة، مروان، الديوان، تحقيق حسين عطوان، دار المعارف-القاهرة، ط٣، (د.ت).

وهو شاعر عباسي، صاحب هذه الأبيات التي جاء ابن حيّوس ليـــردّ عليها:

* أَنَّى يَكُـــونُ ولَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ   لِبَنِي البَنَـــــاتِ وِرَاثةُ الأَعْمَـــامِ

* ما للنِّسَاءِ مَع الرِّجَالِ فَرِيْضَةً   نَزَلـــتْ بِذَلِكَ سُـــورَةُ الأَنْعَـــامِ

(٣) سورة الانفال، الآية ٧٥.

(٤) ابن حيّوس، الديوان، ج٢، ص ٥٠٢.

ومن شواهد هذا التضمين عند الشيرازي لتأييد خلفاء بني فاطم في مذهبهم، قوله في مدح الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، واصفاً رميه لأعدائه وحاسديه وكأنه رميٌ من الله – سبحانه وتعالى –، متأثراً بقول العزيز الحكيم: { فَلَمْ تَقْتُلُوْهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى } (1)، فيقول في ذلك الشيرازي، (2):

رَمَيْتَ بِالخِزْيِ حَاسِدِيْكَ ومَا رَمَيْتَ لكِنَّمَا الإِلهُ رَمَى

ويتعاطف الشيرازي مع الخلفاء الفاطميين الذين ذاقوا الألم والحزن بمقتل الحسين سبط رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ويتوعد واتريهم بعذاب جهنم وبئس المصير، مضمناً قوله تعالى: { وَلِلَّذِيْنَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيْر } (3)، فيقول الشيرازي (4):

فَأَرَواحُهُمْ فِي عَذَابِ السَّعِيْرِ بِمَا كَسَبُوا ولبِئْسَ المَصِيْرُ

ويصور الشيرازي فعلة من قتل الحسين بن علي – رضي الله عنهما – كفعلة شيطانٍ اغترَّ بما فعل، وفي ذلك تضمين لقوله تعالى: { يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوْا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وغَرَّكُم بِاللهِ الغَرُوْرُ } (5)، فيقول (6):

ومَا وَجْهُ فِعْلِكُمْ ذَا بِهِ لَقَدْ غَرَّكُمْ بِالإِلهِ الغَرُورُ

---

(1) سورة الأنفال، الآية ١٧.
(2) الشيرازي، الديوان، ص٢٥٠.
(3) سورة الملك، الآية ٦.
(4) الشيرازي، الديوان، ص٢٥٨.
(5) سورة الحديد، الآية ١٤.
(6) الشيرازي، الديوان، ص٢٥٧.

٢،٤- شعر المعارضة:

قبل أن نختم هذا الفصل من هذه الدراسة، لا بد من إشارة يود الباحث أَن يوردها، فعلى الرغم من كثرة الشعراء المؤيدين للخليفة الفاطمي وسلطته في إدارة أُمور الدولة، لم يعثر الباحث على كم يوازي هذا الجانب من الشعراء المعارضين، ولعل لهذه الحلقة المفقودة أسباب تبينت للباحث من خلال تصفح جوانب هذه الدولة العقائدية بمذهبها وفكرها.

ومن هذه الأسباب - كما يرى الباحث - حزم السلطة الفاطمية وسطوتها آنذاك، فهي دولة ذات أَبعاد عقائدية وليست سياسية فحسب، لذا كان من اللازم لتوطيدها وتوسيع آفاقها اتباع سياسة الحزم والشدة في رعاية الناس، لذا يتصور الباحث أَنَّ هذا من تلك العوائق التي تفسر قلة الشعراء المعارضين لأَئمة الدولة الفاطمية في مذهبهم أَو غير ذلك.

ويرجِّح الباحث سبباً آخر من الممكن أَن يكون له الأَثر في ذلك، وهو إغداق العطايا والمال، وجزيل الهبات على الشعراء المؤيدين للخلافة الفاطمية من قبل الخلفاء ورجال السلطة في الدولة، فالدولة الفاطمية لما عرف عنها بوفرة الأموال لدى خلفائها ورجال سلطتها، يبعث ذلك على جذب البعض من هؤلاء الشعراء.

وبعد طول بحث واستقصاء في هذا الجانب، وقع بين يدي الباحث بعض الشواهد القليلة التي تدور في محور معارضة الشاعر للدولة الفاطمية وخلافتها من الجانب المذهبي، ونبدأ بالشاعر (الفزَّاري)[١]، فقد كان في طليعة المعارضين لبني عبيد الفاطميين، وصبَّ عليهم جام غضبه وتحامله على ما يدّعون في مذهبهم، فهو يراهم عبيداً لملوكهم، تابعين لغواية الشيطان في سياستهم ومعتقداتهم، معتقدين أنه سيخلصهم من عذاب الله - عزّ وجل -، وقد ابتعدوا عن سنَّة صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كأبي بكر والفاروق عمر - رضي الله عنهما -، واتّبعوا دعاتهم المضللين، مثل أَبي أَسود، وأَبي قدارة وتميم، ويصاب الفزاري بشدة العجب لذلك، فيتساءل: أَهم يهود؟ أَم نصارى؟، أَم مجموعة دهريَّة تؤمن بقدم

(١) هو الشاعر محمد أَبو القاسم بن عامر بن إبراهيم الفزَّاري، من أهم شعراء القيروان، حيث ولد فيها، وهو سنِّيُّ المذهب، انظر ترجمته في: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، نشر وتحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف- القاهرة، ١٩٥٤م، ط٢، ص٢٥٠.

العالم؟، أَم هم صابئة عبدوا النجوم والكواكب؟، أَم زنادقة رموا بشرائع الله عرض الحائط؟، واعتقدوا أَلَّا حساب ولا عذاب، ولا جنّة أَو نار، ويرى الفزاري أَن عقيدتهم التي جاءوا بها ليست سوى خليط من عدة مذاهب، صاغوها في قالب واحد، وشكَّلوا على أثرها هذا المذهب الخاطئ، وفي النهاية يدعو الفزاري عليهم باللعنة وسوء العاقبة، إذ يقول (١):

عَبَـدوا مُلوكَــــــهُمْ وظَنُّـوا أَنَّهُـمْ	نَــالوا بِهِـمْ سَـبَبَ النَّجَـاةِ عُمومَـا
وتَمَكَّـنَ الشَّـيطَانُ مِـنْ خَطَــواتِهِمْ	فَــأَراهُمُ عِــوجَ الضَّــلالِ قَويمَــا
رَغِبُـوا عَـنِ الصِّـدِّيقِ والفَـارُوقِ فِـي	أَحكَــامِهِمْ لا سـلَّمُوا تَسـلِيْمَـا
واسْـتَبْدَلوا بِهِمَـا ابـنَ أَسـودِ نَابِحَـاً	وأَبَــا قــدارَةَ واللَّعِيْــنَ تَمِيْمَـا
تَبِعُـوا كِــلابَ جَهَـنَّمٍ وتأَخَّــروا	عَمَّـن أَصَــارهُمْ الإلــهُ نُجُـومَـا
يـا لَيـتَ شِـعْرِي مَـنْ هُـمُ إن حَصَّـلوا	دُنيـا ومـن هُـم إنْ عَـدَدْتَ صَـميْمَا؟
أَمِـنَ اليَهـودِ أَمْ النَّصَــارى أَمْ هُـمُ	دَهرِيَّـةٌ جَعَلـوا الحَــديثَ قَـديمَا؟
أَمْ هُـمْ مِـنَ الصَّـابِيْنَ، أَمْ مِـنْ عُصْـبَةٍ	عَبَـدُوا النُّجـومَ وأَكْثَـروا التَّنْجِيْمَـا
أَمْ هُــمْ زَنَادِقَــةٌ مُعَطِّلَــةٌ رَأَوا	أَنْ لا عَــذَابَ غَــداً ولا تَنْعِيمَـا
أَمْ عُصْبَــةٌ وثَنِيَّــةٌ قَـدْ عَظَّمـوا	النُّوريــنِ عَـنْ ظُلُمَـاتِهِمْ تَعْظِيمَـا
مِـنْ كُـلِّ مَـذهَبٍ فِرقَـةٍ مَعلومَــةٍ	أَخَـذوا بِفَــرعٍ وادَّعــوه أَرومَـا
سُـبْحانَ مَـنْ أَبلـى العِبَـادَ بِكُفـرِهِمْ	وبِشِـركِهِمْ حِقَبـاً وكَـانَ رَحيْــمَا
يَا ربّ فَالعَنْهُـــمْ ولَــقِّ لَعِينَــهُمْ	بِأَبــي يَزِيْدَ مِــنَ العَــذابِ أَلِيْـمَا

وللشاعر الفزاري أَيضاً في ذمّ الفاطميين، ومعارضة مذهب خلفائهم، قوله (٢):

عَـجِبْتُ لِــفِتنَةٍ أَعْمَــتْ وعَمَّــتْ	يَقـومُ بِهَـا دَعــيٌّ أَو كَفُــورُ
تَزَلزَلَــتْ المَـدَائِــنُ والبَــوادِي	لهَــا وتَلَوَّنَـتْ فِيْهَــا الـدُّهُــورُ
وضَــاقَتْ كُــلُّ أَرْضٍ ذات عَــرْضٍ	ولَـــمْ تفنَ الـمَعَاقِــلُ والقُصُــورُ

---

(١) المالكي، أبو بكر عبدالله، رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، مكتبة النهضة العربية-القاهرة، ١٩٨٣م، ج٢، ص٤٩٤-٤٩٥.
(٢) المالكي، أبو بكر عبدالله، رياض النفوس، ج٢، ص٤٩٤.

فَنَجَّى القَيْروانَ وسَاكِنيْهَا   إلهٌ دَافِعٌ عَنْهَا قَدِيرُ
أَحَاطَ بِأَهلِهَا عِلماً وخُبراً   ومِيزاً مَا أَكَنَّتْهُ الصُّدورُ
وجَلَّلَهُمْ بِعَافِيَةٍ وأَمْنٍ   وأَسْبَلَ فَوقَهَا سِتراً وفيرُ
وأَثْبَتَ جُلَّةَ العُلمَاءِ فِيْهَا   بِحَارٌ لا تُعَدُّ ولا بُحورُ
وفِيهَا سَادَةُ العُلمَاءِ قِدْمَاً   إذا عُدُّوا ولَيسَ لَهُمْ نَظِيرُ
وفِيْهَا القَومُ عُبَّادٌ خِيارُ   فَقَدْ طَابَ الأَوائِلُ والأَخِيْرُ
هُمُ أَفتَكُّوا سَبَايَا كُلِّ أَرضٍ   وفَادوا مَا استَبَدَّ بِهِ المُغيرُ
كَفَيناهُمْ عَظَائِمَهَا جَميعَاً   فَزَالَتْ عَنْهُمُ تِلكَ الشُّرورُ
وسَكَّنَّا قُلوبَاً خَافِقَاتٍ   أَمَاتَ عُروقَهَا ضَرٌّ ضَرِيرُ
وآوينَا وآسَينَا وكُنَّا   لَهُمْ أَهلاً وأَكثَرُهُمْ شَطيْرُ
فَبَاتَ طَعَامُنَا لَهُمْ طَعَاماً   هُنَاكَ ودُورُنَا للقَومِ دُورُ
وكَانَ لنَا ثَوابُ اللهِ ذُخْراً   وقَامَ بِشَكْوِنَا مِنهُمْ شَكُورُ
ولَولا القَيْرَوان وسَاكِنُوهَا   لَغَابَ طَعَامُهُمْ والمُخُّ رِيرُ
ولَيْسَ لنَا كَمَا لَهُمُ حُصونٌ   ولا جَبَلٌ أَعَالِيهِ وعُورُ
ولا سورٌ أَحَاطَ بِنَا ولَكِنْ   لنَا مِنْ حِفْظِ رَبِّ العَرشِ سُورُ
ولا نَأْوي إِلَى بَحْرٍ وإنَّا   إذا قَضَى القَضَا تُنحَى البُحُورُ
ولكِنَّا إِلَى القُرآنِ نَأْوي   وفِي أَيمَانِنَا البيضُ الذُّكُورُ
عَقَائِقُ كَالبَوارِقِ مُرهَفَاتٌ   بِهَا تُحْمَى الحَرائِمُ والثُّغُورُ
وسُمرٌ فِي أَعَالِيهِنَّ شُهْبٌ   بِهَا ظَمَأ، مَوارِدُهَا النُّحُورُ

وإِنَّــــا بَعْــدُ مِــــــنْ خَــــوفٍ وأَمنٍ نُـــحِبُّ إِذا تَشَعَّثَــــــتْ الأُمُـــــورُ

رَســــولَ اللهِ والصِّدِّيـــــقَ حُبَّــــــــــاً بـــــِهِ تُرجَـــــى السَّعادَةَ والحُبـــــورُ

ويَعدَهُمَــــــا نُحِبُّ القَـــــومَ طُـــــــــرَّاً ومَـــــا اختَلَفُـــوا فَرِبُّهُـمُ غَفــــورُ

أَلا بِأَبِـــي وخَــــالِصَتـــي وأُمِّـــــــي مُحَمَّـــــــد البَشِيْـــرُ لنَــا النَّــــذِيرُ

سَـــأَهدِي مَـــــــا حَيِيْــــتُ لَـــهُ ثَنَاءً مَـعَ الرُّكبَــانِ يَنجِـــــدُ أَو يَغُــــورُ

فالشاعر في القصيدة السابقة يبيّن مذهبه السُّنيّ الذي ينتمي إليه، ويرى أن ما جاء به الفاطميون ليس سوى فتنة من مدعٍ لها وكافر، أصابت البلاد وأعملت فيها الظَّلال والفساد، ولكن الله – عزَّ وجل – حمى هذه البلاد، وكان أهلها لا يسلكون إلّا جانب الخير والصلاح .

وعلى الرغم من أن القصيدة لا تحمل أيّ عبارات مباشرة في ذم الفاطميين ولا في ذكر خلفائهم، إلا أَننا نلحظ مذهب السّنة الذي ينتمي إليه الفزاري، والمعارض للدولة الفاطمية، فهو يرى أن خير سبيل للناس هو القرآن الكريم، وسنَّة سيدنا الحبيب محمد – صلى الله عليه وسلم –، ومن بعده خليفة المسلمين أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –، وكأَنَّه بذلك يعارض الفاطميين المتشيعين الذين ينكرون ولا يعتدُّون بخلافة أَبي بكر الصديق – رضى الله عنه –.

ولم يلبث الفزاري بعد قصائد الذَّم للفاطميين حتى نراه يعتذر عمّا قاله من ذمٍّ ومعارضة في حقِّهم، فقد مرّت الخلافة الفاطمية في زمن الفزاري بأَحداث أَضعفت من شأنها، إلى أَن جاء زمن الخليفة الفاطمي الثالث إسماعيل المنصور الذي تولى مقاليد الحكم بعد وفات أَبيه القائم بأمر الله سنة (٣٣٤)هـ، فاشتد ساعد خلافة الفاطميين بهذا الخليفة.

وعلى أَثر ذلك استطاع الخليفة المنصور الفاطمي بفضل عزمه وشدة بأسه أن يقضي على الخارجين والمعادين لدولة الفاطميين، فالمالكي يروي في (رياض النفوس): " كان الشاعر الفزاري في بداية الأمر معارضاً للخلفاء الفاطميين، ويذمُّهم

ويقسو عليهم بهجائه وتعريضه، محتمياً بأَبي يزيد مخلد بن كيداد، ولما صار الأمر إلى الخليفة المنصور، طلب كل الهجَّائين من الشعراء الفحول ليعتضدهم تحت إمرته، فضاق الخناق على الفزاري، فلجأ إلى السَّبائي – من زهاد ذلك العصر –، فدعا له دعاء طويلاً، وأمره بأن يغتسل، ويدخل على الخليفة المنصور بلا رهبة أَو فزع، واعداً إياه أَلا يصيبه مكروه، فدخل الفزاري وعمل كما طلب منه، فأمَّنه المنصور على روحه، وطلب منه إنشاد بعض ما قاله من شعر"[١]، فأنشده قصيدته الاعتذارية المطوَّلة، والتي منها يقول الفزاري [٢]:

بِأَمنَـــــعَ منِّي فـي جِوَارِ خَلِيفَـــــةٍ   **عَطُوفٌ عَلـى أَهْلِ البيُوتَاتِ رَاحِـمِ**

كَريمُ المَسَاعِي والأَيَـادِي سَمَـتْ بِـهِ   **أُبُوَّةُ صِدْقٍ مِـــنْ ذُؤابَةِ هَاشِــــمِ**

شَرِيفُ الأَدَانِي والأَقَاصِــي مُـــهَذَّبٌ   **إِذا مَــا عَدَدْنَا فَضْل أَهْلِ المَكَــارِمِ**

لَـــهُ مِــنْ إِمَامِ المُرْسَلينَ وصِنْـــوِهِ   **عَلـيٍّ مَعَـالٍ ثَابِتَات الدَّعَائِــــمِ**

سَأَشكُرُ إلاَّ للإِمَــامِ، ومَـنْ يَنُـــمْ   **عَـنْ الشُّكْرِ أَو يَسْأَم فَلَسْتُ بِسَائِـمِ**

ومَـا عُذرُ مَشْحوذُ اللسَــانِ مُثَقَّفٌ   **يَرَى الشُّكْرَ فِي الإِنْعَامِ ضَرْبَـةُ لازِمِ**

ويبدو من هذا الجانب الاعتذاري، أَنَّ الفزاري لم يسرف في مدح الفاطميين كنهج غيره من الشعراء، فلم يتعرض لعقائدهم ومبادئهم الشيعيَّة، واكتفى بالإشارة إلى نسب المنصور لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – كما يدَّعي، إذ يرى أَنَّه نسب جدير بالفخار، ثم يقدم الشكر للمنصور عندما عفا عنه.

ويروي ابن عذارى في (بيانه المُغرِب) أَنَّ سعيد بن صالح – أمير نكور – قد قال أَبياتاً من الشعر في ذم الفاطميين وخليفتهم عبدالله المهدي، ويتهمه فيها بأَنَّه لا يعرف العدل، وليس له في الفضل والخير سبيلاً، فيصوره كافراً منافقاً يجهل بأُمور السنة الشريفة، ولقاء ذلك دحضه الله فجعل همته في أَسفل سافلين، وهو بذلك

---

(١) المالكي، أبو بكر عبدالله، رياض النفوس، ج٢، ٤٨٩-٤٩٠.
(٢) المالكي، أبو بكر عبدالله، رياض النفوس، ج١، ص٨٤-٨٦.

يهجوه في الدرجة الأولى، ويعارض مذهبه، وهذا ما قصده سعيد بن صالح، إذ يقول[١]:

كَذَبْتَ وَبَيْت اللهِ لا تَعْــرِفُ الـــــعَدْلا	ولا عَرَفَ الرَّحمَنُ مِنْ قَوْلِكَ الفَضْلا
ومَـــــا أَنْتَ إِلاَّ كَـــــافِرٌ ومُنَــــافِقٌ	تَميْلُ مَعَ الجُهَّالِ في السُّنَّةِ المُثْـــلا
وهِمَّتُنَـــا العُلْيَا لـــــــدِيْنِ مُـــحَمَّدٍ	وقَدْ جَعَلَ الرَّحمَنُ هِمَّتكَ السُّفْــــلا

ويروي لنا المالكي في (رياض النفوس) قصة للشاعر سهل بن إبراهيم، أحد الشعراء المعارضين والهجَّائين للخلفاء الفاطميين، وهي قصة شبيهة بما حدث مع الشاعر الفزاري زمن الخليفة المنصور، " حيث نظم في ذمهم زمن مخلد بن كيداد، وكان يحتمي به، حتى آل المآل إلى المنصور، واستتب في سيطرته على الدولة، ففزع سهل بن إبراهيم وخاف على نفسه، فلجأ إلى أبي إسحاق السّبائي، فقال له: أخبرني ما أردت بهذه القصيدة ؟، فقال: أردت بها وجه الله – عز وجل –، فقال له: اللهم احمه واكفه وعافه، فخرج سهل من عند شيخه والتقى بالفزاري، فقال له الأخير: (الدَّوّارة)[٢] يبحثون عنك، فخاف سهل، فقال له الفزاري: لا تخف، فالسلطان وجَّه إليك خِلعةً وصُرَّةً مع الدَّوَّارة، فقال سهل: ذلك الوقت كنت عند أبي اسحاق، ويقال إن السلطان أرسل إليه وطلب منه أَن ينشده القصيدة وأعطاه الأمان، فأنشدها كلها ولم يصبه مكروه، إذ يقول " [٣]:

هَـلْ أَنْتَ بَعْـدَ الشَّيْبِ ذُو صَبَـــواتِ	أَمْ مُـــــرعـــو عَنْهَا مُطِيــــعُ نَهَاةِ
يَـأَبَى مَشِيبُكَ مِــنْ سُؤَالِكَ أَربَعَـــــاً	كَـــانَتْ مَحَـــــلَّ الـعِيْرِ والظَّبيَـــاتِ
يـا صَــاحِبَيَّ سَــــلا ذَوِي الـــرَّدَّاتِ	مَـــا بَـــالُ وَحــي نَبِيــهِمْ لَمْ يَاتِ
مَا كَـانَ عَنهُ مُبْطِئَـــاً نَامُوسُــــــهُ	مِــنْ قَبــلِ فــي وقتٍ مِنَ الأَوقَــاتِ

(١) المراكشي، ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص١٧٨.
(٢) الدَّوَّارة: هم نوع من الحرس أو خدم السلطان، وظيفتهم البحث عن الأشخاص المطلوبين: المالكي، أبو بكر عبدالله، رياض النفوس، ج٢، ص٤٩٨.
(٣) المالكي، أبو بكر عبدالله، رياض النفوس، ج٢، ص٤٩٦-٤٩٨.

فالآنَ لا وحـــيٌ إليـــهِ، فَأَيـــنَ مَـــا زَعمُـــوا مِنَ الإيهَـــامِ والإبهَـــــاتِ؟

غَضِبَ الإلهُ عَلى نَبِيٍّ لَمْ يَـــــــزَلْ حَيرَانَ مَغـــــروراً أَخَـــا سَكَـــــرَاتِ

مُنهَمِكاً في خَمـــــــرِهِ وسَمَـــاعِهِ مُتَرَدِّداً فـــي الغَيِّ والشُّبُـــهـــاتِ

لا فَرَّجَ الرَّحمَـــــــــنُ كَربكَ إِنَّمَـــــا يَتَنَفَّـسُ الـــــصَّعداءَ بِالزَّفَـــرَاتِ

يا ابنَ الأَرَاذِلِ والمَجـــوسِ ويا ابـنَ مَــــنْ هَتَكَ الفُروجَ وضَيَّعَ الصَّلَواتِ

أَسَفـــــــى عَلَيْكَ الخَارجِيُّ بِصَيْـــلَمٍ وافَتكَ عِنـــدَ نِهَايَـــــةِ المِيقَـــاتِ

اللهُ بَـــاعِثُهُ فَمَـــنْ ذا صَـــــارِفٍ مَـــا اللهُ بـــاعِثُهُ مِنَ النَّقَمَـــاتِ

الطَّـــاعِنينَ عَلـــى النَّبـــيِّ مُحَمَّدٍ والقَائِلِينَ بِـــأَسْخَـــفِ القَـــــالاتِ

إنَّ الإمـــامَ هُــــو النَّبـــيُّ وإنَّــهُ رَبٌّ تَعَـــــالى اللهُ ذُو العظَمَـــاتِ

فُتِنُوا بِأَحمَقَ مِـــنْ عَلَيهَا، كَيفَ لَــو عَلِقوا بِــــذِي لُبٍّ وذِي إِخبَـــاتِ؟

هَــدَمَ المَسَاجِدَ وابتَنَــــاهَا مَنزَهَـــاً لِمَضَـــارِبِ العيْـــدانِ والنَّايَـــاتِ

وأَحَـــلَّ دارَ البَحْـــرِ فـي أَغلالِــهِ مَنْ كَـــانَ ذا تَقوى وذَا صَلَـــواتِ

فَعَلَيهِ، مَــــا لبَّى الحَجِيجُ وطَـوَّفُوا وعَلــــى ذَويـــهِ، خَوالِدُ اللعَنَـــاتِ

أَبَداً تُغَـــــادِي أَو تُرَاوِحُ روحَـــــهُ حَيَّـــاً وبَعـــدَ المَـــوتِ مُعتَـــوِراتِ

فالشاعر سهل بن إبراهيم في الأبيات السابقة يبدأ بصورة ساخرة من الخلفاء الفاطميين، ضاحكاً على خليفتهم المنصور عندما يأمر صاحبيه بمساءلة من ارتدّ ورجع عن الدين، ويتساءل الشاعر عن وحيهم، وما باله قد أَبطأ في تخليصهم من " أَبي يزيد بن كيداد "، وهم لم يعهدوا له التأخر عنهم؟، ويتابع الشاعر ويستنزل غضب الله – سبحانه وتعالى – على المنصور المنهمك في تعاطيه الخمرة، وسماع القيان، فقد صال وجال هذا الخليفة في الشبهات والمحرمات لا فرج الله له كربة، ولا جعل له مخرجاً منها، فيراه كافراً فاسقاً، لما هتك من الفروج، وضيَّع من الصلوات،

ولقاء ذلك فقد يسَّر الله لهذه الفئة الضالة مخلد بن كيداد، لكي يخلص الناس من بغيهم وكفرهم.

ولأَنَّ سهل بن إبراهيم شاعرٌ سُنِّيّ، فقد أَغضبه ما يقولوه العبيديون في رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم –، إذ يرون في معتقداتهم أَن الإمام هو النبي، ويصفونه بصفات خاصة بالألوهية، وهم بذلك مخدوعون بتلك الإمامة التي تهدم بيوت الله لتبني مكانها مسارحاً للهو والمجون، فيلعنهم سهل بن إبراهيم في نهاية المطاف بلعنات خالدة بعدد ما حجَّ ولبَّى لبيت الله ملبٍّ، تغدو وتروح عليهم أَحياء وأمواتاً.

ويورد المالكي أَيضاً بعض النصوص لشعراء هجَّائين للدولة الفاطمية العبيدية، فيذكر قول شاعرٍ دون ذكر اسمه (١):

المَـــــاكِرُ الغَــادِرُ الغَاوِي لشِيعَتِـهِ … شَرُّ الزَّنَادِقِ مِنْ صَحْـبٍ وتِبَـــاعِ

النَّـــاكِثِينَ عُهَـــودَ اللهِ كُلُّـــهُمُ … قَومٌ إِلى سَفْهٍ في النَّـاسِ أَوضَـاعِ

العَـــابِدِينَ إِذا عِجــلٌ يُخَاطِبُـهُمْ … بِسِحْرِ هَاروت مِنْ كُفـرٍ وتِبْــدَاعِ

لَوْ قِيلَ للرُّومِ أَنْتُمْ مِثْلُهُــــمْ لَبَكوا … أَو اليَهود لسَدُّوا صَمْـخَ أَسْمَـــاعِ

لَوْ عز بِنَا إِلى إِبليسَ مَا مَكَــــروا … لقَالَ إِبليسُ : ما هَذَا مِنَ أَطبَاعِي

فالشاعر في المقطوعة السابقة يذمّ أحد الخلفاء الفاطميين، ويصفه بالماكر الغاوي، متزندقٌ في مذهبه هو وأَتباعه، ناكث لعهود الله، وضيعٌ سفيه القدر بين الناس، صاحب بدعٍ ومهاترات لا تصدّق، لدرجة أَنَّ الروم واليهود لا يرضون أَن يتشبه بهم، ولو نسب ما يمكروه للشيطان لتبرَّئ من أفعالهم التي يقومون بها.

وقد أوردِ ابن خلكان في كتابه أَنَّ طائفة من الناس كانت تنظر إلى الخلفاء الفاطميين نظرة تشكيك وعدم تصديق لما يدعونه بانتسابهم إلى الرسول الكريم وآل

---

(١) المالكي، أبو بكر عبدالله، رياض النفوس، ج٢، ص٣٤٦.

بيته الأخيار، فقد قيل إن العزيز بالله إمام الفاطميين في مصر صعد على المنبر يوماً، فوجد عليه بطاقة فيها هذا الشعر، (١):

إنَّــا سَــمِعنَا نَسَــباً مُنكَــراً	**يُتلَــى عَلــى المِنْبَــرِ فِــي الجَــامِعِ**
إنْ كُنْــتَ فيمَــا تَــدَّعَي صَــادِقاً	**فَــاذْكُرْ أَبــاً بَعــدَ الأَبِ الرَّابِــعِ**
وإنْ تُــرِدِ تَحقِيــقَ مَــا قُلتَــهُ	**فَانسِــبْ لنَــا نَفسَــكَ كالطَّــالعِ**
أَو فَــدَعِ الأَنسَــابَ مَســتُورَةً	**وادْخُــلْ بِنَــا فــي النَّسَــبِ الواسِــعِ**
فَإِنَّ أَنسَــابَ بَنــي هَاشِــمٍ	**يَقصُــرُ عَنْهَا طَمَــعُ الطَّامِــعِ**

ويقال أَيضاً أَنَّ العزيز بالله الفاطمي عثر على ورقة فوق المنبر في الجامع، وفيها بيتان من الشعر (٢):

بِــالظُّلم والجــورِ قَــد رَضِــينَا	**ولَــيسَ بِــالكُفرِ والحَمَاقَــه**
إن كُنتَ أُعطِيتَ عِلمَ غَيــبٍ	**فَـقُـل لَـنَـا كَـاتِـبَ الـبِطاقـه**

ولعل مثل هذه الشواهد تقود إلى أَمرين:

أولاً: سخط الناس من سكان مصر تجاه الخلفاء الفاطميين، لما ابتدعوه وادّعوه من علم غيبٍ، وعصمةٍ عن الخطأ، وأخذهم بمعتقدات الإسماعيلية كالوصاية في الإمامة، وانتقالها من غائب إلى حاضر، وغيرها من المعتقدات.

ثانياً: سطوة الخلفاء وأَئمة الفاطميين في تعاملهم مع الرعية، ودليل ذلك خوف صاحبي البطاقة من ذلك، لذا وجدت هاتان البطاقتان دون ذكر لاسم كاتبيها.

وفي ضوء ما سبق، تبين للباحث أَنَّ السلطة الفاطمية حرصت على استمالة الشعراء إلى جانبها، لإيصال دعوتها وعقائدها ومذهبها إلى الناس، وبيان أحقيتها في الخلافة من غيرهم من بني العبّاس وبني أُميَّة أَيضاً، وقد أنفقت الدولة على هؤلاء الشعراء أموالاً طائلة، لأَنَّها رأَت في هؤلاء الشعراء الوسيلة الأَنجع لإبلاغ دعوتهم.

وقد تبين أيضاً أَنَّ كثيراً من الشعراء قد استجاب للسلطة الفاطمية، وأَيَّدوها عقائدياً، حيث كانت تلك العقائد تشكل محوراً مهماً في القصيدة الشعرية التي

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص ١١٤.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص١١٤.

اتخذت عند معظم الشعراء غرض المديح للخليفة الفاطمي أو أَحد رجالات دولته وأَعيانه، متأَثرين بما ورد من آي الذكر الحكيم.

وخوفاً من سطوة السلطة الفاطمية، فإِنَّ الشواهد الشعرية التي عبر فيها أَصحابها عن معارضة السلطة الفاطمية عقائدياً، جاءت قليلة لا تقارن بالنماذج المؤيدة لعقائد الفاطميين.

الفصل الثالث

موقف الشاعر من السلطة الفاطمية اجتماعياً وحضارياً

لقد واكب الشعر مسيرة الحياة الاجتماعية بنواحيها وأشكالها كافة في الدولة الفاطمية، حيث شكلت الحياة الاجتماعية أبعاداً مختلفة بما يتوافق ومذاهبهم وعقائدهم الفاطمية، التي حرص الفاطميون على إبرازها في مختلف مناسباتهم وشؤون حياتهم، حيث صوّر الشعراء مظاهر تلك الحياة، مظهرين إعجابهم وتأييدهم لجميع مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية من منطلق تأييدهم للسلطة الفاطمية.

وقد تمتعت الدولة الفاطمية بثراء عريض لم تعرفه الدول الإسلامية المعاصرة لها، وتمثل هذا الثراء بالبذخ والإسراف في مظاهر احتفالاتها بالأعياد، والمناسبات، والمواسم التي أبدعوا في تنظيمها، وانفقوا عليها دون حساب، فلم يترك الفاطميون مناسبة دينية أَو مذهبية خاصة أَو عامة إلا وأطلقوا فيها العنان لبذخهم وتأنقهم، معتمدين على ثراء دولتهم، وكأَنهم أرادوا أن يظهروا لأعدائهم مدى ما هُمْ عليه من ثراء وقوة، فلا تحدثهم أَنفسهم بالتجرؤ عليهم، أو كأَنهم أَرادوا إشغال رعيتهم من أهل السنة عن أًمور السياسة، وما يقال من الطعن في نسبهم، وأحقيتهم في الخلافة، فأكثروا من الاحتفالات التي كانت تصرف فيها الأموال على العامة، وتقام فيها الموائد الضخمة، والمواكب المهيبة التي تجذب إليها الأنظار والقلوب(١).

وكان أَبناء المجتمع على مختلف عقائدهم ينخرطون في هذه الأعياد والمناسبات الاجتماعية، ويشاركون بها، وهي فرصة عند بعض العامة من الناس، – وخاصة الفقراء– لكسب بعض الهبات والعطايا من السلطة، سواء كان الحفل برعاية الخليفة أو أحد أعوانه.

وجرَّاء هذا البذخ وقمة الترف في إحداث هذه المناسبات الاجتماعية المتنوعة، حدا ذلك بشعراء تلك الفترة على نظم القصائد في مدح السلطة الفاطمية، والخليفة الفاطمي ورجال دولته، فكانوا يهنئون في أشعارهم بكل مناسبة تحدث، وبكل مهرجان أو احتفال يقام عند الفاطميين، والمتأمل لهذه الأشعار يرى أنها سارت على نهج القصائد المدحية، التي يبدؤها الشاعر أحياناً بمقدمة غزلية، وينتقل بعد ذلك

---

(١) سلطان، عبد المنعم، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص١١٩.

لمدح الخليفة الفاطمي أَو وزيره، ثم يأتي على تلك المناسبة التي أنشد من أجلها، فيجسدها في شعره مهنئاً من خلالها، ومؤيداً للسلطة في هذا الجانب الاجتماعي.

وبناءً على ذلك، يرى الباحث أَن يندرج تحت هذا الفصل محوران أَساسيان يكشفان عن موقف الشاعر مع السلطة الفاطمية اجتماعياً وحضارياً، هما:

١,٣ المجتمع:

١- الأعياد الإسلامية.

٢- الأعياد الفاطميَّة.

٣- ملابس الخلفاء، وبعض مستلزماتهم.

٤- مجالس اللهو.

٢,٣ الحضارة:

١- القصور.

٢- مظاهر أخرى.

١,٣ المجتمع....

١- الأعياد الإسلامية:

تبين للباحث أَن السلطة الفاطمية كانت تولي مناسبات إسلامية مختلفة الرعاية والاهتمام، فكانوا في شهر رمضان يبّرون في أعمالهم، إذ يروي المقريزي في ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية، وتكثر نعمهم: " وكان لهم في شهر رمضان عدة أنواع من البّر، منها كشف المساجد، قال الشريف الجوّانيّ في كتاب النقط: كان القضاة بمصر إذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوماً على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر، فيبدؤون بجامع المقس، ثم بجامع القاهرة، ثم بالمشاهد، ثم بالقرافة، ثم بجامع مصر، ثم بمشهد الرأس، لنظر حصر ذلك وقناديله، وعمارته، وإزالة شعثه، وكان أَكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم، والشهود والطفيليون، يتعينون لذلك اليوم، والطواف مع القاضي لحضور السِّماط "[١].

وكان للفاطميين بشهر رمضان طقوس خاصة بذلك الشهر الفضيل، منها غرّة رمضان، " حيث كان في أول يوم من شهر رمضان، يرسل لجميع الأمراء، وغيرهم من أرباب الرّتب والخدم لكل واحد طبق، ولكلّ واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء، وبوسطه صُرَّة من ذهب، فيعمّ ذلك سائر أَهل الدولة، ويقال لذلك غرّة رمضان "[٢].

وفي هذه المناسبة الإسلامية العامة، التي تخص غالب شريحة المجتمع في العصر الفاطمي، نظم الشعراء قصائد لمدح السلطة الفاطمية من خلفاء ورجال دولة، مؤيدين ومتكسبين في مثل هذه المناسبة للعطايا والهبات التي تمنحها السلطة آنذاك، ومن هؤلاء الشعراء عُمارة اليمني، إذ نظم في قصيدة مدح الخليفة العاضد الفاطمي، مهنئاً ومؤيداً له بصوم رمضان، إذ يقول [١]:

تَقَبَّـــلَ اللهُ صَـــوْمَاً أَنْـــتَ واصِـــلُهُ   مِـــنَ الصَّـــلاحِ بِأَعْمَـــالٍ تُشَـــاكِلُهُ

([١]) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩١.
([٢]) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩١.
([١]) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أخبار الوراء المصرية، ص٣١٠ .

ونرى في مثل هذه المناسبة الخروج عن المألوف عند عُمارة اليمني، إذ في موضعٍ آخر يهنئ العاضد الفاطمي بصيام شهر رمضان، فيجعل من شدة تأييده – هذا الخليفة سبب الهناء للشهر الفضيل، فيراه كشهر الصيام، له طلعةٌ بهيَّةٌ كالهلال الدَّال على رمضان، إذ يقول [١]:

ولمَّـــا تَـــرَاءَتْ لِلهِـــلالِ بَصَـــائِرٌ	يُغَطِّـــي الهَـــوَى أَبْصَـــارَهَا بِضَـــبَابِ
وقَفْنَـــا فَهَنَّأْنَـــا الصِّـــيَامَ بِعَاضِـــدٍ	سَـــنَاهُ مَـــدَى الأَيَّـــامِ لَـــيْسَ بِخَـــابِ

وفي مثل هذه المناسبة انطلقت أَلسنة الشعراء للتهنئة بشهر رمضان، وقدومه في ظلال الخلفاء الفاطميين، وهذه التهنئة تأييدٌ وولاء من الشعراء للنوال والعطايا، فالشاعر ابن هانئ الأندلسي في هذه المناسبة نظم قصيدة مدح في الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، يهنئه ويؤيده بها بقدوم شهر رمضان، جاعلاً ذلك الشهر فداء له، بصيامه، وقيامه، وجميع شعائره، وقد ربط ابن هانئ هذه المناسبة الدينية – ليؤكد تأييده وولاءه – بمصطلحات ومعتقدات المذهب الفاطمي، فتطرق إلى تنزيل القرآن في مثل هذا الشهر على آل بيت الخليفة – كما يعتقد –، إذ بهذا الشهر الفضيل تجود يدا الممدوح المنتسب لآل البيت، وتبخل أَيدي خصومه كالطلقاء – بني العبّاس –، ويشير أيضاً إلى أَن جود ممدوحه ليس في هذا الشهر فحسب، وإِنَّما يجود قبل هذا الشهر وبعده، إذ يقول [٢]:

يَفْـــدِيكَ شَـــهْرُ صِـــيَامِنَا وقِيَامِنَـــا	ثُـــمَّ الشُّـــهُورُ لَـــهُ بِـــذَاكَ فِـــدَاءُ
فِيْـــهِ تَنَـــزَّلَ كُـــلُّ وَحـــيٍ مُنْـــزَلٍ	فَلأَهْـــلِ بَيْـــتِ الـــوَحيِّ فِيْـــهِ سَـــنَاءُ
فَتَطُـــولُ فِيْـــهِ أَكُـــفُّ آلِ مُحَمَّـــدٍ	وتُغَـــلُّ فيْـــهِ عَـــنِ النَّـــدى الطُّلَقَـــاءُ
مَـــا زِلْـــتَ تَقْضِـــي فَرْضَـــهُ وأَمَامَـــهُ	و ورَاءه لَـــــكَ نَائِـــــلٌ وحِبَـــــاءُ

(١) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أخبار الوراء المصرية، ص١٦٨.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٢.

ولَمْ تكن التهنئة بقدوم شهر رمضان وقفاً على الخلفاء الفاطميين عند الشعراء المؤيدين، بل نراهم يهنئون ويؤيدون رجال الدولة في هذه المناسبة، فالشاعر ابن حيّوس في الأبيات التالية يهنئ ناصر الدولة بشهر رمضان، فيصفه قائماً بالفروض والشعائر بتقية خالصة، إذ قام هذا الشهر بظلال ناصر الدولة موقراً حسب ادعاءات الشاعر، ونمت بركاته عنده، مشيراً إلى تنزّل الكتاب في مثل هذا الشهر الفضيل، معتقداً أَنَّ هذا الكتاب جاء ليخبر ناصر الدولة بما يسرُّه ويغبطه، جاعلاً هذا الشهر الفضيل محيِّياً لناصر الدولة قبل قدومه، وذلك بنسيمه الذي يسبقه، فكأَنَّما جاء هذا الشهر الفضيل مكرراً على ممدوحه، إذ يقول [١]:

أَمَّـا الصِّـيَامُ فَقَـدْ قَضَـيْتَ فُرُوضَـهُ ... بِتَقِيَّـةٍ مَـا حُلْـتَ عَنْهَـا مُفْطِـرا
لمَّـا أَقَـامَ لَـدَيْكَ حَـلَّ مُـوَقَّرا ... وقَـد اسْـتَقَلَّ بشُـكْرِ صُـنْعِكَ مُـوقَرا
شَـهْرٌ نَمَـتْ بَرَكَاتُـهُ فَتَهَنَّـهُ ... حَتَّـى تَقَلَّـدَ مِنَّـةً لَـنْ تُكْفَـرا
شَـهْرٌ بِـهِ نَـزَلَ الكِتَـابُ وجَاءَنَـا ... فِيْـهِ الكِتَـابُ بِمَـا يَسُـرُّكَ مُخْبِـرَا
حَيَّـاكَ قَبْـلَ قُدُومِـهِ بِنَسِـيمِهِ ... فَكَأَنَّـهُ إِذْ جَـاءَ جَـاءَ مُكَـرَّرا
لَو لَمْ يُفَضَّ عَـنِ الكِتَابِ خِتَامُـهُ ... أَغْنَـاهُ طَيِّـبُ نَشْـرِهِ أَنْ يُنْشَـرَا

وتوالت تهنئة الشعراء وتأييدهم لرجال السلطة الفاطمية في مناسبة شهر رمضان، فالشاعر ابن أبي حصينة في إحدى مدحياته للأمير ثِمال بن صالح المرداسي، يهنئ ممدوحه بقدوم شهر رمضان، ويصف سعيه مبروراً في هذا الشهر، إذ بحسب اعتقاد الشاعر أَصبحَ صيامه مزكّى عند الإله، لما يقوم به ممدوحه من الشعائر، كالقيام ليلاً، وقراءة القرآن، إذ يقول [١]:

هَنيئَـاً لَـهُ الشَّـهْرُ الـذِي بُـرَّ سَـعْيُهُ ... بِـهِ وزَكَـا عِنْـدَ الإِلـهِ صِـيَامُهُ
إِذَا قَـامَ فِيْـهِ لِلصَّـلاةِ ولِلنَّـدَى ... حَـوَى الأَجْرَ الذِّكْـرَ الجَمِيْلَ قِيَامُـهُ

وإذا ما انقضى شهر رمضان عند هؤلاء الشعراء، يظهر لهم هلال عيد الفطر، فيستغلون هذه المناسبة لنظم الشعر في الخلفاء الفاطميين ورجال دولتهم على

---

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٦٠.
(١) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص١٨٥.

مختلف الصعد، فيهنئون السلطة بهذه المناسبة، وينفذون من خلال تهنئتهم إلى تأييدها في مثل هذه المناسبة، وقد ساعدهم في ذلك تلك الطقوس التي استنَّها الفاطميون عند قدوم عيد الفطر، حيث: " كان لهم في موسم عيد الفطر عدّة وجوه من الخيرات، منها تفرقة الفطرة، وتفرقة الكسوة، وعمل السِّماط، وركوب الخليفة لصلاة العيد "(١).

ومن الشعراء الذين نظموا الشعر في التهنئة لتأييد الخليفة الفاطمي محمد بن هانئ الأندلسي، ففي إحدى مدحياته للمعز لدين الله يهنئه بمناسبة عيد الفطر، ويدَّعي ابن هانئ أَنَّ العيد قد تزين بالخليفة المعز، فهو الخليفة الحامي للإسلام بسيفه، فانجلى عيد الفطر من طليعته النبويّة، إذ يقول (٢):

لَبِسَ العِيْدُ مِنْهُ ما يَلْبَسُ الإيـ	**ـمَانُ مِنْ نَصْلِ سَيْفِهِ البَرَّاقِ**
وجَلا الفِطْرُ مِنْهُ عَنْ نَبَويٍّ	**أَبيَضِ الوَجْهِ أَبيَضِ الأَخْلاقِ**

ويرافق هذا العيد عند خلفاء الدولة الفاطمية مراسم وفقرات استحدثها هؤلاء الخلفاء لبثِّ عقيدتهم بين الناس، وللإعلاء من شأن خلافتهم، فينتهز الشعراء من حولهم كلَّ شاردة وواردة يرونها تخدم جانب التأييد عندهم في أشعارهم، ومن هذه المراسم مواكب الجيش التي كانت تمرُّ على مرأى الخليفة في مثل هذه المناسبة، وكأَنَّ ذلك عرضٌ عسكريٌ يتخلله إظهار جانب القوة الذي يحظى به الخلفاء الفاطميون، فابن هانئ في القصيدة ذاتها يصف بشكل مباشر هذا الاستعراض العسكري الذي يرعاه الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، إذ يقول (١):

سَاحِباً مِنْ ذُيولِ مَجْرٍ لهَامٍ	**تُؤذِنُ الأَرْضُ تَحْتَهُ باصْطِفَافِ**
لَيْسَ في العَارِضِ الكُنهورِ شِبْهٌ	**مِنْهُ غَيْرُ الإرْعَادِ والإبْرَاقِ**
رَفَعَتْ فَوْقَهُ المَغَاوِيْرُ شُهْبَاً	**مِنْ قَنَاً في سَمَاوةٍ مِنْ طِرَاقِ**
وغَمَامٌ مِنْ ظِلِّ أَلويَةِ النَّصْـ	**ـرِ فَمِنْ راجِفٍ ومِنْ خَفَّافِ**

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٢.
(٢) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٤٢.
(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٤٢.

فابن هانئ يصف في الأبيات السابقة صورةً عسكرية لجيش الخليفة المعز لدين الله، عاطفاً من خلال هذه الصورة لتأييد الخليفة المتملِّك لمثل هذه القوة والمنعة، موظفاً ذلك الوصف في مناسبة اجتماعية يوليها الخليفة الاهتمام والرعاية، فالجيش الفاطمي على حدِّ تعبير ابن هانئ كثير يلتهم العدوّ، وهو يضاهي السحاب بجنوده الذين يرفعون فوق رؤوسهم تروساً تشكل سماء ذات شهب، ونجوم لامعة.

ومن الشعراء الذين استثمروا هذه المناسبات والأعياد الإسلامية لتأييد السلطة الفاطمية ابن أبي حصينة، وقد مَرَّ سابقاً كيف كان يولي هذا الشاعر الأمير" ثِمال بن صالح " الاهتمام بمدحه، وتأييده في شتى النواحي، وهو ما يزال يؤيد ممدوحه في الجانب الاجتماعي، فيهنئه في إحدى قصائده بالعيد، ويصفه بأَنه عيدٌ يتجدد كل يوم حينما يطلُّ عليهم، إذ يقول [1]:

هَنَـــاكَ العِيْدُ يـــا مَنْ كُـــلَّ يَـــوْمٍ　　　لنَـا مِـنْ وَجْهِـهِ عِيْـــدٌ جَـدِيْـدُ

ويعلي ابن أبي حصينة في تأييده لممدوحه " ثِمال " في مناسبة عيد الفطر، فيصفه بأَنَّه هو البهجة والسعادة بحدِّ ذاتها للعيد، إذ يقول [2]:

أَبَـا صَالـــحٍ لا زِلْـتَ لِلعِيْدِ بَهْجَـةً　　　ونُـوراً ولِلـعَافِيْـنَ رَبْعَـاً ومَنْجَعَـا

ويلاحظ الباحث تركيز الشاعر ابن أَبي حصينة على المعنى السابق في تناوله لممدوحه في التهنئة والتأييد في عيد الفطر، فيصف الأمير ثِمال بأَنَّه عيدٌ وفرحة سعيدة في دوام وجهه للرعية، ويربط سعادة الناس في هذا العيد بسعادة الأمير ثِمال، إذ يقول[1]:

عِيْـدُ الـرَّعِيَّـةِ أَنْ تَـدُومَ عَلَيْـهُـمُ　　　فَيَـكُـونُ وَجْهُـكَ كُـلَّ يَـــوْمٍ عِيْـدا
فَاسْعَدْ بِهِ فَسَعَـــادَةُ الدُّنيَـا ومَـــنْ　　　فِيْهَـــا إِذا مَـا كُنْـتَ أَنْتَ سَعِيْـدا

وفي مثل هذه المناسبة نرى الخلفاء الفاطميين يهنئون بعظهم بعضهاً عن طريق الشعر، وبرز في هذا الجانب الشاعر والأمير الفاطمي تميم، حيث هنَّأ أَخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمي بعيد الفطر في إحدى قصائده، حيث يعلي من تأييده

---

(١) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص١٥٥.
(٢) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص١٧٥.
(١) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص٢٤٢.

لأَخيه الخليفة، فيجعل منه عيداً يتجدد كل يوم للعيان، – وهو بحسب اعتقاده – يتجاوز في فضله على عيد الفطر الذي يلوح يوماً في كل عام، ويصف تميم أَخاه في هذه المناسبة بأَنَّه نعمة ورجاء كل متأمل من الناس، وهو البارُّ لليتامى من الرعيَّة التي يقوم على شؤونها، وذلك إعلاءٌ لخلافة أَخيه في هذا الجانب الاجتماعي، إذ يقول [١]:

لِلعِيْـــدِ فـــي كُـــلِّ عَـــامٍ	يَـــومٌ يُعيْـــدُ سَـــنَاهُ
وأَنْـــتَ فـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ	عِيْـــدٌ يَلـــوَحُ عُـــلاهُ
ونِعْمَـــــةٌ وسُـــــعُودٌ	لِلمُعْتَفِـــيْنَ وجَـــاهُ
يَـــا مَـــنْ تَصِـــلُ المَعَـــالِي	إِلَيْـــهِ حِـــيْنَ تَـــراهُ
ومَـــنْ يَبـــرُّ اليَتَـــامَى	مِـــنْ كُـــلِّ خَلْـــقٍ سِـــوَاهُ
لـــو كَـــانَ لِلفَضْـــلِ يَومَـــاً	مُنـــىً لَكُنْـــتَ مُنَـــاهُ

وما أَن تنتهي هذه المناسبة الدينية التي يتخذها الشعراء وسيلة للتهنئة وتأييد السلطة الفاطمية، تبدأ مناسبة دينية أخرى يولونها بالغ الاهتمام في قصائدهم، فعيد الأضحى المعروف عند الفاطميين بعيد النحر، من تلك المناسبات والأعياد المهمّة في حياتهم الاجتماعية، وكان يتخلل هذا العيد مراسم يحتفل بها الخليفة ورجال دولته مع أَبناء المجتمع في ذلك الوقت، " ففيه تفرّق الرسوم من الذهب، والفضّة، وتفرق الكسوة لأرباب الخدم من أهل السيف والقلم، وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد، وفيه تفرقة الأضاحي"[١].

ومن الشعراء الذين تناولوا هذه المناسبة – عيد الأضحى – في قصائدهم لتهنئة الخليفة الفاطمي، وإعلاء مكانته، الشاعر ابن هانئ الأندلسي، حيث نظم قصيدة لمدح الخليفة المعز لدين الله، ويذكره بعيد النحر، فيصف الملائكة تأخذ الهدي عنه في كلِّ صباح ومساء، ومكارم آل هاشم تقدم الشكر له لأَنَّه يحييها

---

(١) حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، ص١٩٦.

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٢.

ويحافظ عليها، وهو في هذا العيد له سناً يجعل الشاعر يغض الطرف لشدَّة لمعانه، إذ يقول ابن هانئ [١]:

هَـذَا مُعِـزُّ الـدِّينِ تَأْخُـذُ هَـدْيَها عَنْـهُ المَلائِـكُ بُكْـرَةً وأَصِـيْلا
ذُو النُّـورِ تُوليْـهِ مَكَـارِمُ هَاشِـمٍ شُـكْرَاً كَنَائِلِـهِ الجَزِيـلِ جَـزِيْلا
في مَوسِمِ النَّحْرِ السَّنَيـعِ يَرُوقُنِـي فَأَغُضُّ طَـرْفَاً عَـنْ سَنَـاهُ كَلِيْـلا

ولا نغفل في مثل هذه المناسبة الشاعر ابن حيّوس، إذ نظم قصيدة مدح في الأمير ناصر الدولة يهنئه من خلالها بعيد الأضحى، فيجعل ممدوحه بهجة هذا العيد وحسنه، إذ يقول [٢]:

وهَنَاكَ ذَا العِيْـدُ الـذِي حَسَّنْتَـهُ وبَقِيْتَ مَخْصُوصَـاً بِكُـلِّ هَنَـاءِ

ولم تقتصر هذه المناسبة في التهنئة والتأييد عند ابن حيّوس على وزيرٍ فاطمي بحدِّ ذاته، بل نراه يهنئ في البيت التالي الوزير "الدِّزْبري" في هذه المناسبة، ويؤيده واصفاً حضوره سبب عدم غياب العيد عن الرعيَّة، إذ يقول [٣]:

لِيَهْنَـكَ عِيْـدٌ إذا مَـا حَضَـرْتَ زَمَانَـاً سِـوى وقْتِـهِ لَـمْ يَغِبْ

ومن رجال السلطة الفاطمية أيضاً الذين حظوا بالتهنئة والتأييد في مثل هذه المناسبة عند الشعراء الأمير " ثِمال بن صالح "، فقد خصه الشاعر ابن أَبي حصينة بقصائد لمثل هذا الغرض، فهو في الأبيات التالية يجعل من حسن وبهاء وجهه حقيقة العيد، رابطاً ذلك بسنَّة الله – عز وجل –، فيتجمل العيد – في نظر الشاعر – بهذا الأمير حتّى وكأنَّه للعيد عيدٌ، فيدعو له بالسعادة وعلوِّ المنزلة، طالباً منه الفخر لأنه في مثل هذا اليوم تتفاخر به الرَّعّية، وتفضله على كلّ زمان، إذ يقول [١]:

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٧٤.
(٢) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص١٨.
(٣) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٧١.
(١) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص٢٥٢.

مَـا العِيْـدُ لَـوْلا حُسْنُ وجْهِكَ طَالِعَـاً فِيْــــهِ ولَــــوْلا سُـــنَّةُ الــــرَّحْمنِ
جَمَّلْتَـــــهُ لمَّــــا بَــــرَزْتَ مُعَيِّـــداً فِيْـــهِ كَأَنَّـــكَ فِيْـــهِ عِيْـــدٌ ثَـــانِي
فَاسْـعَدْ بِـهِ لا زِلْـتَ حِلْـفَ سَـعَادَةٍ وعُلـــوٍّ مَرْتِبَـــةٍ ورِفْعَـــةِ شَـــانِ
وافْخَـــرْ فَإِنَّكَ فـــــي أَوانٍ أَهْلُـــهُ قَـدْ فَاخَرُوا بِـــكَ أَهْــلَ كُلِّ زَمَـــانِ

ويهنئه بموضع آخر في قصائده، ويدعو له بالهناء ورغد العيش في هذا العيد، جاعلاً من هناء الرعيَّة وسعادتهم في هذه المناسبة سعادة ممدوحه ، وهذا إعلاءٌ وتأييد من الشاعر ابن أبي حصينة لممدوحه " ثِمال بن صالح "، إذ يقول (١):

تَهَــــــنَّ بِعِيْــــــدِكَ ولِيَـــــتَهَنَّ لِهَـــذِي البَرِيَّـــةِ هَـــذَا الهَنَـــا
وعِشْ مَــا اشْتَهَيْتَ حَلِيْفَ السُّـرُورِ حَلِيْــفَ السُّعُــودِ حَلِيْـفَ البَقَـــا

وله في مثل ذلك قوله أَيضاً (٢):

هَنَـــاكَ العِيْدُ يَـــا مَلِكَــــاً جَوَادَاً أَنَافَ عَلَــى بَنِي الدُّنْيَـــا ورَاقَـــا

ويلحظ الباحث في الشواهد الشعرية السابقة في مثل هذه المناسبات الإسلامية، التقارب والتشابه في الصورة الشعرية عند هؤلاء الشعراء، الذين وظفوا هذه المناسبات والأعياد الإسلامية لتأييد السلطة الفاطمية من خلالها، وبرأي الباحث – نكاد لا نرى في هذه الأبيات شعرية تصل إلى الحدِّ المأمول من هؤلاء الشعراء، وذلك يمكن إرجاعه لسبب رئيس، وهو فرض مثل هذه المناسبات نفسها بكثرة على مخيلة الشاعر، أي أَنَّ هذه الأعياد هي من أَملت عليه قول الشعر، وليست شاعريته كشاعر.

---

(١) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص٨٦.
(٢) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص١٧٢.

٢- الأعياد الفاطميَّة:

لم تكن الأعياد الإسلامية العامة وحدها مظهراً اجتماعياً وصفها الشعراء في تأييدهم للسلطة الفاطمية، بل كان هنالك أَعياد ومناسبات خاصة بالدولة الفاطمية، وقد عملوا على استحداثها في فترة خلافتهم لإظهار جانب مذهبهم الذي يتبعونه، إذ يكاد يرى الباحث أَنَّ معظم أَيامهم كانت أَعياداً ومناسبات ومباهج تجري لها مراسم وفقرات احتفالية، وهم بذلك ينفقون على تلك المناسبات أَموالاً طائلة في سبيل تثبيت أَركان دولتهم وخلافتهم.

ومن تلك المناسبات التي كانوا يجرون لها الهبات والعطايا، ويقومون برعايتها بأَنفسهم، موسم (فتح الخليج)، حيث: " كان لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البرِّ، منها الركوب لتخليق المقياس، ومبيت القرّاء بجامع المقياس، وتشريف ابن أَبي الرّدَّاد بالخلع وغيرها، وركوب الخليفة إلى فتح الخليج، وتفرقة الرُّسوم على أَرباب الدولة من الكسوة، والعين، والمآكل، والتُّحف " [١].

ويعدُّ يوم فتح الخليج من الأعياد الوطنية الكبيرة، والمهرجانات الشعبية، لما له من أَثر في حياة المزارعين، وفي الحياة الاقتصادية العامة في البلاد، فيصحبه الأمل في نفوس الناس، إذ: " يتم كسر السَّد الواقع عند فم الخليج يوم وفاء النيل في كل عام، أَي عندما يبلغ ارتفاع الماء ستة عشر ذراعاً، وتكون أفواه الترع والجداول مسدودة في البلاد كلها، فيحضر الخليفة لفتح أَو كسر الخليج، ثم تفتح بعده الخلجان والترع الأخرى في كافة أَرجاء البلاد، ويبدأ فم الخليج من مصر الفسطاط مروراً بالقاهرة، حيث شُيِّد هنالك قصران، هما قصر اللؤلؤة ، وقصر الجوهرة " [١].

وكان لهذا العيد مراسم واستعدادات تسبق يوم الافتتاح، فحين يقترب النيل من الوفاء، يقام للخليفة عند رأس الخليج سُرَادِق كبير من الديباج الرومي، موشى كله بالذَّهب، ومكلل بالجواهر، يتسع ظله لمئة فارس، وتنصب أَمام هذا السرادق خيمة، ويأخذ حاملو الطبول والأبواق والكؤوس في البدء بتمرينات قرع الطبل، ونفخ البوق في اسطبل القصر قبل الاحتفال بثلاثة أَيام، لتألف الخيل أَصوات هذه الموسيقى،

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٣.
(١) خسرو، ناصر، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت، ١٩٧٠م، ص٩٣.

وعندما يحين يوم فتح الخليج، يصطف عشرة الآف فارس، وهم فوق ظهور خيولهم المغطاة بسروجٍ مُذَهَّبَةٍ، وأَطواقٍ وألجِمَةٍ مرَصَّعَةٍ، وجميع تلك السروج من الديباج الرومي، فنسجت لهذه المناسبة، وطُرِّزت حواشيها باسم خليفة مصر، وعلى كلِّ حصان درع أَو جوشن، وعلى قمة السرج خوذة، وجميع أنواع الأسلحة، ويسير في المواكب جمالٌ كثيرة عليها هوادج مزيَّنة، وبغال عمارياتها كلها مرصعة بالذهب والجواهر، وموشاة باللؤلؤ (١).

وفي هذه المناسبة المفعمة بشتى أشكال الترف والبذخ عند الخلفاء الفاطميين، يتقدم الشعراء بما نظموا في السلطة الفاطمية مادحين ومهنئين، ليؤيدوا السلطة والخلافة الفاطمية في مثل هذه المناسبة، ومن هؤلاء الشعراء " كافي الدولة " أَبو العباس أَحمد، إذ أَنشد قصيدة بين يدي أَحد الخلفاء الفاطميين في فتح الخليج، فاستهلها بوصف دهشته لتجمع الناس في هذه المناسبة، ويتساءل أَهو للنيل أَم للخليفة الفاطمي ابن فاطمة الزهراء؟، فيعزو اجتماع الرعية للسببين، إذ يرى أَنَّ الناس قد اجتمعت بفتح الخليج والخليفة في آنٍ واحد، وهما بذلك صاحبا فضلٍ على الرعيَّة، وإن كان هنالك في النيل من نقصٍ بعد فترة من الزمن، فالخليفة يعوّض ذلك النقص على حدِّ قول أَبي العباس، إذ يقول (٢):

لِمَنْ اجِتَماعُ الخَلْقِ في ذَا المَشْهَدِ ... للنِّيلِ أَمْ لَكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدِ
أَمْ لاجْتِمَاعِكُمَا مَعَاً في مَوْطِنٍ ... وافَيْتُمَا فِيْهِ لأَصْدَقِ مَوْعِدِ
لَيْسَ اجْتِمَاعُ الخَلْقِ إلاَّ لِلَّذِي ... حَازَ الفَضيلَةَ مِنْكُمَا في المَوْلِدِ
شَكَرُوا لِكُلٍّ مِنْكُمَا لوفَائِهِ ... بِالسَّعيِّ لَكِنْ مَيْلُهُمْ للأَجْوَدِ
ولِمَنْ إذا اعْتَمَدَ الوفَاءَ فَفِعْلِهِ ... بِالقَصْدِ لَيْسَ لَهُ كَمَنْ لَمْ يَقْصِدِ
هَذَا يَفِي ويَعُودُ يَنْقُصُ تَارَةً ... وتَسُدُّ أَنْتَ النَّقْصَ إنْ لَمْ يَزْدَدِ
وقُواهُ إنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ قَصُرَتْ ... وإِذَا بَلَغْتَ إِلى النِّهَايَةِ تَبْتَدِي
فَالآن قَدْ ضَاقَتْ مَسَالِكُ سَعْيِهِ ... بِالسَّدِّ فَهُو بِهِ بِحَالٍ مُقَيَّدِ
فَإِذا أَرَدْتَ صَلاحَهُ فَافْتَحْ لَهُ ... لِتَرَى جِنَابَاً مُخْصَبَاً وثَرىً نَدِي

---

(١) خسرو، ناصر، سفر نامة، ص٩٣-٩٤.
(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٧٨.

واسْلَــــمْ إِلـى امْتَـــالِ يَومِكَ هَكَذَا   فـي عَيْش مَغْبُوطٍ وعِـــزٍّ مُخَلَّــدِ

وللشاعر عُمارة اليمني في هذه المناسبة الوطنية قصائد موجهة بالمدح لبعض الخلفاء الفاطميين الذين عاصرهم، وبعض ولاتهم، ففي قصيدة موجهة للخليفة العاضد الفاطمي لمدحه، يتطرق لذكر مناسبة فتح الخليج، فهو يرى أَنَّ المواسم والأعياد على مختلف مناسباتها قد تشرفت بهذا الخليفة، ومن هذه الأعياد يوم الخليج، الذي ابتهج بحضوره ورعايته له، حيث يكثر عُمارة من المفردات في هذا العيد التي تدل على فضل ممدوحه، وتفوقه على جود هذا اليوم بأعطياته وأَفضاله التي تجريها يداه السَّخية، ولعلَّ مثل هذه المناسبات – في نظر الباحث – تعدُّ مغنماً لدى الشعراء في التكسب والتقرب من الخلفاء الفاطميين، إذ يقول عُمارة [١]:

شَـرُفَتْ أَمْيــرَ المــؤْمِنيْنَ مَواسِــمٌ   أَضْــحَتْ تُــؤرِّخُ بِاسْـمِكُمْ وتُسَــطَّرُ
وأَجَلُّهَـــا يَـــومُ الخَلِــيْجِ فَإِنَّـــهُ   مِـــنْ بَيْنِهَـــا يَـــوْمٌ أَغَــرُّ مُشَـــهَّرُ
يَـــوْمٌ خَلَعْــتَ عَلَيْــه لَيْــلَ عَجَاجَــةٍ   شُــهْبُ الأَسِــنَّةِ فــي دُجَاهَــا تَزْهُــرُ
ولَقَـــدْ عَـــدِمْنَاهُ فَنُبْـــتَ نيَابَـــةً   عُــزَّ الغَنِــيُّ بِهَــا وأَثْــرَى المُعْسِــرُ
إِنْ كَــانَ مِــنْ نَهْــرٍ فَكَفُّــكَ لُجَّــةٌ   أَو كَــانَ مِــنْ مَطَــرٍ فَوَبلُــكَ أَغْــزَرُ
كَسْرُ الخَلِيجِ عِبَارةٌ عَـــنْ مِنَّـــــةٍ   أَضْحَــى بِهَــا كَسْرُ البَرِيَّـــةِ يُجْبَــرُ

وله في مثل هذه المناسبة أَيضاً [٢]:

سُجُوداً فَهَذَا صَاحِبُ الرُّكْنِ والحَجَرِ   ووَارِثُ عِلْـمَ النَّمْـلِ والنَّحْـلِ والحِجْـرِ
تَمَـــلَّ أَمِيْـــرَ المُـــؤْمِنيْنَ مَواسِــمَاً   تَزُورُكَ مِنْ صَوْمٍ شَرِيفٍ ومِنْ فِطْرِ
يُواصِـــلُهَا سَـــعْدٌ بِجَـــدِّكَ مُقْبِـــلٌ   فَعَـامٌ إِلــى عَـامٍ وشَــهْرٌ إِلــى شَــهْرِ
رَكِبْــتَ إِلـــى كَسْــرِ الخَلــيْجِ وإِنَّمَــا   رَكِبْتَ إِلـى جَبْرِ الرَّعَايَا مِنَ الكَسْرِ
ولمَّــا رأَيْــتَ البَــرَّ بَحْــراً مِــنَ الظُّبَــا   تَعَجَّبْـت مِـنْ بَحْـرٍ يَسـيْرُ إِلــى نَهْـرِ
غَدَوْتَ بِفَتْحِ السَّدِّ في زَحْفِ أَرْعَـــنٍ   يَسِدُّ هَبُوبَ الرِّيــحِ بِالأَسَلِ السُّمْـرِ

وهذه الأبيات قد قالها الشاعر عُمارة في مناسبة كسر الخليج أيضاً، مادحاً بها الخليفة العاضد الفاطمي، ومؤيداً في هذه المناسبة والاحتفالية الوطنية، فيصفه

---

(١) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٢٢٣-٢٢٤.
(٢) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٢٣٥.

بصاحب الرُّكن والحِجْر، وهو بذلك يشير إلى الجانب المذهبي العقائدي، وبعد هذا التأييد المذهبي في بداية القصيدة ينفذ عُمارة ليهنئ الخليفة في مناسبة كسر الخليج، وذلك بعد مباركته له بالصوم وعيد الفطر الذي يتبعه، ليصل إلى وصف شجاعة ممدوحه في ذلك اليوم، فالخليفة وإن ركب وقاد الجيش لكسر الخليج، إنَّما بفعله هذا يجبر ويصلح أحوال الرعيَّة من الكسر والعطب، إذ بدا هذا الخليفة لفتح ذلك السَّدِّ بجيشه العرموم، الذي يسد مهبَّ الريح برماحه السُّودِ.

ومن المناسبات التي لاقت اهتماماً عند الخلفاء والسلطة الفاطمية (عيد النَّصر)، "وهو السَّادس عشر من المحرّم، عمله الخليفة الحافظ لدين الله، لأَنَّه اليوم الذي ظهر فيه من محبسه، ويفعل فيه ما يفعل في الأَعياد من الخطبة، والصلاة، والزينة، والتوسعة في النفقة، وكتب فيه أَبو القاسم علي ابن الصَّيرفيّ إلى بعض الخطباء: عيد النصر، وهو أَفضل الأعياد، وأَسناها، وأَعلاها، وأَدلها على تقصير الواصف إذا بلَّغ وتناهى، ونحن نأمرك أَن تبرز في يوم الأَحد السَّادس عشر من المحرّم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التي جرت عليها العادة بمثلها في الأَعياد، وتوعد بأَن تقرأ على الناس الخطبة التي سيَّرناها إليك " (١).

وعيد النَّصر عند الفاطميين يعني لهم الشيء الكثير: " إذ بتاريخه أُطلق سراح الحافظ الفاطمي من حبسه عندما تمَّ أَسره على يد أبي عليّ بن الأفضل، وفي هذه المناسبة قامت جارية من جواري الخليفة الحافظ بإنشاد أبيات شعرية لأَبي العتاهية، وقد قامت بذلك بإسلوب غنائي، عازفة معه أنغام العود على مسامع الخليفة في القصر، وعندما أَنهت ذلك قام الخليفة وملأ فاها بالجواهر والذهب، وقال لها: لك علينا في كلِّ سنة في مثل هذا اليوم مثل ذلك "، حيث أَنشدت (١):

أَتَتْــــــهُ الخِلافَــــــةُ مُنْقَــــادَةً	**إليْـــــهِ تُجَـــــرِّرُ أَذْيَالهَـــــا**
فَلَـــمْ تَـــكُ تَصْـــلُحُ إلاَّ لَـــهُ	**ولَـــمْ يَـــكُ يَصْـــلُحُ إلاَّ لهَـــا**
ولَـــوْ نَالهَا أَحَـــــدٌ غَـــــيرُهُ	**لَـــزُلْــزِلَــتْ الأَرْضُ زُلزَالـــهَـــا**

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار الخطط والآثار، ج١، ٤٩٠-٤٩١.
(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار الخطط والآثار، ج٢، ص٤٤٨.

وهذه المناسبات والاحتفالات كما نرى تسود في أَجواء مفعمة بالفرح والغبطة عند الخلفاء الفاطميين ورجال الدولة، وتشاركهم فيها الرعية بمختلف أطيافها في المجتمع، غير أَنَّ هنالك مناسبات واحتفالات تبعث على الحزن والأَسى في نفوس الفاطميين وأَعوانهم، ومن هذه المناسبات الخاصة بهم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين، وهو ما يسمى عندهم (بالمشهد الحسيني)، وهو فقرة من فقرات (يوم عاشوراء)، إِذ يصادف في هذا اليوم مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وهو ولد فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولشدة الحزن على مقتله تجري في هذه المناسبة المحزنة طقوس استنها الفاطميون، وقاموا بفرضها على الرعية، حيث يذكر المقريزي في خططه: " وفي يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلاثمئة جرى الأَمر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الأسواق، وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة، ونزولهم مجتمعين بالنَّوح والنشيد، ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنَّوح والنشيد، وقال لهم: لا تلزموا النَّاس أَخذ شيء منهم إِذا وقفتم على حوانيتهم، ولا تؤذوهم، ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد، ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء، ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة، وأَنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم، وسبوا السَّلف، فقبضوا على رجلٍ، ونودي عليه هذا جزاء من سبَّ عائشة وزوجها – صلى الله عليه وسلم –، وقدم الرجل بعد النداء، وضُرِبَ عنقه " [١].

وكان الخلفاء الفاطميون يحتجبون في ذكرى مقتل الحسين عن الظهور تعبيراً عن حزنهم، فتتعطل الأسواق، وتقف حركة التعامل، وتخرج جماعات الشيعة والمنشدين في الطرقات يتصايحون بالبكاء، وإنشاد المراثي، وتتجه الجموع إلى الجامع الأَزهر[٢]، حيث يجري الاحتفال الرسمي الذي يرأسه قاضي القضاة، فيركب في الضحى إلى الجامع الأزهر، وبصحبته الشهود والأَعيان، وقد أَبدلوا ملابسهم، وارتدوا ثياب الحداد، ويكون بالجامع حشد من الأُمراء، والأعيان، وقرّاء الحضرة

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٣١.
(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٢٧.

والعلماء، ثم يحضر الوزير فيجلس في صدر المجلس وبجانبه قاضي القضاة وداعي الدعاة، ويبدأ الاحتفال بقراءة القرآن، ثم يتبارى الشعراء والمنشدون في ذكر المراثي في الحسين وأَهل البيت، فيضج الحاضرون بالبكاء والنحيب [١].

وبهذه المناسبة التي تبعث الأسى والحزن في نفوس الخلفاء الفاطميين، ورجال السلطة الفاطمية يتقدم الشعراء وينشدون قصائدهم التي تحمل أَبعاداً مختلفة، فهم يمدحون من خلالها الخلافة الفاطمية، ويظهرون جانب الولاء والتأييد للسلطة، ويبثون في هذه المناسبة أَنفَاس الأَلَم في ذكرى مقتل الحسين بن علي – رضي الله عنه –، ومن هؤلاء الشعراء عُمارة اليمني، إِذ نظم قصيدة (نونية) قالها في رثاء أَهل البيت في يوم عاشوراء، وقد ضمَّنها مدحاً للملك الصالح والوزير الفاطمي طلائع بن رُزِّيك، حيث يقول عُمارة [٢]:

قَدْ سَهَّلَتْ حَزْنَ الكَلامِ لِنَادِبِ ... آلَ الرَّسُولِ نَواعِبُ الأَحْزَانِ
فَابْذُلْ مُشَايَعَةَ اللِّسَانِ ونَصْرَهُ ... إِنْ فَاتَ نَصْرُ مُهَنَّدٍ وسِنَانِ
واجْعَلْ حَدِيثَ بَنِي الوصيِّ وظُلْمِهِمْ ... تَشْبِبَ شَكْوى الدَّهْرِ والخُذْلانِ
غَصِبَتْ أُمَيَّةُ إِرْثَ آلَ مُحَمَّدٍ ... سَفْهَاً وشَنَّتْ غَارَةَ الشَّنآنِ
وغَدَتْ تُخَالِفُ فِي الخِلافَةِ أَهْلَهَا ... وتُقَابِلُ البُرْهَانَ بِالبُهْتَانِ
لَمْ تَقْتَنِعْ أَحْلامُهَا بِرُكُوبِهَا ... ظَهْرَ وغَارِبَ العُدْوانِ
وقُعُودِهِمْ فِي رُتْبَةٍ نَبَوِيَّةٍ ... لَمْ يَبْنِها لَهُمْ أَبو سُفْيانِ
حَتَّى أَضَافُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ ... أَخَذُوا بِثَأْرِ الكُفْرِ فِي الإِيمَانِ
فَأَتَى زِيَادٌ فِي القَبِيْحِ زيَادَةً ... تَرَكَتْ يَزِيدَ يَزِيْدُ فَي النُّقْصَانِ
حَرْبٌ بَنُو حَرْبٍ أَقَامُوا سُوقَهَا ... وتَشَبَّهَتَ بِهِمِ بَنُو مَرْوَانِ
لَهْفِي على النَّفَرِ الذِيْنَ أَكُفُّهُمْ ... غَيْثُ الورَى ومَعُونَةُ اللَّهْفَانِ
أَشْلائُهُمْ مِزْقٌ بكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... وجُسُومُهُمْ صَرْعى بِكُلِّ مَكَانِ
مَالَتْ عَلَيْهِمْ بِالتَّمَالئِ أُمَّةٌ ... بَاعَتْ جَزِيْلَ الرِّبْحِ بِالخُسْرَانِ
دَفَعُوا عَنِ الحَقِّ الذِي شَهِدَتْ لَهُمْ ... بِالنَّصِّ فيهِ شَواهِدُ القُرْآنِ

---
(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٣١.
(٢) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، ص٣٦٣-٣٦٤.

مـــا كَانَ أَولاهُمْ بِـــــهِ لَـــوْ أُيدِّوا بِالصَّالِـحِ المُخْتَـارِ مِـــنْ غَسَّـانِ

فالشاعر في الأبيات السابقة يظهر مشاعر الأَلَم والتفجُّع بمقتل الحسين في مثل هذا اليوم، ويشير إلى تلك الحادثة التاريخية، والتي تمَّ فيها انتزاع الخلافة من قبل بني أُميَّة من أَحفاد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، حيث يشير إلى أَن بني أُميَّة استولوا على خلافةٍ ليست من حقهم، بل أَخذوا زمامها زوراً وبهتاناً، مظهراً اللهفة وبالغ الأَسى على من قُتل في هذه الحادثة، فأجسامهم ممزقة في كل نواحي المكان الذي قتلوا بهِ، وقد تجنَّت – بحسب مزاعم عُمارة – عليهم أُمَّة رفضت الحقَّ، واتبعت الباطل، وباعت الولاء وربح طاعة آل البيت بالخسران، ويختم عُمارة قصيدته بتأييده للوزير طلائع في هذه المناسبة.

ويبدو في ضوء استقراء هذه القصيدة أَنَّ الشاعر قد تعايش مع السلطة الفاطمية وخلفائها، لذا نراه لم يتوانَ عن وصف مثل هذه المناسبات في أشعاره، على الرّغم من أَنه شاعرٌ سنيٌّ المذهب، ولا يفوتنا في هذه المناسبة التعريج على شعر الشّيرازي، داعي الدعاة هبة الله، حيث نظم قصائد في المشهد الحسيني، ويوم عاشوراء، مادحاً ومؤيداً الخلفاء الفاطميين الذين عاصرهم، ومُبدياً مشاعر الحزن واللوعة لمقتل الحسين، ففي إحدى قصائده في مدح الخليفة المستنصر بالله الفاطمي يشير إلى مثل هذه الحادثة، مظهراً الأَسى والحزن لمقتل الحسين بن علي – رضي الله عنه –، ويذكر مكان الواقعة في (كربلا)، ويشير إلى أَنَّه قد زار ذلك المكان، وقد جعل منه مكاناً للطواف حوله، شاكياً التَّظلم الذي حلَّ بأَهله في تلك الحادثة، فيلطم خده بالتراب الذي فوق أَضرحتهم، حيث يقول [1]:

فَلَهْفِي على أَهْلِي الضِّعَافِ فَقْدَ غَدُوْا لِحَـــدِّ شِـــفَارِ النَّائِبَـــاتِ أَضَـــاحِيَا
فَقَـدْ زُرْتُ فــي (كُوفَــان) للمَجْـدِ قُبَّــةً هِـي الـدِّينُ والـدُّنيَا بِحَـقٍّ كَمَـا هِيَـا
هِـــيَ القُبَّـــةُ البَيْضَـــاءُ قُبَّـــةُ حَيْـــدَرٍ وَصِـيُّ الـذي قَـدْ أَرسَـلَ اللهُ هَادِيـا
وصِـيُّ النَّبــيِّ المُصْـطَفَى وابـنَ عَمِّــهِ ومَـنْ قَـامَ مَـولى فـي الغَـديْرِ وواليَـا
فَواحَبَّـــذَا التِّطْـــوافُ حَـــوْلَ ضَـــرِيحِهِ أُصَـلِّي عَلَيْــهِ فــي خُشُـوعٍ تَواليَـا
وواحَبَّـــــذَا تَعْفيــــرُ خَــــدِّي فَوْقَــــهُ ويَـا طِيْـبَ إِكْبَـابي عَلَيْـهِ مُنَاجِيَـا

---

(1) الشيرازي، الديوان، ص٢٤٥-٢٤٦.

أُنَــاجِي وأَشْــكُو ظَــالمِي بِتَحــرُّقٍ يُثيـرُ دُمُوعَـاً فَـوقَ خَـدِّي جَوارِيَـا
وقَدْ زُرْتُ مَثْوى الطُّهْرِ فـي أَرضِ كَرْبلا فَدَتْ نَفْسيَ المَقْتُولَ عَطْشَانَ صَاديَا
فَفِي عُشْرِ مَا نَالَ الحُسَيْنُ بِـنْ فَاطِـمِ لِمِثْلي مَسْلاةٌ لَئِـنْ كُنْـتُ سَاليَـا

وفي موضع آخر من أَشعار الشيرازي، يتَّخذُ من هذه المناسبة عدَّة مرامٍ وأغراض، فهو بالإضافة إلى تأييده للخلفاء الفاطميين في خلافتهم، يحث الهمم، ويشحذ العزم للنيل والقصاص من بني أُميَّة لقتلهم الحسين بن علي – رضي الله عنه – في مثل هذا اليوم، معبِّراً عن ذلك بأَنفاس يعتصرها الألم والحزن، إذ يقول(١):

أَيـا شِـيْعَةَ الحَـقِّ: طَـابَ المَمَـاتُ فَيَـا قَـومُ: قُومُـوا سِـرَاعاً نَثُـورُ
فَإمَّـا حَيَـاةٌ لنَـا فـي القَصَـاصِ وإِمَّـا إلـى حَيْـثُ صَـارُوا نَصِـيْرُ
لَقَـدْ كَـانَ يَـومُ الحُسَـيْنِ المُنَـى فَتُفْـدَى نُفُـوسٌ وتُشْـفَى صُـدُورُ
فَهَـذَا لَكُـمْ عَـادَ يَـوْمُ الحُسَـيْنِ فَمَـاذَا القُصُـورُ ومَـاذَا الفُتُـورُ
فَمُـدُّوا الـذِّراعَ، وحِـدُّوا القِـرَاعَ فيَـوَمُ النَّواصِـبِ مِـنكُمْ عَسِـيْرُ
فقَـتْلاً بِقَتْـلِ، وثَكْـلاً بِثَكْـلِ ذَرُوهُ تَجـزُّ عَلَيْـهِ الشُّـعُورُ
فَلا تَضْعَفُـوا إنَّ مُسْتَنْصِـراً وليُّ الإلَـهِ ولِـيٌّ نَصِيْـرُ

ومن خلال تتبع الباحث لقصائد الشعراء في العصر الفاطمي، التي قيلت في مناسبات وأعيادِ اجتماعية، ودينية، ووطنية، يكاد الباحث يرى أَن معظم أيام السلطة الفاطمية احتفالات وأَعياد رسمية وغير رسميّة، حيث كانت تشكل مصدراً للشعراء في نظمهم لقصائد المدح والتأييد للسلطة الفاطمية، وذلك يدلل على مدى اهتمام الخلفاء الفاطميين بمثل هذه المناسبات، سواء كانت رسمية عامة، أَو مستحدثة في عهد خلافتهم، وعلى جميع حالاتها، يرى الباحث أَنها كانت دعايات ووسائل لجأ إليها الخلفاء الفاطميون لنشر دعوتهم ومذهبهم بين الرعية، باذلين في تلك المناسبات البذخ والإسراف لإقامتها، لتكون بذلك مصدراً يحصل فيه الآملُ على ما يأملُ، فالفقراء كانت تجري لهم العطايا والهبات في هذه المناسبات، ورجال الدولة من الوزراء، والولاة، وقادة الجيوش، والعلماء، والدعاة، كانوا يصيبون منها المغنم

(١) الشيرازي، الديوان، ص٢٥٧.

والكسب الذي تجريه أيدي الخلفاء، بالإضافة إلى المستفيد الأكبر في مثل هذه المحافل، وهو الشاعر المؤيد المادح للسلطة الفاطمية في مثل هذه المناسبات الكثيرة، والتي لكثرتها أَنشدها وأَوجزها الشاعر عُمارة اليمني في قصيدة رثاءٍ للدولة الفاطمية، فعندما قضي أَمر هذه الدولة في خلافة آخر الخلفاء العاضد، نظم عُمارة اليمني هذه القصيدة مظهراً أَشد معالم الحزن والأسى لانتهاء هذه السلطة والدولة، فاستهلها باتِّهام الدهر، وصروف الأيام وأحداثها، بإصابة هذه الخلافة بالتصدع والفناء، فانقضت بذلك قواعد المعروف والمأمول الذي ينشده كل سائل وطالب، وبزوالهم هذا يتلهف عُمارة على أيامهم، وأعيادهم، وحضارتهم، فيبكي على دور الضيافة في عهدهم، والتي أَصبحت اليوم دارسة كالأطلال، ويبكي فطرة الصَّوم التي كانت إحدى مكارمهم، وكسوة الفقراء في فصل الشتاء والصيف، وموسم الخليج، وما كان يهب من حياةٍ ونعماء للناس والمزارعين، ويذكر عُمارة عيد رأس السَّنة، والعيدين – عيد الفطر وعيد النحر–، وما كان يجري فيهما من هبات وعطايا للرعيَّة في عهدهم، ويذكر يوم الغدير، ذلك العيد المنبعث بألوان الأَسى عندهم، وما يتخلله من مهرجانات واستعراضات حربيَّة لعدد الحرب، من خيلٍ وسلاح، ويشير عُمارة أَيضاً إلى أَنَّ نوالهم وجزيل عطاياهم كان يصيب الأقاصي من المِلَلِ قبل الدّانين منهم، إذ يقول [١]:

رَمَيْـتَ يَـا دَهْـرُ كَـفَّ المَجْـدِ بالشَّـلَلِ ... وجِيْـدَهُ بَعْـدَ حُسْـنِ الحُلْـي بالعَطَـلِ

هَـدَمْتَ قَاعِـدَةَ المَعْـرُوفِ عَـنْ عَجَـلٍ ... سَعَيْتَ مَهْلاً أَمـا تَمْشِـي علـى مَهْلِ

لَهْفِــي ولَهْــفُ بَنِــي الآمَــالِ قَاطِبَــةً ... عَلَــى فَجِيْعَتِهَــا فِــي أَكْــرَمِ الــدُّوَلِ

قَـوْمٌ عَرَفْـتُ بِهِـمْ كَسْبَ الأُلُـوفِ ومِـنْ ... كَمَالِهَــا أَنَّهَــا جَــاءَتْ ولَــمْ أَسَــلِ

أَبْكِـي علـى مَـا تَـرَاءَتْ مِـنْ مَكَـارِمِهِمْ ... حَـالَ الزَّمَـانُ عَلَيْهَـا وهِـيَ لَـمْ تَحِـلِ

دَارُ الضِّــيَافَةِ كَانَـــتْ أُنْــسَ وافِــدُكُمْ ... واليَـوْمُ أَوحَـشُ مِـنْ رَسْـمٍ ومِـنْ طَلَـلِ

وفِطْـرَةُ الصَّـومِ إِذ أَضْـحَتْ مَكَـارِمُهُمْ ... تَشْكُو مِنَ الدَّهْرِ حَيْفَاً غَيْرُ مُحْتَمَلِ

ومَوْسِـمٌ كَـانَ فـي يَـومِ الخَلـيْجِ لكُـمْ ... يَـأَتي تَجَمَّلُكُـمْ فِيْـهِ علــى الجُمَـلِ

وأَوَّلُ العَـــامِ والعِيـــدَيْنِ كَـــمْ لَكُـــمُ ... فيْهِنَّ مِنْ وَبْلٍ وجُودٍ لَيْسَ بِالوشْلِ

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ٤٩٥-٤٩٦.

والأَرْضُ تَهْتَـزُّ فـي يـوَمِ الغَـدِيْرِ كَمَـا   **يَهْتَـزُّ مـا بَـيْنَ قَصْـرَيكُمْ مِـنَ الأَسَـلِ**
والخَيْـلُ تَعْـرِضُ فـي وشـيٍ وفِـي شِـيَةٍ   **مِثْـلُ العَـرَائِسِ فـي حِلـيٍ وفـي حُلَـلِ**
ولا حَمَّلـتُم قِـرَى الأَضْـيَاف مِـنْ سِـعَةٍ   **الأَطْبَـاقِ إلاَّ عَلـى الأَكتَـافِ والعَجَـلِ**
ومــا خُصِصْـــتُمْ بِبِـــرٍّ أَهْــلِ مِلَّـــتِكُمْ   **حَتَّـى عَمَمْتُمْ بِـهِ الأَقْصَـى مِنْ المِلَـلِ**
واللهِ لا فَازَ يَومُ الـــحَشْرِ مُبْغِضُكُــــمْ   **ولا نَجَا مِــــنْ عَذَابِ اللهِ غَيْرُ وَلِــي**

لقد أَملت مظاهر الترف ووفرة الأموال التي امتلكتها الدولة الفاطمية – من خلفاء ورجال الدولة – على السلطة في تلك الفترة، القيام بالبهرجة والبذخ في جميع المحافل التي كانوا يرعونها، فالأعياد السابقة الذِّكر، وكثرة المناسبات كانت إيذاناً لمراسم تتبعها، وفقرات تتخلل مثل هذه الاحتفالات، فمهما كانت المناسبة لا بُدَّ من استعراضٍ لموكب الخليفة الفاطمي، أَو أَحد أَعوانه، حيث يكون لهذا المواكب حضور بارز حينها، إذ تكاد بعض المواكب أَن تغطي ببهجتها أَجواء تلك المناسبة التي يجتمع القوم من أَجلها، وهنالك نوع آخر من المواكب تطرق لوصفه كثيرٌ من الشعراء في تأييدهم للسلطة الفاطمية آنذاك، أَلا وهو موكب الجيش، والذي يعد بمثابة استعراض عسكري، يرعى شؤونه الخليفة الفاطمي أَو أَحد الولاة، حيث يجري عرضه بكافة أَنواع الأسلحة، وكافة عناصره من الجنود المشاة، أَو الفرسان فوق الخيول، ولم تكن المواكب العسكرية الحربية مقتصرة على الجيش البرّي، وإنما كان هنالك استعراضات لمواكب عسكرية بحرية على متن سفنٍ ضخمة، وهو ما يعرف بالأسطول الحربي البحري، حيث اهتمت السلطة الفاطمية بهذا الجانب العسكري، وأَولته غاية الرعاية لأَهميته في الغايات الحربية .

وقد وصل الأَمر بالخلفاء الفاطميين استحداث أَيام تسمى (أَيام الركوبات)، وهذا يعني إن لم يكن عندهم في يومٍ من الأيام احتفال، أَو مناسبة دينية، أَو خاصة شيعية، أَو وطنية، يجعلون هذا اليوم بحدٍّ ذاته يوم احتفال ومناسبة، إذ يركب الخليفة فيه إمَّا للتنزه، أَو لأداء صلاة الجمعة، فالمقريزي يذكر في خططه: " وكان الخليفة يركب في كلِّ يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين، والتاج، وقبة الهواء، والخمس وجوه، وبستان البعل، ودار الملك، ومنازل العزِّ والروضة، فيعمّ الناس في

هذه الأيام من الصدقات أَنواع ما بين ذهب، ومآكل، وأَشربة، وحلاوات، وغير ذلك "(١)، وحتى يوم الجمعة: " كان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس، في جامع القاهرة الذي يعرف بالجامع الأَزهر مرَّة، وفي جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكميّ مرَّة، وفي جامع عمرو بن العاص بمصر أُخرى، فينال الناس منه في هذه الجمع الثلاث رسوماً، وهبات، وصدقات " (٢).

وفي ظلِّ هذه المواكب الملوكية يتسابق الشعراء ليتفوق كل واحد منهم على الآخر في الإجادة بتأييد السلطة الفاطمية، من خليفةٍ، أَو وزير، أَو قائد جيش، ومن هؤلاء الشعراء محمد بن هانئ الأندلسي، حيث وصف الأسطول الحربي البحري في قصيدة مدحٍ للخليفة المعز لدين الله الفاطمي، فيُقسم ابن هانئ بهذه السفن، ويشير إِلى قوتها، وما تحمله من سلاح وذخائر حربية، ويشبه ضخامة تلك السفن بالقباب فوق رؤوس الحسان، ولكنها لا تحمل على متنها إِلاَّ الأُسود الأَشاوس من المقاتلين، وهم رجال المعزّ وجنوده، ولهذه السفن سحاب كثيف من الدخان ينعقد فوقها، وكأَنَّها البرق في التماع شعلها، وهي في حركتها وسط عباب الماء لها أَصواتٌ وكأَنَّها الرُّعود، حيث تشق أَمواج البحر بقوةٍ، وعزيمةٍ، كقوة المعزّ وبأسه.

وترفرف على متنها الضخم الهائل الرايات والأعلام الخفاقة، وهي بحجمها وقوتها لولا أَنها تنتقل في البحر من مكان إلى آخر، لقيل إِنَّها جبال راسية شمّاء، وهي في حركتها وسط عباب الماء كالطيور الجارحة، سريعة في الانقضاض على صيدها وفريستها، ويشير ابن هانئ إلى أَعنَّة هذه السفن، وهي الرياح التي تساعدها على المسير وسط الماء، وهي كما يصف مطيعة لمن يقودها ويحارب على متنها، فتنقاد لمدبر أَمرها كالخيل تطيع صاحبها، إذ يقول ابن هانئ (١):

أَمَا والجَوارِي المُنْشَآتِ التِي سَرَتْ	**لَقَدْ ظَاهَرَتْهَا عُدَّةٌ وعَدِيْدُ**
قِبَابٌ كمَا تُرْخَى القِبَابُ على المَهَا	**ولكِنَّ مَا انْضَمَّتْ عَلَيْهِ أُسُودُ**
عَلَيْها غَمَامٌ مُكْفَهِرٌّ صَبِيْرُهُ	**لَهُ بَارِقَاتٌ جَمَّةٌ ورُعُودُ**
مَواخِرُ فِي طَامِي العُبَابِ كَأَنَّهُ	**لِعَزْمِكَ بَأْسٌ أَو لِكَفِّكَ جُودُ**

---
(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٥.
(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٩٥.
(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٩٢-٩٤.

أَنَافَـتْ لهَـا أَعْلامُهَـا وسَـمَا لهَـا | بِنَـاءٌ علــى غَيْـرِ العَـرَاءِ مَشِـيْدُ
مِـنَ الرَّاسـيَاتِ الشُّـمِّ لـولا انْتِقالُهَـا | فَمِنْهَـا قِـلالٌ شُـمَّخٌ ورُيـودُ
مِـنَ الطَّيـرِ إلا أَنَّهُـنَّ جَـوَارِحٌ | فَلَـيْسَ لهَـا إلاَّ النُّفُـوسَ مَصِـيْدُ
وغَيْـرُ المَـذَاكِي نَجْرُهَـا غَيْـرَ أَنَّهَـا | مُسَـوَّمَةٌ تَحْـتَ الفَـوارِسِ قُـودُ
فَلَيْسَ لـهَا إلاَّ الرِّيَـاحَ أَعِنَّةٌ | ولـيْسَ لـهَـا إلاَّ الحَبَـابَ كَدِيْـدُ

وللشاعر علي بن محمد الإيادي قصيدة تشابه إلى حدٍّ كبير قصيدة ابن هانئ في وصف الأسطول الحربي، – وكما مرَّ سابقاً – كانت هذه الاستعراضات العسكرية البحرية، بمثابة مواكب احتفالية يرعاها الخليفة الفاطمي ورجال الدولة في العهد الفاطمي، فالشاعر الإيادي بدأ قصيدته مندهشاً لما يرى من عظمة هذا الأسطول، وشدة حسنه وبهائه، حيث يستقر وسط عباب البحر، فتتخذ الأَمواج منه جمالها وحسنها، وهذه السفن في هيئتها وسط أَمواج البحر، كالصقور الشامخة تتأهب للانقضاض في أَي لحظة، حيث تكتسي من الثياب لونين، اللون الأبيض وهو لون شراعها، واللون الأسود القاتم، وهو لون أَسفل أَجزائها الغائر في الماء.

ويصف الإيادي حركة هذه السفن وسرعتها، فتبدو وكأَنَّها جرادة على اليابسة لا تستطيع الرياح اللحاق بها لخفتها وسرعتها، ولهذه السفن مجاذيف على جوانبها كريشٍ في جناح نَسر، وهي تتجه باتجاه الريح أَينما اتجهت، حاملة في جوفها الأعداد الهائلة من الجنود والسلاح، وذلك يدل على سعتها وقدرة تحملها.

ولهذه السفن شراعٌ شاهق سامق يحثها على المسير والمضيّ قدماً، والرجال المقاتلون على ظهرها كأَنَّهم جنّ سليمان بن داوود في بأسهم وعزيمتهم، فيشعلون النار ويقذفونها، فتخرج وتندفع كالجواد الجامح، فيسبقها دخان كثيف تحسه هاجماً على الظلام، ويوجد إلى جانب هذه السفن العملاقة قوارب صغيرة كثيرة الحركة حولها، إذ بحركتها تشبه الطيور التي تتقلب في السماء، وعلى جنبات هذه القوارب مجاذيف صلبة تتفرق عن بعضها كما تفترق طيور القطا، وتجتمع وتلتئم مرة أُخرى كاجتماع قطعان بقر الوحش، فيجمع شملها البحر كالليل الذي يجمع العقارب، وعلى ظهر هذه القوارب جنود الإمام القائم الأَشاوس، يستعرضون وسط الماء

بسلاحهم، وعددهم الحربية، فيأخذ البحر منهم ثوب جمالٍ مذهبٍ وكأنَّه الرَّبيع، إذ يقول الإيادي [١]:

أَعْجَبْ لأُسْطُولِ الإمَامِ مُحَمَّدٍ	ولِحُسْنِهِ وجَمَالِهِ المُسْتَغْرَبِ
لَبِسَتْ بِهِ الأَمْواجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ	يَبْدو لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُسْتَعْجِبِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِقَةٍ على مَا قَابَلَتْ	إشْرَافُ صَدْرِ الأَجْدَلِ [٢] المُتَنَصِّبِ
دَهْمَاءَ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابَ تَصَنُّعٍ	تَسبِي العُقُولَ على ثِيَابٍ تُرْهِبِ
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ في الهَوَاءِ مُنَشَّرٍ	مِنْهَا وأَسْحَمَ في الخَليجِ مُغَيَّبِ
كَجَرَادَةٍ في البَرِّ يَقْطَعُ سَيْرُهَا	في البَحْرِ أَنْفَاسَ الرِّياحِ الشُّذَّبِ
مَحْفُوفَةٌ بِمَجَاذِفٍ مَصْفُوفَةٍ	في الجَانِبَيْنِ دُوينَ صَلْبٍ صُلَّبِ
كَقَوادِمِ [٣] النَّسْرِ المُرَفرِفِ عُرِّيَتْ	مِنْ كَاسِياتِ رِيَاشَةِ المُتَهَدِّبِ
وتَحُثُّهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إذا وَنَتْ	بِمُصَعَّدٍ مِنْهُ بَعيْدٍ مُصْوَبِ
خَرْقَاءُ، تَذْهَبُ إنْ يد لَمْ تَهْدِهَا	في كُلِّ أَرْبٍ للرِّياحِ ومَذْهَبِ
جَوْفَاءُ، تَحْمِلُ كَوْكَباً في جَوْفِهَا	يَومَ الرِّهَانِ وتَسْتَقِلُّ بِمَوكِبِ
ولهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ يُطِيرُهَا	طَوعُ الرِّيَاحِ ورَاحَةُ المُتَطَرِّبِ
يَعْلُو بِهَا حُدَبَ الرِّيَاحِ مَطَارَةٌ	في كُلِّ لَجٍّ [٤] زَاخِرٍ مُغْلَولِبِ
تَسْمُو بِأَجْرَدَ في الهَواءِ مُتَوَّجٌ	عَرْيَانَ مَنْشُور الذُّؤابَةِ شَوذَبِ
وكَأَنَّمَا جِنٌّ لِدَاوِدٍ هُمُ	رَكِبُوا جَوانِبَهَا بِأَعْنَفِ مَرْكِبِ
سَجَرُوا [٥] جَوَاحِمَ نَارِهاَ فَتَقَاذَفُوا	مِنْهَا بِأَلسُنِ مَارِجٍ مُتَلَهِّبِ
عَرْيَانَ يَقْذِفُهُ الدُّخَانُ كَأَنَّهُ	صُبْحٌ يَكُرُّ على الظَّلامِ الغَيْهَبِ
ولَوَاحِقٌ مِثْلُ الأَهِلَّةِ جُنَّحٌ	لَحْقُ المُطَالَبِ فَائِتَاتُ المَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لُطَافَةً	ويَجِئْنَ فِعْلُ الطَّائِرِ المُتَقَلِّبِ
شَرِجُوا جَوَانِبَهَا مَجَاذِفَ أَتْعَبَتْ	شَأْو الرِّيَاحِ لهَا ولمَّا تَتْعَبِ

---

(١) عبد الوهاب، حسن حسني، مجمل تاريخ الأدب، طبعة مكتبة المنار، تونس ١٩٦٨م، ص٩٦-٩٧.
(٢) الأجدل: الصقر، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة جدلَ.
(٣) القوادم: الريش في جناح الطائر، واحدتها " قادمة "، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة قدم.
(٤) اللج: الماء العظيم، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة لجَجَ.
(٥) سجروا: أوقد النار وأشعلها، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة سَجَرَ.

تَنْصَاعُ عَنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ القَطَا طَوْرَاً وتَجْتَمِعُ اجْتَمِاعَ الرَّبْرَبِ
والبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فكَأَنَّهُ لَيْلٌ يُقَرِّبُ عَقْرَبَاً مِنْ عَقْرَبِ
وعَلى كَواكِبِهَا أُسُودُ خِلافَةٍ تَخْتَالُ في عُدَدِ السِّلاَحِ المُرْهِبِ
فَكَأَنَّمَا البَحْرُ اسْتَعَارَ بِزِيِّهِمْ ثَوْبَ الجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ المُذْهَبِ

وهُناك من المواكب ما يخصُّ الخلفاء الفاطميين عندما كانوا يريدون قضاء بعض الحاجات، كالذهاب إلى صلاة يوم الجمعة، أَو الذهاب لصلاة العيد، فكان الخلفاء يركبون في موكب حافلٍ بمراسمٍ تليق بهم كخلفاء، وكانت الرعيَّة حينها تنظر متأملة في الطرقات لهذه المواكب الرسمية، وما تزخر به من جنود، وحرّاس، وحاشية، وخيول تسير بأمر الخليفة الفاطمي، أَو أَحد أَعوانه، وهي مشابهة – في نظر الباحث – لتلك المواكب الرسمية التي تجري في زمننا الحاضر لقادة الدول والأُمراء، مع الاختلاف بينهما في الحداثة والتقدم.

ومن الشعراء الذين صوَّروا هذه المواكب في قصائدهم، تميم الفاطمي، الذي وصف موكباً لأخيه الخليفة العزيز بالله الفاطمي في يوم عيد الفطر، حيث انطلق الموكب من قصر الخليفة إلى المسجد لصلاة العيد، فيصفه تميم مهنئاً بالعيد لأخيه، ومويداً له في كل عملٍ يقوم به، فالعزيز بدا في هذا الموكب بدراً يتقدم تلك الحجافل التي تسير خلفه، فتكاد الأرض الرحبة تضيق بهذا الموكب العظيم، المُدَجَّج بسلاح الجنود، فتبدو السيوف فيه وكأَنَّها بروق تتلامع في السماء، ودروع الجنود على أَجسامهم كأَنَّها من قماش السُّندس الأَخضر والحرير، حيث تنظر عيون الخلق لهذا الخليفة وجنوده شاكرة له في الضمائر، فالرعيَّة لم يكن لها في تلك اللحظة إلا التمعن به، والإشارة إليه بالبنان معجبة، ولو استطاعت الحجارة أَن تنطق لأَتى منبره للسلام عليه ومصافحته، ويشير الشاعر تميم إلى هيئة أَخيه الخليفة حين صعد المنبر ليلقي خطبة صلاة العيد على الناس، حيث صعد بتواضع لله – سبحانه وتعالى – على هذا المنبر، وكل عيون الخلق الحاضرة عنه حسيرة، حيث أَطال الخليفة حمده لله – عزّ وجل – في خطبته التي تفجرت بحور صواب، ورشادة قولٍ، إذ يقول (١):

(١) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الشعر والشعراء، ص٢٨.

هَنيئَاً لكَ العِيْدُ الذي أَنْتَ بِالرِّضَا ... مِـنَ اللهِ للمُرْضِـيكَ فِيْـهِ بَشِـيرُ
بَـرَزْتَ كَبَـدْرِ الـتَّمِّ تَقْـدُمُ جَحْفَـلاً ... تَكَـادُ بِـهِ الأَرْضُ الفَضَـاءُ تَمُـورُ
فَلِلبيْضِ بَرْقٌ فـي أَعَاليْـهِ خَـاطِفٌ ... وللأُسْـدِ رَكْـضٌ تَحْتَهَـا وزَئِيـرُ
كَـأَنَّ الـدُّرُوعَ السَّـابِغَاتِ عَلَـيْهُمُ ... لِمَـا أَلِفُوهَـا سُـنْدُسٌ وحَرِيـرُ
وقَدْ مَنَحُوكَ اللحْظَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وكُلُّهُـمْ صَـافِي الضَّـمِيْرِ شَـكُورُ
فَمِـنْ مُقْلَـةٍ عَلَيْـكَ حَبْيسَـةٍ ... ومِـنْ إصْـبَعٍ مِـنْهُمْ إِليْـكَ تُشِـيْرُ
ولَـوْ نَطَقَـتْ أَحْجَـارُ أَرْضٍ لسَلَّمَتْ ... عَلَيْـكَ المصَـلَّى أَو أَتَتْـكَ تَسِـيْرُ
فَلمَّـا بَلَغْـتَ المِنْبَـرَ الطَّـاهِرَ الـذِي ... لَـهُ بِـكَ فَضْـلٌ لا يُنَـالُ كَبِيْـرُ
تَواضَـعْتَ للِـرَّحمَنِ ثُـمَّ عَلَوتَـهُ ... خَطيْبَـاً، وكُـلُّ اللحْـظِ عَنْـكَ حَسِـيْرُ
وأَسْهَبْتَ في حَمْدِ الإلـهِ بِخُطبَةٍ ... تَفَجَّـرَ مِنْهَـا للصَّـوابِ بُحُـورُ

ولتميم الفاطمي في مثل هذه المناسبة قوله يصف موكب أخيه الخليفة المعز بالله لصلاة العيد [١]:

لَـئِنْ أَتَـى العِيْـدُ مِـنْ لُقْيَـاكَ فـي فَـرَحٍ ... لَقَدْ مَضَى الصَّومُ مِنْ مَنآكَ في ثُكَلِ
بَـرَزْتَ فِيْـهِ بُـروزَ الشَّـمْسِ طَالِعَـةً ... وقَـدْ أَعَـادَ ضُـحَاكَ النَّقـعِ كَالطِّفَـلِ
والبِـيْضُ تُزْهِـرُ والأَعْـلامُ خَافِقَـةً ... والأَرْضُ فـي رَهْـجٍ والجَـوُّ فـي وَجَـلِ
فَلَـيْسَ يَعْـرِفُ لَحْـظَ العَـيْنِ مُرْسِـلَهُ ... إلاَّ إِلـى سَابِحٍ فـي الأَرْضِ أَو بَطَـلِ
والشَّمْسُ فَوْقَ مَدارِ الجَيْشِ قَدْ حُجِبَتْ ... فـي جَوِّهَـا بِمُتُـونِ البِيْضِ والأَسَـلِ
حَتَّـى بَلَغْـتَ المُصَـلَّى خَاشِـعَاً نَسِـكَاً ... خُشُـوعَ جَـدِّكَ فـي أَزْمَانِـهِ الأُوَلِ
فَقُمْـتَ فِـيهِمْ خَطِيْبَـاً مُصْـقِعَاً لَسِـنَاً ... بِكُـلِّ مُنْفَصِـلٍ نَثْـرَاً ومُتَّصِـلِ
أَبَنْتَ بِـالحَقِّ مَـا قَدْ كَانَ مُشْتَبِهَـاً ... مِنَ الهُدَى فَتَجَلَّـى كُـلَّ مُشْكِـلِ

ويرى الباحث أَنَّ هذه الأبيات تشابه إلى حَدٍّ كبير ما سبقها من وصف لموكب الخليفة عند الشاعر تميم الفاطمي، فموكب الخليفة الفاطمي قد حجب الشمس، والعيون تترامى في النظر للخليفة وموكبه، إلى أَن يصل هذا الخليفة للمسجد،

---

(١) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الشعر والشعراء، ص٤٨.

فيخطب خطبة العيد على مسامع الناس، فتبدوا عليه آيات الخشوع والوقار، وهو بخطبته يفسر للناس ما أُشكل عليهم في أُمور الدِّين والدُّنيا.

وكما أَشار الباحث سالفاً، لقد كانت هذه المناسبات الاجتماعية والدينية هي المحرِّك لألسنة الشعراء، فنلاحظ على هذه القصائد التشابه إلى حدٍّ كبير عندهم، فتكاد تفقد شعريتها، وأُلفة نظمها، وذلك لتكرارها في الصورة، والألفاظ، والتراكيب ذاتها، المستخدمة عند كثيرٍ من هؤلاء الشعراء.

٣- ملابس الخلفاء، وبعض مستلزماتهم:

لقد كانت مظاهر الحياة الاجتماعية للخلفاء الفاطميين مترفةً بشتى نواحيها، وكان البذخ والإسراف واضحاً في حياتهم، إِذ بذلوا أَموالاً طائلة على ملابسهم الخاصة بهم، وأَسرفوا وأَغدقوا ببعض مستلزماتهم الخاصة، كالهدايا بأشكالها كافة، واهتموا أَيضاً بملابس رجال دولتهم كالوزراء والولاة وقادة الجيوش، فأصبح لهم لون خاص في لباسهم، وبعض مستلزماتهم.

ويذكر المقريزي في الخطط إِنَّه كان هنالك خزانة خاصة بالملابس أُنشئت في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وسُمِّيت (خزانة الكسوات): " قال ابن أَبي طي: وعمل – يعني المعز لدين الله – داراً وسماها دار الكسوة، كان يفصل فيها من جميع أَنواع الثياب والبزِّ، ويكسو بها الناس على اختلاف أَصنافهم كسوة الشتاء والصيف، وكانت لأَولاد الناس ونسائهم كذلك، وجعل ذلك رسماً يتوارثونه في الأَعقاب، وكتب بذلك كتباً، وسُمَّي هذا الموضع خزانة الكسوة، وقال عند ذكر انقراض الدولة: ومن أَخبارهم أَنَّهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدمهم، وحواشيهم، ومن يلوذ بهم من صغير وكبير، ورفيع وحقير، كسوات الصيف والشتاء، من العمامة إلى السراويل، وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب، ونفيس الملبوس، ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون إليه من نفيس المطعومات والمشروبات، وسمعت من يقول إنه حضر كسا القصر التي تخرج في الصيف والشتاء، فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة، وكانت خلعهم على الأُمراء الثياب الديبقيّ، والعمائم بالطراز الذهب، وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار، ويخلع على أَكابر الأُمراء الأطواق والأسورة، والسيوف المحلاة،

وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق عقد جوهر، وقال ابن المأمون: وجلس الأَجلّ يعني الوزير المأمون في مجلس الوزراء، لتنفيذ الأُمور، وعرض المطالعات، وحضر الكتاب، ومن حملتهم ابن أَبي الليث، كاتب الدفتر، ومعه ما كان أُمر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء، بحكم حلوله وأَوان تفرقتها، فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها لسنة ست عشرة وخمسمائة من الأَصناف أَربعة عشر أَلفا وثلثمائة وخمس قطع، وإنَّ أكثر ما انفق من قبل ذلك في الأيام الأَفضلية في طول مدّتها لسنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية الآف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة، يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به في منفق سنة ست عشرة، خمسة الآف وستمائة وأَربعاً وثلاثين قطعة، ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر الشهر، وقد تضاعفت عمّا كانت عليه في الأَيام الأفضلية لهذا الموسم، وهي تشتمِل على ذهوب وسلف دون العشرين أَلف دينار، وهو عندهم الموسم الكبير، ويسمى بعيد الحلل، لأن الحلل فيه تعمّ الجماعة، وفي غيره للأَعيان خاصة، فأَحضر الأَمير افتخار الدولة مقدّم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة، وهو برسم الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة، ثوبها موشح مجاوم مذايل، عدّتها باللفافتين إحدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون ديناراً ونصف، ومن الذهب العالي المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالاً، ونصف كل مثقال أُجرة غزله ثمن دينار، ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة....." [1].

يُلحظ من خلال النص السابق أَنَّ الفاطميين من خلفاء ورجال دولة قد بذلوا النفيس في جانب الملابس، فكانت أَثمان اقتنائها وتفصيلها – كما نلاحظ – باهظة الثمن في ذلك العصر، ولم يكن ذلك سوى بهرجة اتخذوها من أجل إثبات الذات، ولعل ذلك – في ظنهم – رسائل وايحاءات للرعيَّة وغيرهم، ليشيروا إلى قوتهم في جانب المال والثراء، والبذخ في جانب المصروفات التي تنفق على اللباس، والهدايا، والمظلات الخاصة بهم.

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط، والآثار، ج١، ص٤٠٩-٤١٠.
- للاستزادة في هذا الجانب انظر: المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤١١-٤١٦.

وإزاء هذا الترف الاجتماعي، لم يتوان الشعراء في استغلال هذا المظهر، وتوظيفه في أَشعارهم بالوصف بشكل دقيق، وهم بذلك الوصف مؤيدون للسلطة، ولعل وصف مثل هذا الجانب الاجتماعي يعد من أَهم اللحظات التي يستجدي بها الشاعر عطايا تلك السلطة، ومن هؤلاء الشعراء الذين توقفوا في أشعارهم عند هذا الجانب، الشاعر ابن أبي حصينة، إذ امتدح الأمير (ثِمال بن صالح) في قصائد كثيرة، وأشار في بعضها إلى لباسه، ومدى ترفه فيه، فهو في الأَبيات التالية يصف هدّيةً وصلت إليه من الحضرة الطاهرة – الخلفاء الفاطميين – سنة ٤٣٤هـ، إذ تشتمل هذه الهدية على خيول ضامرة قوية، مزينة تختال بالتِّبر والذهب، مكسوة بالأَجلَّة الفاخرة التي تغطيها، وتشتمل أَيضاً الهدية على ملابس خاصة فاخرة للأَمير ثِمال، فيبدو ثوبه الموشى بالذهب والعقيان، وكأَنَّه الشمس في سطوعها ولمعانها، إذ يقول ابن أبي حصينة [١]:

لِيَهْنَكَ تَشْرِيفُ الإِمَامِ بِسُبَّقٍ ... مِنَ الخَيْلِ فـي قَانٍ مِنَ التِّبرِ تَخْتَالُ
خَبَطْنَ إِلَيْكَ اللَّيْلَ حَتَّى تَكَلَّلَتْ ... لَهُنَّ هَوادٍ بِالنُّجُومِ وأَكْفَالُ
كُسِيْنَ أَجَلَّ[٢] العَبْقَرِيَّ أَجِلَّةً ... تَدُلُّ وتُنْبِي أَنَّ ذَلِكَ إِجْلالُ
هِيَ القُبُّ[١] بَارَتْهَا قِبَابٌ كَأَنَّهَا ... على حُتُفِ الأَحْمَالِ في العَيْنِ أَجْمالُ
ومِنْ خَالِصِ العِقْيَانِ ثَوْبٌ لَبِستَهُ ... تُجَرُّ لَهُ فَوقَ المَجَرَّةِ أَذْيَالُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْنَعْ بِسِرْبَالِ غَازِلٍ ... فَوافَاكَ مِنْ نُورِ الغَزَالَةِ سِرْبَالُ

ويصف الشاعر ابن أَبي حصينة في المعنى ذاته، هديةً من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله للأَمير ثِمال، إذ يقول [٢]:

---

(١) ابن أَبي حصينة، الديوان، ج، ص٢٨-٢٩.
(٢) الجُلُّ: ما تلبسه الدَّابَّة لتصان به، جمعه أَجِلَّة، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة جَللَ.
(١) القُبُّ: الضامر البطن من الخيل، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة قَببَ.
(٢) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص٦٨.

قُـبٌّ مِـنَ الخَيْـلِ العِتَـاقِ ضَـوَامِرٌ　　　قِيْـدَتْ مُحَمَّلَـةً إِليْـكَ العَسْـجَدَا
أَوْهَـى مَنَاكِبَهَـا الحُلِـيُّ كَأَنَّمَـا　　　يَمْشِـي الجَـوادُ بِمَـا عَلَيْـهِ مُقَيَّـدَا
ولَبِسْـتَ مِـنْ حُلَـلِ المَعَـدِّ مَلابِسَـاً　　　فَضَـحَ النُّضَـارُ بِهَـا السَّعِيْرَ المُوقَـدَا
وشَـبيْهَةً بِالتَّـاجِ حَلَّـتْ مَوْضِـعاً　　　لِحُلُـولِ مـا شَـبهَ الشَّـبِيْبَةَ مِقْـوَدَا
مَنْسُوجَـةً بِالتِّبْرِ خَـصَّ بِلِبْسِهَـا　　　مَـنْ لَـيْسَ يَنْفَـذُ هَمُّـهُ أَو يَنْفَدَا

فهدية الخليفة المستنصر بالله للأمير ثِمال تشتمل على خيول عتاق، ضامرة، محملة ومزينة بالذهب والنّضار، حتى لتكاد هذه الخيول أَن تجد صعوبة في المشي، لما تحمله من مصاغ وكأَنَّها مقيَّدة، ومن ضمن هذه الهدية، ملابس للأَمير ثِمال مذهبة تبدو لناظرها كالنار المتوقدة، لشدة بريق الذهب فيها، وتاج منسوج من التِّبر والمصاغ لهذا الأَمير.

وللشاعر ابن حيّوس في إحدى مدحياته لناصر الدولة حديثٌ في هذا الجانب، إذ يصف ملابس ممدوحه، ويرى أَنها طرِّزت بجلال قدر صاحبها، وعلو مرتبته، إذ يدعي الشاعر بأَنه لو كان للعرب في القدم مثلها، لما كان لثياب مدينة صنعاء في اليمن شُهْرة إزاءها، إذ يقول (١):

فَتَمَـلَّ مِـنْ وَشْـي القَـرِيْضِ مَلابِسَـاً　　　طَرَّزْتَهَــا بِجَلالَــةٍ وَعَــلاءِ
لو كَـانَ لِلْعَرِبِ القَدِيمَـةِ مِثْلُهَـا　　　لَـمْ تَحْمَدِ المَصْنُـوعَ في صَنْعَـاءِ

ويرى الباحث أَن مظاهر الترف والبذخ عند الخلفاء الفاطميين وحاشيتهم – كما مَرَّ سابقاً – لم تكن فقط في جانب الملابس، بل تعدى ذلك الأَمر إلى جانب التهادي، وخاصة إذا كانت الهدية من الخيول، وفي هذا الجانب لا بُدَّ من الإشارة إلى الشاعر ابن هانئ الأندلسي، الذي وصف مثل هذا الأمر في قصائده المدحية للخليفة المعز لدين الله الفاطمي، ولعلَّ هذا النوع من الهدايا يدلل على شغف المعز لدين الله بالخيل، وفي هذا يقول ابن هانئ (١):

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص١٩.
(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٦٥- ١٦٦.

أَلا هَكَذَا فَلْيُهْدِ مَنْ قَادَ عَسْكَراً ... وأَورَدَ عَنْ رَأْيِ الإِمَامِ وأَصْدَرَا
أَلا هَكَذَا فَلْتُجْلَبِ العِيْسُ بُدَّنَاً ... أَلا هَكَذَا فَلْتُجْنَبِ الخَيْلُ ضُمَّرَا
مُرَفَّلَةً يَسْحَبْنَ أَبْرَادَ يُمْنَةٍ ... ويَرْكُضْنَ دِيْبَاجَاً ووَشْيَاً مُحَبَّرَا
تَرَاهُنَّ أَمْثَالَ الظِّبَاءِ عَواطِيَاً ... لَبِسْنَ ويَبْرِينَ الرَّبِيْعَ المُنَوَّرَا
ويَمْشِينَ مَشْيَ الغَادِيَاتِ تَهَادِيَاً ... عَلَيْهِنَّ زِيُّ الغَانِيَاتِ مُشَهَّرَا
وجَرَرْنَ أَذْيَالَ الحِسَانِ سَوابِغَاً ... فَعَلَّمْنَ فِيْهِنَّ الحِسَانَ التَّبَخْتُرَا
فَلا يَسْتُرَنَّ الوَشْيُ حُسْنَ شِيَاتِهَا ... فَيَسْتُرَ أَحْلَى مِنْهُ في العَيْنِ مَنْظَرَا
وما خِلْتُ أَنَّ الرَّوضَ يَختالُ ماشِيَاً ... ولا أَنْ أَرى في أَظهُرِ الخَيْلِ عَبْقَرا
غَدَاةَ غَدَتْ مِنْ أَبْلَقٍ ومُجَزَّعٍ ... ووَرْدٍ ويَحْمُومٍ وأَصْدَى وأَشْقَرَا
ومِنْ أَدْرَعٍ قَدْ قُنِّعَ الليْلَ حَالِكَاً ... عَلى أَنَّهُ قَدْ سُرْبِلَ الصُّبْح مُسْفِرَا
وأَشْعَلَ وَرْدِيٍّ وأَشْقَرَ مُذْهَبٍ ... وأَدْهَمَ وَضَّاحٍ وأَشْهَبَ أَقْمَرَا
مُحَجَّلَة غُرَّاً وزُهْرَاً نَواصِعَاً ... كَأَنَّ قُبَاطِيَاً عَلَيهَا مُشَهَّرَا
يَقَرُّ بِعَيْنِي ما أَرَى مِنْ صِفَاتِهَا ... ولا عَجَبٌ أَنْ يُعْجِبَ العَيْنَ مَا تَرَى

فالشاعر في الأبيات السابقة يصف هديةً وصل بها القائد جوهر إلى المعز لدين الله الفاطمي من الحضرة في المغرب، وهذه الهدية خيلٌ وإبل تذهل الناظر إذا شاهدها، فهي مكسيَّة بالبرود، وأَفخر أَنواع القماش اليمنيِّ، وهذه البرود موشا محبّرة فيها تخطيط وتطريز مُعلَّم، إذ تبدو بها تلك الخيل كالظباء في وقت الربيع، وكالغانيات الماشيات يلبسن زيَّاً مشهّراً، فيجررن وراءهنَّ أَذيال تلك الثياب، فتتعلم الحسان الجميلات منهنّ ذلك.

ويصف ابن هانئ هذه الخيول ويذكر لها عدَّة صفات ومسميات، فهي خيلٌ بلقاء ومجزعة، ومن بينها الوِرد واليَحموم، والأَشقر، والأَدرع، والأَشعل الوردي، والأشقر المذهَّب، والأَدهم الوضَّاح، والأَشهب الأَقمر، وهي خيلٌ محجَّلة فيها علامات بيضاء، كأَنَّ ثياباً بيضاء قبطيَّة نُسِفَت عليها، فتقرُّ عين الشاعر بما رأَت، ولا عجب فيما رأى على حدِّ تعبيره.

ولعل لمثل هذه الفصيلة من الخيول ميزة عند ممدوح ابن هانئ، فالخليفة المعز لدين الله يعامل هذه الخيول معاملة فيها مبالغة، سواء من الشاعر، أَو من الخليفة الفاطمي، إِذ يقلِّد المعز لدين الله هذه الخيل بالذَّهب، والياقوت الأَحمر، والزُّمرد، والدُّرّ، فتبدو عليها الأقراط في آذانها وكأَنَّها ثريا تتلألأ وتتلامع، فتزداد حسناً وجمالاً كلما تحركت في آذانها، مبرِّراً ابن هانئ تلك المعاملة التي تلقاها هذه الخيل، إِذ يرى أَنَّ هذه المظاهر من لوازم خوض المعارك، فَتَسْحَنُ وتقهر تحت سنابكها كلَّ عظيم من الأفاعي، وشديد من الأسود، إِذ يقول [١]:

وقَلَّـدَهَا اليَـاقُوتَ كَـالجَمْرِ أَحْمَـرَاً	يُضـيءُ سَـنَاهُ والزُّمُـرُّدُ أَخْضَـرَا
وقَرَّطَهَـا الـدُّرَّ الـذِي خُلِقَـتْ لَـهُ	رِفَاقَـاً وكَانَـتْ مِنْـهُ أَسْـنَى وأَخْطَـرَا
فَكَـمْ نَظْـمِ قُـرْطٍ كَالثُّرَيَّـا مُعَلَّـقٍ	يَزِيْـدُ بِهَـا حُسْـنَاً إِذَا مَـا تَمَرْمَـرَا
ومَا ذَاكَ إِلاَّ كَيْ يُخَاضَ بِهَـا الرَّدَى	فَتَنْـهَش تِنِّينَـاً وتَضْغَـمَ قَسْـورا[٢]

وكما تناول ابن هانئ وصف خيل المعز لدين الله الفاطمي، نراه يصف جانب البذخ أَيضاً في خيل القائد جوهر الصقلي، إِذ امتدحه في قصيدة يذكر في ثناياها توديعه له، وتشيعيه إياه، ويصف جيشه الذي يقوده، وبعد ذلك يأتي لوصف خيل جوهر، فإِذا بها مسروجة بالنّضار والذهب المرصع، فيقول [٣]:

وبَـيْنَ يَدَيْـهِ خَيْلُـهُ بِسُـرُوجِهِ	تُقَـادُ، عَلَـيْهِنَّ النُّضَـارُ المُرَصَّـعُ
وأَعْلامُـهُ مَنْشُـورَةٌ وقِبَابُـهُ	وحُجَّابُهُ تُدْعَـى لأَمْـرٍ فَتُسْـرِعُ

وفي الأَبيات التالية يشير ابن هانئ إلى معاملة الخيل عند ممدوحه الأمير جعفر بن عليّ الأندلسي، ويصف قمة البذخ والترف في ذلك عند ممدوحه، فهو يكرمها لرفعة نجارها بين الخيل، ويسكنها في القصور المشيّدة، ويغطِّيها بأَفخر وأَجواد أَنواع القماش (القوهي)، فجعفر يربي هذه الخيل ويسهر على راحتها، وذلك لحسن وفرادة فرعها، فهي خيل جرد معتقة، إِذ يقول [١]:

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٦٧.
(٢) تَضْغَمَ قَسْورا: تعضّ الأسود، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادتا ضَغَمَ وقَسْوَرَ.
(٣) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٠٤.
(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص٢٥٤.

هُوَ المُكْرِمُ الخَيْلَ الكَرِيْمَ نِجَارُهَا وفَارِسُــهَا والمَشْــرِفيُّ دَلُــوقُ[١]

ومُسْـكِنُهَا الآطَـامَ وهِـيَ مَشِـيْدَةٌ ومُلْحِفُهَـا القُـوهِيَّ وهُـو أَنِيْـقُ

ونَاتِجُهَا تُعْزَى إِلَيْهِ إِذا اعْتَــزَتْ عَنَاجِيْـــجُ[٢]جُرْدٌ كُلُّهُنَّ عَتِيْقُ

٤- مجالس اللهو:

لم يكن ترف الفاطميين مقتصراً على ملابسهم وخيولهم الخاصة بهم، بل يرى الباحث أَن هذا الترف والإسراف طال أبسط مستلزماتهم في الحياة، فمجالس اللهو والشراب والمجون كانت تتصف بمظاهر الترف، كيف لا وهي مجالس لهوٍ بحدِّ ذاتها، فابن أبي حصينة يصور مجلس شرابٍ قد حضره للأمير " ثِمال "، فيمدحه في البداية، ثمَّ يذكر مجلس شرابه وقد فُرِشَ نرجساً ووردا، فاختلط على القوم عبير ذلك النرجس، وعبير ممدوح الشاعر الأمير ثِمال، إذ يقول [٣]:

عِـشْ لِلمَكَـارِمِ يَـا كَـرِيمَ المَغْـرَسِ واسْلَمْ سَلِمْتَ مَدَى الزَّمَانِ الأَتْعَسِ

واشْـرَبْ هَنِيْئَـاً طَيِّبَـاً فـي مَجْلِـسٍ مُـذْ قُمْـتَ فِيْـهِ لِلعُلَـى لَـمْ تَجْلِـسِ

أَنْبَـتَّ فِيْــهِ رَوضَــةً مِــنْ نَــرْجِسٍ أَزْرَتْ نَضَـارَتُهَا بِـرَوْضِ الأَوعَـسِ[٤]

فكَــأَنَّ قُضْــبَانَ الزَّبَرْجَــدِ حُمِّلَــتْ أَعْــلا ذَوائِبَهَــا نُجُــوم الحِنْــدِسِ

قَدْ فَاحَ عِرْضُـكَ حِيْنَ فَاحَ فَمَا دَرَوا أَنَسِيْمُ عِـرْضِكَ أَمْ نَسِيْمُ النَّرْجِـــسِ

وله في مثل ذلك أَيضاً [٥]:

تُبْصَرُ في الدَّسْتِ مِنْكَ شَمْسُ ضُحَىً يَحْجِبُهَــا نُورُهَــا عَــنِ البَصَــرِ

إِشْــرَبْ هَنِيْئَــاً فــي قُبَّــةٍ غَنِيَــتْ بِرَبِّهَــا عَــنْ مَلاحَــةِ الصُّــورِ

قَــدْ نُثِــرَ الــوَرْدُ فــي جَوانِبِهَــا كَأَنَّــــهُ حُلَّــــةٌ مِــــنَ الحَبَــــرِ

كَــأَنَّ شَمْـــسَ النَّهَــارِ طَالِــــعَةً تُنِيْرُ شَمْـسَ الضُّحَـى عَلى القَمَــرِ

فممدوح الشاعر بدا في مجلسه للعيان وكأنَّه شمس تحجب البصر، فيصور مجلس شرابه وقد نُثِرَ الورد في جنباته، وكأَنَّه حُلةٌ محبَّرة موشَّاة.

---

(١) دلوق: السيف المسلول من غمده بسهولة، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة دَلَقَ.
(٢) عناجيج: الخيل الرائعة، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة عَنْجَجَ.
(٣) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص٧٢.
(٤) الأوعس: الرمل الطَّيّب المنبت، ابن منظور معجم لسان العرب، مادة وَعَسَ.
(٥) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص٧٣.

وبناءً على ما سبق من الشواهد الشعرية في تأييد الشعراء للسلطة الفاطمية في المظاهر الاجتماعية، يرى الباحث أَن عامل الثراء العريض الذي مُنيت به الدولة الفاطمية، كان له الأثر البارز في بذخ السلطة من خلفاء ورجال دولة آنذاك، سواء أَكان ذلك في احتفالاتهم بالأعياد الإسلامية العامة، أَو بتلك الأعياد الشيعية الخاصة والوطنية التي استحدثتها الدولة الفاطمية، وما يجري لتلك المناسبات من مراسم احتفالية، كتوزيع العطايا والهبات في الأعياد، بالإشارة إلى قمة البذخ في المواكب الخاصة بالخلفاء الفاطميين، وحاشيتهم في تلك المناسبات.

ولم يمنعهم ثراؤهم أَيضاً من إسرافهم وتبهرجهم في اقتناء ملابسهم، وبعض مستلزماتهم، كالخيل الخاصة بهم، وبعض الهدايا، ومجالس الشرب واللهو التي كان يعقدونها.

وإزاء ذلك الثراء والترف، لم يتوان الشعراء – في ذلك العصر– عن تأييد السلطة الفاطمية، فالتأييد لم يقتصر عندهم على الجانب السياسي والعقائدي – كما لاحظنا –، بل نراه يتناول الجانب الاجتماعي بمختلف مظاهره.

ولأَهمية عامل الثراء في إقامة أَركان الدولة الاجتماعية وغيرها، سنلاحظ بعد قليل أَثر ذلك الثراء وترف الفاطميين في حضارتهم، كإنشائهم القصور الخاصة بهم، وما يتبعها من مرافق تشتمل عليها، واهتمامهم ببعض معالم الحضارة.

٢,٣– الحضارة:

١ – القصور:

كثُرت الأَموال في أَيدي الخلفاء الفاطميين ورجال الدولة في العصر الفاطمي، فأَتاح هذا الثراء لهم التفنن والتأنق في العِمارة وزخرفتها، والوصول بها إلى أَقصى غاية في الدقة والجمال، فأَخذوا يتفاخرون بمباهجهم، وقصورهم التي يسكنوها، ليظاهوا بها قصور السابقين لهم والمعاصرين لعهدهم، وخاصة حضارة أَلدّ أعدائهم، دولتي بني أُميَّة وبني العباس.

وكان الفاطميون منذ نشأة دولتهم في المغرب مقلدين للحضارة العباسية والأَموية في جميع مظاهرها، وساعين جهدهم إلى تقويض دعائم دولة العبّاسيين السياسية، باسطين هالة من القداسة على أَنفسهم، منفقين الأَموال بسخاء على بناء

حاضرة لهم، أَرادوها سواء في المغرب أَو في مصر، منافسة لبغداد في مجال الحضارة، ولا سيما في إِنشاء القصور والمناظر والبساتين، وإِقامة الشعائر الدينية وسط مظاهر العظمة الدالة عليها، كالولائم، وموائد الفطر السعيد، والأضحى المبارك، والركوب في المواكب الفخمة، وكل ذلك إِن دلَّ على شيء إِنما يدل على مظاهر الثروة والرخاء التي كان يحياها الخلفاء الفاطميون، وهي في غالبيتها تقليد لما كان يقوم به العباسيون والأمويون في عواصمهم[١].

ولقاء هذه الثروة العظيمة بذل الفاطميون بسخاء على بناء قصورهم، ومناظرهم وبساتينهم بكثرة، فمقتنيات القصور من أثاث، وفرش وتحف وغيرها، كانت تنطق بثروة كبيرة جمعها الفاطميون وتمتعوا بها، " فالمعز لدين الله الفاطمي أَمر في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة بإِنشاء صورة لأقاليم الأرض، وجبالها، وبحارها، ومدنها، وأَنهارها، ومسالكها جغرافيا، وفيها صورة مكَّة والمدينة مبيَّنة للناظر، مكتوب على كل مدينة، وجبل، وبلد، ونهر، وبحر، وطريق، إسمه بالذهب والفضة والحرير، وفي آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً إلى حرم الله، واشهاراً لمعالم رسول الله في تلك السَّنة، والنفقة عليها اثنان وعشرون ألف دينار "[٢].

وقد فصّل المقريزي القول في ذكر مرافق القصور الفاطمية في (خططه)، ومن جملة ذلك ذكره أَبواب القصر الكبير الشرقي: " فكان لهذا القصر تسعة أبواب، أَكبرها وأَجلّها باب الذهب، ثمَّ باب البحر، ثمَّ باب الرِّيح، ثمَّ باب الزّمرُّد، ثمَّ باب العيد، ثمَّ باب قصر الشَّوك، ثمَّ باب الديلم، ثمَّ باب تربة الزَّعفران، ثمَّ باب الزَّهومة"[١].

وإزاء هذه المباهج الحضارية للخلافة الفاطمية، من قصور ومرافق تابعة لها، وعناصرها المكونة لها من الداخل أَيضاً، بجمال حلتها، وعظيم فرشها، وقف الشعراء من هذه المعالم الحضارية موقف الواصف الدقيق لها، وهم بذلك الوصف يبدون أَنَّهم مؤيدون السلطة الفاطمية في هذا المظهر، ومن هؤلاء الشعراء علي بن

---

(١) أيوب، إبراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب- لبنان، ١٩٩٧م، ط-١، ص١٠٦.
(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤١٧.
(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٣٢.

محمد الإيادي، حيث وصف قصراً للخليفة الفاطمي المنصور قد بناه في القيروان، فوقف الشاعر من هذا القصر منبهراً بجماله وأناقته، فوصفه وصفاً دقيقاً، مؤيداً بذلك الوصف الخليفة الفاطمي المنصور، إذ يقول [1]:

ولمَّا اسْتَطَالَ المَجْدُ واسْتَوَلَتِ العُلا	**عَلى النَّجْمِ وامْتَدَّ الرِّواقُ المُرَوَّقُ**
بَنَى قُبَّةً لِلمُلْكِ في وَسْطِ جَنَّةٍ	**لَهَا مَنْظَرٌ يَزْهَى بِهِ الطَّرْفُ مُونِقُ**
بِمَمْشُوقَةِ السَّاحَاتِ أَمَّا عِرَاصُهَا	**فَخُضْرٌ وأَمَّا طَيْرُهَا فَهِيَ نُطَّقُ**
تَحِفُّ بِقَصْرٍ ذِي قُصُورٍ كَأَنَّمَا	**تَرَى البَحْرَ في أَرْجَائِهِ يَتَدَفَّقُ**
لَهُ بِرْكَةٌ للمَاءِ مِلءَ فَضَائِهِ	**تَخِبُّ بِقُطْرَيْهَا العُيونُ وتَعْنَقُ**
لهَا جَدْوَلٌ يَنْصَبُّ فِيْهَا كَأَنَّهُ	**حُسَامٌ جَلاهُ القينُ بِالأَرْضِ مُلْصَقُ**
لهَا مَجْلِسٌ قَدْ قَامَ في وَسْطِ مَائِهَا	**كَمَا قَامَ في فَيْضِ الفُرَاتِ الخَوَرْنَقُ**
كَأَنَّ صَفَاءَ المَاءِ فِيْهَا وحُسْنِهِ	**زُجَاجٌ صَفَتْ أَرْجَاؤُهُ فَهُو أَزْرَقُ**
إِذَا بَثَّ فِيْهَا الليْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ	**رَأَيْتَ وُجُوهَ الزِّنْجِ بِالنَّارِ تُحْرَقُ**

فالشاعر في الأبيات السابقة معجبٌ بقصر الخليفة المنصور، وذلك لأَناقة بنائِهِ، وتناسق أَلوانه، وعلوّ ارتفاعه، إذ تحيط به حديقة في غاية البهاء والحسن، وتتطاير حوله الطيور تشدو التغاريد طرباً، وتتخلله بركة ماء لها قنوات طويلة ترفدها بصافي الماء، وضمن هذه الصور الجميلة للقصر، وتلك الأجزاء الخلابة، يتوسط مجلس الخليفة المنصور في قصر يضاهي قصر الخورنق، ولشدة صفاء الماء تنعكس صورة السماء فيه، فيحسبه الناظر لوح زجاجٍ أَزرقٍ.

وعُمارة اليمني من الشعراء الذين وقفوا واصفين قصور رجال السلطة في العصر الفاطمي من وزراء وولاة وغيرهم، وهو بذلك الوصف نستشف منه التأييد لحضارة السلطة الفاطمية، والشدِّ على يدها في مواكبة عجلة الحضارة في ذلك العهد، فهو في الأَبيات التالية يتناول جانب المدح للملك (العادل بن الصالح بن رُزِّيك)، ويصف طلعته في قصره، وبعد أَن ينتهي من المدح، يأتي لوصف قصره، فشرفاته عالية شامخة، ويشتمل على مناظر مجديَّةٍ تضاهي وتفوق ما شيده الوزير

---

(١) عبد الوهاب، حسن حسني، مجمل تاريخ الأدب، ص٩٨.

(الأفضل بن بدر الجمالي)، والدليل على ذلك التفضيل علوّه الذي اتصف به، إذ يقول (١):

للهِ مِـــــنْ يَـــــوْمٍ أَغَـــــرَّ مُحَجَّـــــلِ فــي ظِـلِّ مُخْتَـرَمَ الفَنَـاءِ مُبَجَّـلِ

ومَسَـرَّةٍ سَـمَحَ الزَّمَـانُ لنَـا بِهَـا فــي دَارِ مُنْهَـلِّ النَّـدَى مُتَهَلِّـلِ

النَّاصِر بِـنُ الصَّـالِحِ السَّـامي إِلـى شَـرَفٍ مُعَمَّـمِ فـي المَعَـالي مُخْـوَلِ

يَـوْمٌ يَقُـولُ لَـكَ السُّـرُورُ بِـهِ اقْتَـرِحْ مَـا شِئْتَ مِنْ بِيْضِ الأَمَـاني يَفْعَلِ

وتَمَـلَّ قَصْـراً أَشْـرَفَتْ شُـرُفَاتُهُ بِعُلَـى أَبِيْكَ عَلـى السِّمَاكِ الأَعْـزَلِ

شَـيَّدْتَ فِيْـهِ مَنَـاظِراً مَجْدِيَّـةٍ أَصْـبَحْنَ أَفْضَـل مِـنْ بِنَـاءِ الأَفْضَـلِ

ودَلِـيْلُ فَخْـرِكَ أَنَّ مـا شَيَّدتَـهُ أَعلَى وأَنَّ بِنَـاءَهُ مِـنْ أَسْفَـلِ

ولعُمارة أَيضاً في موضع آخر، قصيدةُ مدحٍ في العادل بن صالح وهي طويلةٌ يستهلها الشاعر بمدح العادل، والثناء عليه، وتأييده في حكمه، ويخرج بعد ذلك المدح لوصف شجاعة ممدوحه، وقوة بأسه، ويحسن التخلص فيها من فكرة لأخرى، ومن تلك الأفكار التي تناولها، وصف دار الملك العادل بن الصالح، فيتعجب عُمارة من بنائها، وكأنها فلكٌ من أفلاك السماء، وجَنَّةٌ غُنِيتْ عن الأَنهار بوجود ذلك البحر – العادل بن الصالح –، فغدت تلك الدَّارُ – كما يرى الشاعر – كعبةً للزائرين، ويعود فضل البهاء في تلك الدار للملك العادل، فأَصبحت فخراً لم يحظ به عصرٌ من العصور، كيف لا وهي شُيِّدت بحسن اقتراحات وتوجيهات العادل بن الصالح، إذ يقول عُمارة (١):

لَـمْ أَدْرِ هَـلْ نُصِـبَتْ مَرَاتِـبُ دُسْـتِهِ بِمَقَـرِّ مُلْـكٍ أَمْ بِـدَارِ قَـرَارِ

دَارٌ غَـدَتْ يـا شَمْسُـها وغمَامُهَـا فَلَكَـاً ولَكِـنْ لَـيْسَ بِالـدَّوَّارِ

وكَأَنَّمَـا هِـيَ جَنَّـةٌ أَغْنَيْتَهَـا يـا بَحْرهَـا عَـنْ مِنَّـةِ الأَنْهَـارِ

وجَعَلْتَهَـا دَارَ السَّـلامِ فَبُورِكَـتْ دَارُ السَّـلامِ وكَعْبَـةُ الـزُّوَّارِ

لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ بَيْتَـاً يَمْنُيـكَ رُكْنُـهُ مـا كَـانَ مَسْـتُوراً بِـذِي الأَسْـتَارِ

أَهْـدَتْ لهَـا تِنِّـيْسُ مَـا لَـمْ يَفْتَخِـرْ بِنَظِيـرِهِ عَصْـرٌ مِـنَ الأَعْصَـارِ

---

(١) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أَخبار الوزراء المصرية، ص٣١٣.
(١) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أَخبار الوزراء المصرية، ص٢٣٤.

وأَمَدَّهَا حُسْنُ اقْتِرَاحِكَ بالذِي لَمْ تَقْتَرِحْهُ خَوَاطِرُ الأَفْكَارِ

وبقي هذا الترف العمراني الحضاري في عهد الفاطميين يخلب أَذواق الشعراء الفنيَّة والحسَّية، فوجَّه في هذا الجانب نظرتهم الإبداعية إِلى وجهة جديدة في الوصف، فعُمارة اليمني من الشعراء الذين استرعاهم هذا الجانب الحضاري المترف، ففي إحدى قصائده لمدح عائلة رُزِّيك، نراه يصف مداخل وقاعات أَحد قصورهم، ولعل المخاطب هنا شقيق الملك الصالح (بدر بن رُزِّيك)، فيقول مؤيداً له في هذا الجانب [١]:

فتَمَلَّ داراً شَيَّدَتْهَا همَّةٌ يَغْدُو العَسِيْرُ بِأَمْرِهَا مُتَيَسِّرَا
جَمَّلْتَهَا وتَجَمَّلَتْ مِصْرٌ بِهَا لمَّا عَلَتْ بِكَ عِزَّةً وتَكَبُّرَا
أَنْشَأْتَ فِيْهَا لِلعيونِ بَدَائِعَاً زُفَّتْ، فَأَذْهَلَ حُسْنُهَا مَنْ أَبْصَرَا
فَمِنَ الرُّخَامِ مُسَيَّراً ومُسَهَّمَاً ومُنَمْنَمَاً، ومُدَرْهَمَاً، ومُدَنَّرَا
العَاجُ بَيْنَ الأبنَوْسِ كَأَنَّهُ أَرْضٌ مِنَ الكَافُورِ تُنْبِتُ عَنْبَرَا
قَدْ كَانَ مَنْظَرُهَا بَهِيْجَاً رَائِقَاً فَجَعَلْتَهَا بالوَشْيِ أَبهَى مَنْظَرَا
أَلبَسْتَهَا بِيْضَ السُّتُورِ وحُمْرِهَا فأتَتْ كَزَهْرِ الرَّوضِ أَبيَضَ أَحمرَا
فَمَجَالِسٌ كُسِيَتْ رَقِيْمَاً أَبْيَضَاً ومَجَالِسٌ كُسِيَتْ طَمِيْمَاً أَخْضَرَا
لَمْ يَبْقَ نَوْعٌ صَامِتٌ أَو نَاطِقٌ إلاَّ غَدَا فيْهَا الجَمِيْعُ مُصَوَّرَا
فِيْهَا حَدَائِقُ لَمْ تَجُدْهَا دَيْمَةٌ أَبَداً، ولا نَبَتَتْ على وَجْهِ الثَّرَى
والطَّيرُ قَدْ وقَعَتْ عَلى أَغْصَانِهَا وثِمَارِهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُنْقَرَا
أَنِسَتْ نَوافِرُ طَيْرِهَا بِسِبَاعِهَا فَظِبَاؤهَا لا تَتَّقِي أُسْدَ الشَّرَا
وبِهَا زَرَافَاتٌ كَأَنَّ رِقَابَهَا فِي الطُّولِ أَلوِيَةٌ تَؤُمُّ العَسْكَرَا

فالشاعر في الأبيات السابقة يُسجل للقارئ بكلِّ دقَّةٍ وتفصيل مكونات هذا القصر، وأَركانه البهيَّة، فيبدأ بمداخله، وقاعاته الرخامية المزخرفة بمختلف أشكال الزخرف، من منمنمات، ومدرهمات، ومدنّرات، ومن ثَمَّ يصف تلك المجالس المصنوعة من العاج الملوَّن، وهنا ينتهي وصف الشاعر لهذا القصر من الدَّاخل،

(١) اليمني، عُمارة، النّكت العصرية في أَخبار الوزراء المصرية، ص٢٣٩-٢٤٠.

وتبدأ لقطة الوصف الخارجي عنده، فالقصر يشتمل على حدائق وفناءات ممتلئة بالطيور والحيوانات المختلفة، فترى فيها الظِّباء، والسِّباع، والأُسود، حتّى تلك الزَّرافات التي تتطاول في أَعناقها إلى الأَعلى.

ولم تقف حدود هذا الوصف لقصور الفاطميين، ومظاهر حضارتهم عند شاعر معين، فتلك الحضارة – كما أشار الباحث سالفاً – قد وجهت أَنظار الشعراء في إبداعاتهم، فوقفوا منها موقف الواصف والمؤيد في الوقت ذاته، ومن هؤلاء الشعراء الذين شاركوا في هذا المضمار، الشاعر ابن أَبي حُصينة، فهو في إحدى قصائد مدحه للأمير (ثِمال بن صالح)، يشير إلى هذا المظهر الحضاري، فيؤيد ممدوحه من خلاله، ويصف جلوسه في مجلس الخلافة والحكم، فتحسده على ذلك كواكب السماء، لعلو قصره الشاهق في قلعة الشهباء الشامخة، المتصلة بفضاء الجوِّ، فيخالها ساري الليل كواكباً ونجوماً تهدي السُّراة إلى الطريق، ترتفع فوق أُفقها سحابات من الدخان تحجب وتغطي السماء، إذ يقول (١):

أَتْعَبْـتَ نَفْسَـكَ فـي بِنَـاءِ مَجَـالِسٍ ... لَـمْ تَبْنِهَـا حَتَّـى بَنَيْـتَ السُّـؤْدُدَا
ومَـلأْتَ أَكْثَـرَ مَـا مَـلأْتَ أَسَاسَـهَا ... قِمَمَـاً فَمَـا احْتَـاجَ الأَسَـاسُ الجَلْمَـدَا
وجَلَسْـتَ فـي دَسْـتِ الخِلافَـةِ جَلْسَـةً ... نَظَـرَتْ إِلَيْـكَ بِهَـا الكَواكِـبُ حُسَّـدَا
فـي سَـفْحِ شَـاهِقَةِ البُـرُوجِ كَأَنَّمَـا ... يَكْسُـو جَوانِبَهَـا الرَّبْيـعُ زَبَرْجَـدَا
مَوْصُـولَةٌ بِـالجَوِّ تَحْسَـبُ ضَـوْءَهَا ... سَـارِي الدُّجُنَّـةِ كَوْكَبَـاً أَو فَرْقَـدَا
رَفَعَتْ مَشَاعِلُهَـا الدُّخَـانَ فَقَنَّعَـتْ ... وَجْهَ السَّمَاءِ بِـهِ قِنَاعَـاً أَسْـوَدَا

ويشير ابن أَبي حصينة في موضع آخر لعلوِّ دُور الأمير ثِمال، فممدوحه يبني القباب الشاهقة، المتطاولة إلى أَعلى الأُفق دون حاجتها إلى عمدٍ أو طُنب تقوم عليه، وذلك لأَنَّها راسية كالجبال، ومنيعةٌ كمنعتها، إذ يقول (١):

بَنَـى القِبَـابَ رَفِيعَـاتِ الـذُّرَى شُـهُبَاً ... مَخْلُوطَـةً بِنُجُـومِ الحِنْـدِسِ الشُّـهُبِ
مُطَنَّبَـاتٍ إِلَـى العَلَيَـاءِ مَـا افْتَقَـرَتْ ... إِلـى عَمُـودٍ ولا احْتَاجَـتْ إِلـى طُنُـبِ
مِثْلُ الجِبَالِ الرَّواسِي كُلَّمَـا لَعِبَـتْ ... بِهَا الصَّبَا رَقَصَتْ مِـنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ

---

(١) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص٦٧.
(١) ابن أبي حصينة، الديوان، ج١، ص١٥٦.

ويطالعنا الشاعر ابن هانئ الأندلسي في هذا المظهر الحضاري بقصيدةٍ أَصاب من خلالها غايات مختلفة، فهي تناولت جانب المدح للأَمير (جعفر بن علي الأندلسي) أَمير (الزَّاب)، ومن غايات هذه القصيدة أَيضاً، وصف قصر الممدوح، وما يحتويه من بهاءٍ في البناء، فأصابت عمارته حظَّاً من الكمال، حتى ليغدو ناطقاً لحسنه، ومُضلِّلٌ للناس بسحره، فيستخدم الشاعر ذلك الوصف ليصل إلى تأييد ممدوحه في هذا الصرح الحضاري البهيج، إذ يقول (١):

وقُلْتُ وقَدْ أَفْنَيْتُ فِيْهِ تَعَجُّبي ... وبِتُّ كَأَنِّي قَائِمٌ فِيْهِ أَنْظُرُ

مَنِ المُبتَنِي فَوقَ الكَواكِبِ مَظْهَراً ... ومَا فَوقَ أَعْنَانِ الكَواكِبِ مَظْهَرُ؟

ومَا كَانَ فِيْهِ نَقْصُ شَيءٍ تُتِمُّهُ ... ولَمْ يُبْقِ مَا أَثَّرْتَ شَيْئاً يُؤَثَّرُ

ومَا مِثْلُهُ إلاَّ الكَمَالُ مُصَوَّراً ... يُنَاغِيكَ لَوْ أَنَّ الكَمَالَ يُصَوَّرُ

وسَلْهُ إذا مَا شِئْتَ يُنْطِقْهُ حُسْنُهُ ... ومَا هُو إلاَّ نَاطِقٌ لَيْسَ يَشْعُرُ

ولَمْ يَبْقَ إلاَّ أَنْ تُضِلَّ بِهِ الوَرَى ... وتَتْرُكَهُ مِنْ بَعْدِ هَارُوتَ يَسْحَرُ

ومن الشعراء الذين اتخذوا وصف الحضارة الفاطمية، ومباهج قصورها سبيلاً لتأييد السلطة آنذاك، الشاعر ابن حيّوس، إذ نظم قصيدة مدحٍ في أَمير الجيوش وقائدها (الدِّزْبِري)، فاستهلها ابن حيّوس بشكل مباشر بالمدح دون مقدمات، وعكف بعد ذلك ليصف (السِّدِلىَّ)(٢) الذي يسكنه أَمير الجيوش، فشيَّد له قبَّة تطاول وتضاهي كُلَّ باسق ومرتفع، فيحسبها الناظرُ ليلاً مزينة بالنجوم اللامعة، إذ لو ملكت الشمس أَمرها، لما أَشرقت من بهائها، ولو عاينها البدرُ لما ظهر إزاءها، وهي – على حدِّ تعبير الشاعر – أَصبحت مشهورة في بنائها كشهرة صاحبها بين الناس، فغدا إيوان كسرى الذي أَذهل البريَّة، مهيض الجانب مقابلها، إذ يقول ابن حيّوس (١):

وهَذَا السِّدِلَّى الذِي مَا سَمَا ... لَهُ مَلِكٌ فِي قَدِيمِ العُصُرْ

رَفَعْتَ لَهُ قُبَّةً أَصْبَحَتْ ... تَطُولُ عَلَى مَا عَلا واشْمَخَرّْ

إذا مَا بَدَتْ فِي الدُّجَى خِلْتَهَا ... مُرَصَّعَةً بِالنُّجُومِ الزُّهُرْ

---

(١) الأندلسي، محمد بن هانئ، الديوان، ص١٧٤.

(٢) السِّدِلَّى: وهي ثلاثة بيوت تأتي في بيت واحد، ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة سَدَلَ.

(١) ابن حيّوس، الديوان، ج١، ص٢٩٠-٢٩١.

تُـرَاعُ لهَـا الشَّـمْسُ عِنْـدَ الطُّلُـوعِ فَلَـو مَلَكَـتْ نَفَسَـهَا لَـمْ تُنِـرْ
ولــو رَاءَهَـا البَـدْرُ فــي تِمِّــهِ وكَانَــتْ لَــهُ قُــدْرَةٌ لاسْــتَتَرْ
فَصَـارَ لهَـا عَلَمَـاً فــي البِنَـاءِ كَسِـيرَةِ صَـاحِبِهَا فــي السِّـيَرْ
فإِيوانُ كِسْــرَى وإِنْ أَعْجَـزَ الــ ـبَرِيَّـةِ فــي جَنْبِهِ مُحْتَقَـرْ

٢- مظاهر أخرى:

يرى الباحث أَنَّ قصور الفاطميين، وقباب دورهم لم تكن وحدها المحرك الرئيس لإبداعات الشعراء، الذين اتخذوا من وصفها سبيلاً لتأييد السلطة الفاطمية في ترفها العمراني، وبذخها الحضاري، لا بل كان هنالك موجةٌ طبيعيٌّ خلق تلك الإبداعات عند الشعراء، ولعل طبيعتهُ وعدم الإسراف والترف عليه جعلت منه صورة ولوحة عفوية خالية من مظاهر التوشيح والزخرف المادي، هذا الموجِّه يتمثل في بعض مظاهر الحضارة، كنهر النيل، وبركة الحبش المجاورة له، وبعض الأديرة كدير (مَرْحَنَّا)، وبعض البساتين والرياض التي اتخذ منها الخلفاء الفاطميون وحاشيتهم مكاناً للتنزه، وقضاء وقت الفراغ في ظل جمالها الطبيعي غير المتكلف.

ونبدأ في هذا المقام بأَبرز مظاهر الحضارة في عهد الفاطميين، وهو نهر النيل، الذي استخدم لأغراضٍ متعددة في عهدهم، إذ كان من أَهم مقوّمات الزراعة آنذاك، وكان له دور كبير في عمليات التجارة، من خلال السفن التي تشق عبابه لذلك الغرض، وكان مسرحاً للاستعراضات العسكرية من خلال السفن الحربية، التي كثيراً ما كان يرعاها الخلفاء الفاطميون ورجال الدولة بأَنفسهم، إضافةً إلى ذلك يشكل مظهراً حضارياً دأب الشعراء لوصفه، ومؤيدين من خلاله السلطة الفاطمية، إذ كان الخلفاء الفاطميون يتنزهون على ضفافه، ويقضون وقت فراغهم بين خلجانه، وللشاعر تميم الفاطمي في هذا السياق مقطوعات شعرية وصفية، اتخذها لتأييد ما هم عليه في هذا الجانب، فهو في الأَبيات التالية يصف نزهة في نهر النيل ممتعة وشيقة، ترتفع فيها السفن وسط أَمواج النهر وتهبط كالخيول الجامحة، إذ يقول (١):

يَــوْمٌ لنَــا بِالنِّيــلِ مُخْتَصَــرُ ولِكُــلِّ يَــوْمِ مَسَــرَّةٍ قِصَــرُ

(١) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص٩٩.

والسُّفُنُ تَصْعَــدُ كَـــالخُيولِ بِنَـــا   فـــي مَوْجِـــهِ والمَاءُ يَنْحَـــدِرِ

ويدعو الشاعر تميم في الأَبيات التالية إلى النظر والتَّمعن إلى نهر النيل كيف تدفقت أَمواجه، وكأَنَّه قائدٌ قام برصِّ صفوف الجند تأهباً للمعركة، وأَمواجهه الكثيفة كمدائنٍ فُتحت ثم أَصابها الغرق، وتياراته المتلاحقة كملكٍ أَغار على الأَعداء في ساحة معركةٍ، فألحق بهم الهزيمة، وهي لناظرها كالخيول تجري سراعاً بأَمر راكبيها، داعياً تميم في نهاية الأَبيات صحبه للشرب والغناء والتنعم بوسائل اللهو المتوفرة، كيف لا وهم في وسط طبيعة جلابة أَنِقة، إذ يقول [١]:

أُنْظُـرْ إِلـى النِّيـل قَـدْ عَبَّـأَ عَسَـاكِرَهُ   مِـنَ المِيَـاهِ فَجَـاءَتْ وهـي تَسْـتَبِقُ

كَـــأَنَّ خِلْجَانَـــهُ والمَـــاء يَأْخُـــذُهَا   مَـــدَائِنٌ فُتِحَـــتْ فَاحْتَازَهَـــا الغَـــرَقُ

كَـــأَنَّ تَيَّـــارَهُ مُلْـــكٌ رَأَى ظَفَـــرَاً   فَكُثْـرُ أَثْـرِ الأَعَـادِي مُحْنِـقٌ نَـزِقُ

كَـــأَنَّ مَـــاءَ سَـــوَاقِيهِ لِنَاظِرِهَـــا   شُـهْبُ الخُيـولِ إِذَا مَـا حَثَّهَـا العَنَـقُ

فَاشْرَبْ مُغَنَّـــى فَإِنَّ اللَّهْوَ مُنْبَسِـطٌ   واطْـرَبْ مُهَنَّـــا فَهَـــذَا مَنْظَرٌ أَنِقُ

وكثيراً ما كان الخلفاء الفاطميون يتنزهون في نهر النيل، ويركبون القوارب المخصصة لرحلات التنزُّه، وقضاء وقت الفراغ على متنها، فيراها الشاعر تميم ساكنة هادئة في وسط عباب الماء تارةً، وطائرة بلا جناح تارةً أُخرى، فمجاذيفها أَشبه بجناحٍ يحثها على شقِّ أَمواج النهر، وهي سوداء اللون يخالها الناظر أَعيُناً نجلاءَ إذ يقول [١]:

بَعَثْـــــتُ بِسَـــــاكِنَاتٍ طَـــــائِرَاتٍ   تَفُـوتُ اللَّحْـظَ وهِـيَ بِـلا جَنَـاحِ

تَطِيْـــرُ إِذَا المَجَـــاذِيفُ اسْـــتَحَثَّتْ   بِهَـــا طَيَـــرانُ أَجْنِحَـــةِ الرِّيَـــاحِ

كَأَنَّ سَوَادَهَا فـــي المَـــاءِ يَحْكِـــي   سَـــوادَ الأَعْيُنِ النَّجْـــلِ المِـــلاحِ

وكان نهر النيل أَيضاً يمثِّل ساحة احتفال وفرح ببعض المنسابات التي استحدثتها السلطة الفاطمية، فهنالك يوم وفاءٍ للنيل عند الفاطميين، لما لهذا النهر من أَهمية في جوانب حياة الدولة الفاطمية اقتصادياً وحضارياً، فكانوا يقيمون المهرجانات على ضفافه، ويدعون الشعراء لتأمله ووصفه، وكان الشعراء بذلك

([١]) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١٠١-١٠٢.
([١]) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص١٠٧.

الوصف مؤيدين للسلطة الحاكمة، فالشاعر أُميَّة بن أَبي الصلت الأندلسي وصف هذا النهر في إحدى الاحتفاليات، وكان ذلك في عهد الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي، إذ أَشعل الوزير الأفضل الشموع على جوانب ذلك النهر، فبدا وكأَنَّه سماءٌ تتلألأ بكثرة نجومها وشهبها، إذ يقول(١):

أَبْـــدَعْتَ للنَّـــاسِ مَنْظَـــراً عَجَبَـــاً	لا زِلْـتَ تُحْيِـي السُّـرُورَ والطَّرَبَـا
جَمَعْـــتَ بَـــيْنَ الضِّـــدَّيْنِ مُقْتَـــدِراً	فَمَـــنْ رأَى المَـــاءَ خَـــالطَ اللَّهَبَـا
كَأَنَّمَـــا النِّيـــلُ والشُّـــمُوعُ بِـــهِ	أُفْـــقُ سَـــمَاءٍ تَأَلَّقَـــتْ شُـــهُبَا
قَدْ كَـــانَ مِـــنْ فِضَّـــةٍ فَصَيَّرَهُ	تَوَقُّـــدُ النَّـــارِ فَوقَـــــهُ ذَهَبَــا

وبالقُرب من نهر النيل تقع (بركة الحبش)، وهي بمحاذاة جسر النيل، حيث: " كان للفاطميين بها منظرة يقال لها بئر دكَّة الخركة، بنى عليها الخليفة الآمر بأحكام الله منظرة من خشب، مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش، وصوَّر فيها الشعراء كل شاعر وبلده، واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح، وذكر الخركة، وكتب ذلك عند رأس كل شاعر، وبجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب، فلما دخل الآمر وقرأ الأَشعار، أَمر أَن يحطّ على كل رفٍّ صُرَّة مختومة فيها خمسون ديناراً، وأَن يدخل كل شاعر ويأخذ صرّته بيده، ففعلوا ذلك، وأَخذوا صُررهم، وكانوا عدَّة شعراء " (١).

وكان لهذه البركة ذات المعالم الحضارية حضورٌ في نظم بعض الشعراء الواصفين والمؤيدين في الوقت ذاته، فتميم الشاعر يرى القمر في صفيح مائِها المتمايج، وهذا القمر الذي قد طلع في تلك البركة ليس له بروج، إذ يقول (٢):

كَـــأَنَّ البِركَـــةَ الغَنَّـــا إذا مَـــا	غَـــدَتْ بِالمَـــاءِ مُفْعَمَـــةً تَمُـــوجُ
وقَـــدْ لاحَ الضُّـــحَى مِـــرآةُ قَـــينٍ	قَـــدْ انْصَـــقَلَتْ ومِقْبَضُـــهَا الخَلِـــيْجُ
تُـــرَى قَمَـــرَ الـــدُّجَى قَمَـــراً حَـــدَاهُ	طُلُوعَـــاً مَـــا لَـــهُ فِيْهَـــا بُـــرُوجُ
فَلا تَعْصِ الصِّبَا فـــي لِبْسِ لَهْـــوٍ	فَـــإِنَّ الدَّهْـــرَ ذُو شَغَـــبٍ لَـــجُوجُ

---

(١) الأندلسي، أُميَّة بن أبي الصلت، الديوان، تحقيق عبدالله الهوني، دار الأوزاعي- بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ط١، ص١٣٣.

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٨٦-٤٨٧.

(٢) تامر، عارف، تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال، ص٩٣.

وقد أَوجد الخلفاء الفاطميون في هذه البركة رياضاً وبساتيناً اتخذوها مقصداً لوجهتهم في قضاء وقت اللهو والفراغ، فتميم في الأَبيات التالية " يصف بستاناً له اسمه المختار، حيث كان أَخوه الخليفة العزيز يزوره فيه "، إِذ يقول (١):

يَـــــا ربَّ لَيْـــــلٍ بِتُّـــــهُ نَاعِمَـــــاً ‏ ‏ بَـــــيْنَ رُبَـــــا المُخْتَـــــارِ فَالجِسْـــــرِ

أَخْـــرِجُ فِيْــــهِ نَصْــــبَاً مِــــنْ صِــــبَاً ‏ ‏ واسْــــــتَحِثُّ الخَمْـــــرَ بِـــــالخَمْرِ

والبَدْرُ قَـــــدْ مَـــــدَّ علـــــى نِيْلِــــهِ ‏ ‏ مُنْطَقَةً مِـــــنْ خَـــــالِـــــصِ التِّبْرِ

فهذا البستان محطٌّ رحل لهو تميم الفاطمي، فيرغد الشاعر متنعماً في رباه، ويبث في أَرجائه صباهُ، إذ توشح نيله بطلعة البدر عليه، وكأَنَّه تقلد طوقاً من صافي الذهب.

" وكان إِلى جوار بركة الحبش هذه، يقع دير (مَرْحَنَا) على شاطئ البركة من الجهة الغربية، وإِلى جانبه بساتين للأمير تميم، وقد جعل بها مجلساً له على عمد، وكان قرب الدَّير عينٌ ذهبت في الرِّمال، وكان هذا الدَّير من مواطن اللهو، وأَماكن الفرجة واللذَّة في زمن الفاطميين "، إذ يصفه الشاعر بقوله (٢):

أَيَـــا دَيْـــرُ مَرْحَنَّـــا سَـــقَتْكَ رُعُـــودُ ‏ ‏ مِـــنَ الغَيْـــثِ تَهْمِـــي مَـــرَّةً وتَعُـــودُ

فَكَـــمْ واصَـــلَتْنَا فـــي رُبَـــاكَ أَوانِـــسٌ ‏ ‏ يَطُفْـــنَ عَلَيْنَـــا بِالمُدَامَـــةِ غِيْـــدُ

وكَمْ نَابَ عَنْ نُورِ الضُّحَى فِيْكَ مَبْسَمٌ ‏ ‏ ونَـــابَتْ عَـــنِ الوَرْدِ الـــــجَنِيِّ خُدُودُ

فالشاعر يدعو بالسقيا لهذا الدَّير، ففيه مرتع اللهو والمجون، إِذ تطوف على الجالسين فتياتٌ حسان يسكبن الخمر لشاربها.

وأَخيراً لاحظ للباحث أَن السلطة الفاطمية لم تعتمد على مبادئها العقائدية والمذهبية والسياسية فقط لتقوية أَواصر خلافتها، بل كانت في غاية الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والحضارية بشتى أَشكالها، فاتخذوا منها وسيلة كغيرها من الجوانب للدفاع عن حاضرتهم أَمام الأَعداء، ووسيلة أَيضاً لإقناع الرعيَّة، ولفت أَنظارهم إلى سلطتهم، فبالغوا في الجانب الاجتماعي، وخاصة في إقامة الأَعياد، وإِحياء المناسبات الخاصة بهم، كعيد كسر الخليج، وعيد النَّصر، بالإضافة إلى

---

(١) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب، ص١٢٧.

(٢) سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب، ص١٢٧.

الأَعياد الإسلامية العامة، التي شاركوا من خلالها الرعيَّة فرحتهم بها، كعيد الفطر، وعيد الأضحى المبارك – عيد النحر عندهم –، وغُرَّة شهر رمضان، ناهيك عن استحداثهم لاحتفالات ومهرجانات كثيرة ومتعددة، تتخللها فقرات ومراسم متعددة، كالمواكب الخاصة بالخلفاء وحاشيتهم، والمواكب الاستعراضية الحربية برًّاً وبحراً، بالإضافة إلى اهتمامهم ببعض الجوانب الاجتماعية الأخرى، كاللباس الذي يتخذونه لهم ولحاشيتهم، وما وصل إليه في حدِّ المبالغة والترف، ولم تقف حدود بذخهم عند هذا فقط، بل أَسرفوا أَيضاً ببعض مستلزماتهم الخاصة كالهدايا، وما يتخللها من خيلٍ وملابس تظهر عليها قمة التّرف من ذهب، وفضة، وزبرجد، وياقوت، وغيرها.

كما اهتمت السلطة الفاطمية من خلفاء وولاة بالجانب الحضاري للدولة، والذي يعكس صورة عن حياتهم وواقعهم، فما وجدوه أَمامهم من حضارة سابقة أَولوه رعايتهم، كنهر النيل، وبعض المدن وأَبوابها وأَديرتها، وأَضافوا إلى هذه المعالم الحضارية جوانب حضارية من إنشائهم، كالقصور والدُّور الخاصة بهم، وما تحتويه من رياضٍ، وساحات، ومرافق عامة.

ومقابل هذا الزخم الحضاري المترف بعمرانه تارةً، والعفوي الطبيعي تارةً أُخرى، وقف الشاعر موقف المادح للسلطة في هذا الجانب، الماضي على يدها في إكمال مسيرة هذا الإنجاز الاجتماعي الحضاري، والواصف لمعظم جزئياته وصفاً دقيقاً، مؤيداً بذلك تلك السلطة آنذاك.

الخاتمة :

تناولت هذه الدراسة موضوع " الشَّاعر والسُّلطة في العصر الفاطميّ"، ضمن محاور متنوعة، وقد توصل الباحث من خلالها إلى النتائج الآتية :

١- لقد تبيَّن أَنَّ الدولة الفاطمية التي قامت في بلاد المغرب العربي على يد مؤسسها عبيدالله المهدي سنة ٢٩٧هـ، وانتهت في عهد آخر الخلفاء الفاطميين العاضد لدين الله سنة ٥٦٧هـ، وقد أَخذت تبسط نفوذها على بلاد المغرب العربي، ومن ثم على بلاد المشرق العربي شيئاً فشيئا، وذلك عبر فترات متعاقبة من الزمن، وفي الوقت ذاته عن طريق الخلفاء الفاطميين الذين تعاقبوا الخلافة عن بعضهم، وعلى الرغم من التحديات السياسية والأحداث التي كانت تعصف بتلك الدولة وخلفائها في تلك الفترة.

٢- نجحت السلطة الفاطمية باستقطاب الشعراء المؤيدين لها، وجعلتهم لسان حالهم في مختلف المحافل، للدفاع عن معتقداتهم المذهبية، وسياستهم التي اتبعوها في حكمهم، فأُيِّدوا من قبل كثير من الشعراء في سياستهم الداخلية المتبعة في حكم الرعية، وأيضاً في سياستهم الخارجية، وخاصة أَنَّ دولة بني أُميَّة وبني العبَّاس ودولة الروم كانت على عداءٍ مع دولة الفاطميين آنذاك.

٣- استطاعت السلطة الفاطمية أَن توجد آذاناً مصغية، وقلوباً وعقولاً راضية لمذهبها وعقيدتها التي أَخذت بالدعوة لها في شتى البقاع، متبعة في ذلك عند بعض الخلفاء سياسة القوة والسطوة تارةً، وسياسة الإغراء بالأموال والعطايا تارةً أُخرى، وهذا كله أَثَّر في نشر عقائدها الفاطمية بين الناس، حيث ركزوا على نشر أَبرز معتقداتهم العقائدية والمذهبية، التي من أبرزها: إنَّ خلافة المسلمين – حسب معتقداتهم – بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – حقٌ لهم، وإِنَّ هذه الخلافة مُوصى بها، وإِنَّ الخلفاء الفاطميين معصومون عن الخطأ، ويعلمون الغيب، ويشفعون للناس عند الله يوم الحساب، وغيرها من المعتقدات الفاطمية.

٤- تبين للباحث أَن السلطة الفاطمية نجحت باستمالة الشعراء إلى جانبها، وجعلتهم وسيلة للذَّبِّ عنها أَمام الأعداء والخارجين عن حكمها، وذلك من خلال إغداق الأموال والعطايا والهبات التي كانت تنفقها بشكل كبير على هؤلاء الشعراء، ونتيجة

لذلك كانت طبقة الشعراء المؤيدين للسلطة الفاطمية آنذاك، أَكبر من تلك المعارضة لها، والناقمة عليها من الشعراء.

٥- رأى الباحث من خلال استقصاء الشواهد الشعرية، أَنَّ هنالك شعراء متكسبين وفدوا على " مصر " إبَّان الحكم الفاطمي، وذلك لنيل العطايا التي كانت تمريها السلطة الفاطمية للشعراء المؤيدين لسلطتهم سياسياً وعقائدياً واجتماعياً وحضارياً، ولقاء ذلك كان ضمن هؤلاء الشعراء من هو سنيٌّ في مذهبه، فظهر في بعض ملامح أَشعارهم التشيع، والتأثر بالمبادئ والمعتقدات الفاطمية.

٦- لاحظ الباحث على بعض الشعراء المؤيدين للسلطة الفاطمية، العفويَّة وعدم المغالاة في تأييدهم، ولعل مثل هؤلاء الشعراء هم من أتباع المذهب الشيعيّ، إذ كانت مفرداتهم ومصطلحاتهم الشعرية عقائدية مذهبية، حتّى وإن كانوا يريدون التكسب من السلطة، ونيل العطايا والهبات على أَشعارهم المؤيدة.

٧- عمدت السلطة الفاطمية لنشر دعوتها ومذهبها إلى استخدام عامل الترف والبذخ وكثرة الأموال في ذلك، فاستطاعت هذه السلطة ممثلة بخلفائها ورجال دولتها أَن تبني لها واقعاً اجتماعياً يتمثل مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، فعلى الرغم من تعدد أطياف الرعية بتعدد مذاهبهم سنيّة وشيعيَّة ونصرانيَّة ويهوديَّة في تلك الفترة، إلا إنَّ السلطة الفاطمية نجحت نوعاً ما بصياغة حياة اجتماعية طبيعية تحت حكمهم، فاهتموا بالأعياد الإسلامية العامة، وشاركوا الرعية بأعيادهم ومناسباتهم، واستحدثوا أعياداً ومناسبات وطنية وشيعية خاصة بهم، وأجروا لها كلَّ ما يملكون من ترف وعطاء.

٨- عمدت السلطة الفاطمية إلى استخدام أسلوب البهرجة أمام الرعية، وذلك وسيلة من وسائل نشر عقيدتهم بين الناس، واستمالتهم لها، فبالغوا في مواكبهم الرسمية المتعددة، كمواكب الخلفاء الفاطميين لأداء صلاة الجمعة، أَو لأداء صلاة العيد، وإلقاء الخطبة على جموع الناس في تلك المناسبات، كما أَنَّهم بالغوا وأَسرفوا في أنماط ملابسهم، وبعض مستلزماتهم الخاصة، كالهدايا بينهم، وما تشتمل عليه من خيل، وملابس، ومصاغ ذهب، وفضة وغيرها.

٩- تبين للباحث في الجانب الحضاري الاجتماعي أَنَّ السلطة الفاطمية أَولت هذا الأمر بالغ الأَهمية، وذلك لتضاهي به حضارات السابقين والمعاصرين لها، وخاصة الأعداء، وكأَنهم في منافسةٍ في هذا الجانب، فاهتم الخلفاء الفاطميون بمظاهر الحضارة كقصورهم التي يسكنوها، وبذلوا لها الغالي والنفيس لإنشائها في أَبهى صورة، فأسرفوا بعمارتها، وفُرشها، ومرافقها التابعة لها.

١٠- اهتم الخلفاء الفاطميون ببعض معالم الحضارة، وبعض الأمكنة التي كانت بالنسبة لهم متنزهات يخرجون إِليها وقت اللهو والفراغ، كاهتمامهم ببعض المدن مثل: الإسكندرية، ودير مَرْحَنَا، ودير القصير، ونهر النيل، وبركة الحبش المجاورة لنهر النيل، وبركة الفيل، وغيرها من المعالم الحضارية.

المراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم، حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٦م، ط١٤، ج٣.

- **تاريخ الدولة الفاطمية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ط٣.

ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، **الكامل في التاريخ**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٨.

الإسكندري، عمر، **تاريخ مصر إلى الفتح العثماني**، مكتبة مدبولي القاهرة،١٩٩٠م.

الأصبهاني، أبو عبدالله محمد بن صفي الدين، **خريدة القصر وجريدة العصر**، نشر وتحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عبّاس، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

الأندلسي، أُميَّة بن أبي الصلت، **الديوان**، تحقيق عبدالله الهوني، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ط١.

- **الرسالة المصرية**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٧٣م، (د.ط).

الأندلسي، محمد بن هانئ، **الديوان**، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي_ بيروت، ١٩٩٥، ط١.

أَيوب، إبراهيم رزق الله، **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**، الشركة العالمية للكتاب- لبنان، ١٩٩٧م، ط١.

تامر، عارف، **تميم الفاطمي شاعر الحب والعاطفة والجمال**، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق حسين نصار، دار الكتب القاهرة، ١٩٥٦م، ج٤.

الثعالبي، عبدالملك أبو منصور، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية_ بيروت، ١٩٨٣ ج١.

الجوذري، أَبو علي منصور العزيزي، **سيرة الاستاذ جوذر**، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبدالهادي، دار الفكر العربي، مصر، م١٩٥٤، (د.ط).

الحدَّاد، ظافر، **الديوان**، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر_ الفجّالة، ١٩٦٩م، (د.ط).

حسين، محمد كامل، **في أدب مصر الفاطمية**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط/ت).

ابن أبي حُصينة، **الديوان**، شرح أبي العلاء المعري، تحقيق محمد أسعد طلس، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٦، ج١.

ابن أَبي حفصة، مروان، **الديوان**، تحقيق حسين عطوان، دار المعارف– القاهرة، ط٣، (د.ت).

الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر– بيروت، ١٩٧٩م.

الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار احياء التراث العربي–بيروت، ١٩٨٠م، ج٤.

ابن حيّوس، **الديوان**، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر بيروت، ١٩٨٤م، ج١/ج٢.

خسرو، ناصر، **سفر نامة**، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت، ١٩٧٠م.

ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج٤.

ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة–بيروت، ١٩٧٠م، (د.ط)، ج٣.

ابن رُزِّيك، طلائع الملك الصالح، **الديوان**، قدم له محمد هادي الأميني، المكتبة الأهلية، (د.ط/ت).

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، **طبقات النحويين واللغويين**، نشر وتحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف_ القاهرة، ١٩٥٤م، ط٢.

الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين_ بيروت، ١٩٨٤م، ط٦، ج١.

سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي الشعر والشعراء**، نشر منشأة المعارف، الاسكندرية، (د.ت).

- **الأدب في العصر الفاطمي الكِتابة والكُتَّاب**، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د.ط/ت).

سلطان، عبد المنعم، **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**، دار الثقافة العلمية، ١٩٩٩م.

الشيرازي، هبة الله المؤيد في الدين داعي الدعاة، **الديوان**، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م، ط١.

- **المجالس المؤيديَّة**، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس–بيروت، ١٩٧٤م، ج١.

الصُّوري، عبد المحسن، **الديوان**، تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م، ج٢.

عبد الوهاب، حسن حسني، **مجمل تاريخ الأدب**، طبعة مكتبة المنار، تونس ١٩٦٨م.

ابن العديم، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، تحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٩٩٨، ج١.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تاريخ دمشق**، دار الكتب الظاهرية، دمشق، ج٣.

ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي، **ذيل تاريخ دمشق**، بيروت، ١٩٠٨م.

الكلبيّ، عرقلة "حسَّان بن نمير"، **الديوان**، تحقيق أحمد الجندي، دار صادر – بيروت، (د.ط/ت).

المالكي، أبو بكر عبدالله، **رياض النفوس**، تحقيق بشير البكوش، مكتبة النهضة العربية–القاهرة، ١٩٨٣م، ج٢.

المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ط١، ج١.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق محمد حلمي محمد، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٣م، ج٢.

- **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشّيال، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار صادر_ بيروت، (د.ط/ت)، ج١/ج٢.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، **معجم لسان العرب**، تحقيق يوسف خياط، دار لسان العرب–بيروت، ١٩٨٠م.

اليمني، عُمارة، **النُّكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، حققه وصححه هرتويغ درنبرغ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ط٢.

المعلومات الشخصية

- **الاسم:** إبراهيم عبدالكريم سلامة البطوش.
- **الكلية:** الآداب.
- **التخصص:** اللغة العربية وآدابها/ دراسات أدبية.
- **السنة:** ٢٠١٦.
- **العنوان البريدي:** الكرك – مؤتة.
- **الهاتف النقال:** ٠٧٩٧٠٥١٥٨٢
- **البريد الالكتروني:** D.IBRAHEEMBTOOSH@YAHOO.COM